المؤلف الأكثر مبيعًا في العالم

السلسلة الجديدة لنادي السيدات لجرائم القتل

جيمس باترسون

المشتبه به الـ 17

وماكسين بايترو



مكتبة | 605

المشتبه به

الـ 17

الطبعة الأولى ٢٠١٩

العنوان: 39 شارع خاتم المرسلين - الهرم - الجيزة - جمهورية مصر العربية
تليفون وفاكس: 37811478 02 2+ - 35858900 02 2+
موقعنا على الإنترنت: www.languageshome-eg.com
صفحتنا على الفيس بوك: @ilh98
لمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: info@languageshome-eg.com

INTERNATIONAL LANGUAGES HOME ILH

رقم الإيداع: **2018/23034** الترقيم الدولي: **978-977-827-045-7**

المشتبه به
الـ 17

جيمس باترسون
وماكسين بايترو



بيت اللغات الدولية

THE 17th SUSPECT

JAMES PATTERSON

AND MAXINE PAETRO



بيت اللغات الدولية

إشادة بسلسلة روايات جيمس باترسون
لنادي السيدات لجرائم القتل

الخطيئة ١٤ القاتلة

"يقدم باترسون وبايترو روايتهما الناجحة الجديدة. يمكن قراءة كل رواية بشكل مستقل، لكنك سترغب في قراءة جميع روايات السلسلة الأربع عشرة. ستجد أن لديك مجموعة جديدة من الأصدقاء. وكل سطر به من الغموض ما يحبس الأنفاس. إنها رواية لا يمكن تفويتها".

– موقع FreshFiction.com

"لقد فعلها باترسون وبايترو مجددا في أحدث رواية من سلسلة نادي السيدات لجرائم القتل، وهي عمل جديد يدل على مهارة الكاتب، الذي يقدم روايات متقنة ومشوقة دون ذرة واحدة من الملل".

– آر تي بوك ريفيوز

"يعتبر الكثيرون أن سلسلة نادي السيدات لجرائم القتل هي أفضل سلسلة قدمها باترسون بالاشتراك مع مؤلف آخر. إذا لم يسعدك الحظ بقراءة رواية منها، فإن هذه الرواية ستكون بداية ممتازة. وبرغم أنها رواية تناسب جميع الفصول، فإنها قد تكون الأنسب على الشاطئ لهذا الصيف".

– موقع BookReporter.com

UNLUCKY 13

"تحرك هذه الرواية قارئها منذ الصفحة الأولى. حافظ باترسون وبايترو على الإيقاع وملآ روايتهما بالمواقف التي غالبا ما تحاكي الأحداث في العالم الحقيقي. إنها رواية تمنح متابعي السلسلة والقراء الجدد القدر نفسه من المتعة".

– موقع BookReporter.com

"إثارة بلا توقف. قصة رائعة أخرى بقلم باترسون وبايترو".

– موقع FreshFiction.com

"روايــة سريعة الإيقاع حتى النهاية. الرواية بها العديد من المنعطفات بحيث تبقــي القــراء متلهفين لمتابعة الأحداث حتــى النهاية. إنها إضافــة رائعة لهذه السلسلة الشهيرة".

– ويست أورلاندو نيوز

12TH OF NEVER

"كالعادة، لا يخيب السيد باترسون ظننا أبدًا! لقد ارتقى إلى جميع التوقعات، وبالطبع ... تركنا متلهفين للرواية التالية".

– موقع BaumanBookReviews.com

"يعطي باترسون وبايتــرو القــراء قيمة مــا يدفعونه دائما، وهــذه الرواية دليل جديد على ذلك. ستجدون أنها مؤثرة وقوية من البداية إلى النهاية، بل وإلى ما بعد النهاية. وبمجرد أن تبدأ القراءة، لن تستطيع التوقف".

– موقع BookReporter.com

11TH HOUR

"تتســارع الأحداث بسرعة الصــاروخ، ولا تتوقف الرواية عن تقديم المفاجآت حتــى النهايــة. كمــا أن مفتتــح الروايــة كان جذابا ومتقنــا. باترســون وبايترو يستهدفان رضا القارئ ويأسرانه من البداية.

– موقع Examiner.com

"كل فصــل سريــع الإيقــاع ومليء بالإثــارة والتشويق، وسيحبــس أنفاسك من البداية".

– موقع NightsandWeekends.com

10TH ANNIVERSARY

"فصـول هذه الرواية قصيرة مشوقة، وأحداث سريعة الإيقاع تحبس الأنفاس. إنها رحلة لا مثيل لها، فلا تفوتها".

– موقع NightsandWeekends.com

"نسج باترسون وبايترو ثلاثة ألغاز سريعة الإيقاع تتضافر معا في رواية واحدة مشوقة نوصي بها بشدة".

– *لايبراي جورنال*

THE 9TH JUDGMENT

"هذه الرواية تمثل كل ما يجب أن تكون عليه روايات الإثارة والغموض الممتازة. إنها تصدم القارئ وتجعله يتابع الأحداث بكل شغف وصولا إلى صفحة النهاية".

– موقع BookReporter.com

"رواية جديدة بقلم باترسون وبايترو لمعجبيهما المخلصين الذين لا يملون ما تجود به قريحتاهما".

– موقع: TheReviewBroads.com

THE 8TH CONFESSION

"كانـت النهايـة مذهلـة لدرجـة أننـي تمنيـت أن تكـون بحوزتي روايـة أخرى لباترسون كي أبدأ فيها على الفور".

– موقع Bookalicio.us

"إثارة وغموض وجرائم قتل مرعبة".

– *بابلشرز ويكلي*

"رواية جديدة بطابع روايات باترسون المميز- لابد من قراءتها".

– موقع TheNovelBookworm.com

7TH HEAVEN

"رواية ممتازة من روايات باترسون تصلح لمعجبيه القدامى وكذلك لقراء السلسلة الجدد".

– موقع TheRomanceReadersConnection.com

"رواية محبوكة سريعة الإيقاع ذات شخصيات شديدة الجاذبية. لذا يمكنني بسهولة أن أفهم سبب شعبية هذه السلسلة، وأرغب في المزيد!".

– *آركون ريكورد*- كورير (أوهايو)

THE 6TH TARGET

"تحفة فنية جديدة".

– موقع 1340magbooks.com

"رواية شديدة التشويق، من النوع الذي لا يكتبه سوى باترسون".

– موقع EdgeMiami.com

THE 5TH HOREEMAN

"هؤلاء الذين لم يقرأوا أيًّا من سلسلة نادي السيدات لجرائم القتل يخدعون أنفسهم".

– موقع BookReporter.com

"رواية عذبة ورائعة... باترسون رائع كالعادة".

– موقع NewMysteryReader.com

4TH OF JULY

"رواية مذهلة مشوقة، ويجب قراءتها".

– موقع RebeccasReads.com

"رواية قوية مليئة بالأحداث غير المتوقعة. وبمجرد أن تبدأ في القراءة لن يمكنك التوقف. ولن تندم على اقتنائها".

– موقع EdgeBoston.com

3RD DEGREE

"اشتر هذه الرواية؛ فمن خلالها ستفهم لماذا يطلقون على باترسون المؤلف صاحب الأعمال الأكثر جاذبية في العصر الحالي".

– موقع Bestsellersworld.com

"رواية مذهلة ومرعبة. التشويق لا ينتهي في هذه الرواية، والحبكة مبهرة!".

– موقع Myshelf.com

2ND CHANCE

"بطلات ملهمات، وحبكات ثانوية مشوقة وإيقاع سريع مشوق. يقدم باترسون رواية تشويق جديدة من سلسلة روايات نادي السيدات لجرائم القتل".

– *مجلة بيبول*

"رواية تشويق رائعة سريعة الإيقاع لصاحب المؤلفات المشوقة الأشهر في الوقت الحالي".

– *سان فرانسيسكو كرونيكل*

"عمل ممتاز جديد من باترسون. رواية تشويق من الدرجة الأولى، مليئة بالألغاز والأحداث غير المتوقعة والمشاهد القوية".

– *بابليشرز ويكلي* (مراجعة متميزة)

1ST TO DIE

"لا أستطيع أن أصدق مدى مهارة باترسون. إنه بارع دائما".

– *لاري كينج، يو إس إيه توداي*

"يكتب باترسون كل مشهد ببراعة منقطعة النظير، بكل تفاصيله الدقيقة، ما يبرز ملامح الشخصيات ويقوي الحبكة الدرامية. هذا كله يجعل القارئ يرى الصور تتوالى أمامه كأنه يجلس في دار سينما".

– مايكل كونيلي؛ مؤلف *Nine Dragons*

"إن منعطفات الرواية الذكية والحبكات الفرعية المتقنة تبقي القارئ مشدودا للرواية حتى آخر صفحة".

– *مجلة بيبول*، (صفحة الكتب المتميزة للأسبوع)

"رواية مثيرة للغاية".

– *شيكاجو تريبيون*

"هذا العمل المشوق سريع الإيقاع والصادم سيجبرك على قراءته والانتهاء منه في جلسة واحدة".

– *دنفر روكي ماونتين نيوز*

المحتويات

إلى أصدقائي نادي السيدات لجرائم القتل

الجزء الأول

الفصل

١

بعد الرابعة صباحًا، تحت سماء خالية من النجوم، عبر رجل يرتدي معطفًا صوفيًّا رثًّا، وقبعةً سوداء منسوجةً، جسر برودواي متوجهًا إلى شارع فرونت، وهو يدندن لحنًا في أثناء سيره متمهلًا باتجاه الجنوب نحو ميدان سيدني جي. والتون.

كان الميدان عبارة عن متنزه يشغل مساحة مربع سكني واحد، يبث الراحة في النفوس، يحده سور حديدي تقطعه بوابة أثرية من القرميد، بشكل مائل في أحد الأركان. وفي الداخل توجد الممرات، والمقاعد، وأحواض المتنزه التي تتقلص الآن، نظرًا إلى انتهاء موسم الزراعة.

يكتظ ميدان والتون خلال ساعات النهار بالموظفين من الحي المالي في سان فرانسيسكو، وهم يتناولون وجبات الغداء الجاهزة بالقرب من النافورة. أما في الليل، فتصبح الشوارع فارغة، ويشغل المتنزه أشخاص مشرَّدون، يفتشون في صناديق القمامة، وينامون على المقاعد مجتمعين بالقرب من البوابة.

توقف الرجل الذي يرتدي المعطف الصوفي خارج السياج الحديدي، ونظر إلى أرجاء المتنزه والمناطق المحيطة لغرض ما. كان لا يزال يدندن بكلام لا نغمة له، ويمسك بمسدس من عيار ٩ ملم داخل جيبه الأيمن.

كان الرجل -الذي يُدعى مايكل- يبحث عن شخص معين، ظل يعاين المكان فترةً من الوقت، بينما كان المشردون يتسكعون في أرجاء المتنزه، وعلى الأرصفة التي تحيط به. لم ير المرأة التي كان يبحث عنها، لكنه لن يدع هذه الليلة تضيع هباءً.

وبينما كان يراقب المكان، قام رجل يرتدي طبقات من الملابس البالية القذرة بمغادرة المتنزه، واتجه شرقًا، صوب منطقة إمباركاديرو ورصيف الميناء، حيث تحتوي صناديق القمامة على غنائم متنوعة، أفضل كثيرًا من بقايا شطائر الموظفين.

كان هذا الرجل الأشعث، رث الثياب، يتحدث إلى نفسه، ويحك لحيته، بدا كأنه يعُدّ أرقامًا، ويلمس كل إصبع في يده اليمنى بإبهامه اليمنى، ويكرر هذا الطقس بشكل جدي.

لم يلاحظ هذا المشرد أن الرجل الذي يرتدي المعطف الصوفي كان يقف أمام السياج.

ناداه مايكل قائلًا: "مرحبًا يا صاح. هل لديك سيجارة؟".

التفت الرجل المشرد بعينيه المجهدتين إلى الرجل الذي يوجه المسدس إليه. استوعب الأمر بسرعة، فرفع يديه إلى أعلى، وبدأ التوضيح.

"لا يا رجل، لم أستولِ على المال، بل هي من فعلت. إنني بريء..."

سحب الرجل الذي يرتدي المعطف الزناد مرة واحدة، وأطلق رصاصته في صدر المشرد مباشرة، فطار الحمام من فوق المباني المجاورة.

ضرب المشرد يده على صدره، وفتح فاه في صدمة عقدت لسانه، لكنه كان لا يزال واقفًا، ولا يزال يحدق إلى وجهه.

أطلق مايكل طلقة أخرى، فتهاوت ركبتا الرجل المتشرد، ثم سقط دون حراك.

تحدث إلى الجثة قائلًا: "أيها الحثالة التي لا قيمة لها، لقد جلبت هذا لنفسك، ويجب أن تشكرني".

نظر حوله، وتوارى في بقعة مظلمة من الحديقة، ثم وضع مسدسه على الأرض، وخلع قفازه، ودسَّه في جيبه، وراح يخلع معطفه القديم.

كانت جميع ملابسه سوداء بالكامل تحت المعطف، حيث كان يرتدي سروالاً من الجينز، وكنزة عالية الياقة وسترة مبطنة، ثم دسَّ المسدس في سترته، ولملم المعطف، ووضعه في سلة المهملات.

قال لنفسه: سيعثر عليه شخص ما، وسيرتديه، فهنيئًا له.

انسل مايكل من وراء كتلة من الأشجار، وجلس على أحد المقاعد. بدأ الصراخ، فقد تدفق المشردون من جوانب المتنزه كصف من النمل، والتفوا حول الجثة.

لم يلاحظه أحد. ولم تكن هناك صفارات إنذار، ولا أحد يقول "هل رأيت ما حدث يا *صاح*؟".

لا شيء.

بعد بضع دقائق، وقف القاتل، ويداه في جيبي سترته، مغادرًا الحديقة، ومتجهًا إلى البيت.

ستكون هناك ليالٍ أخرى.

لا بد أن يحالفه الحظ في إحدى هذه المرات.

الفصل
2

في صباح يوم الاثنين، كانت يوكي كاستيلانو، مساعدة المدعي العام، في قاعة المؤتمرات في مكتب المدعي العام في سان فرانسيسكو، جالسةً إلى طاولة مصنوعة من خشب الماهوجني في مواجهة شاب وسيم، ذي ملامح طفولية. كانت يوكي قد تبنت قضية اغتصاب اعتقدت أنها في حال تقديمها إلى المحاكمة، فإنه سوف يكون بمقدورها أن تغير منظور الملاحقة القضائية لتهم الاغتصاب على مستوى البلاد. فقد زُعِم أن مسئولة تنفيذية في وكالة إعلانات شهيرة، تحتل الصدارة في سان فرانسيسكو، قد اغتصبت موظفًا تحت تهديد السلاح، وقد صممت يوكى على النظر في هذه القضية.

بعد أن تركت وظيفتها، وقضت عامًا في مؤسسة رابطة الدفاع غير الربحية، طلب منها المدعي العام، ليونارد "ريد دوج" باريزي، العودة، والعمل مساعدة له في دعوى قضائية مدوية، ولكنهما مُنيا بخسارة مهينة، وهي الآن ترغب بشدة في الانتصار لنفسها، ولباريزي، وللمدينة.

سألت قائلةً: "مارك، هل أحضر لك أي شيء؟ أتريد مياهًا معدنية؟ قهوة؟".

أجاب: "لا، شكرًا. أنا على ما يرام".

كان مارك كريستوفر منتج إعلانات تليفزيونية مع شركة آد شوب، وكان هو الضحية في هذه القضية، حيث يدعي أن بريانا هيل، رئيسة قسم الإنتاج

التليفزيوني في الوكالة ورئيسته، قد اعتدت عليه. وقد قامت إدارة الجرائم الجنسية في قسم الشرطة الجنوبي، التابع لمركز شرطة سان فرانسيسكو، بالتحقيق في شكوى كريستوفر، ووجدت أدلة مقنعة كافية لعرض القضية على مكتب المدعي العام.

وبعد الاطلاع على الأدلة، ومقابلة كريستوفر، طلبت يوكي من باريزي السماح لها بإحالة القضية إلى هيئة المحلفين العليا.

قال باريزي: "يوكي، يمكن أن يكون هذا فخًا. فسيكون عليك إقناع هيئة محلفين بأن هذا الشاب يمكن أن يكون قد تعرَّض إلى التهديد بسلاح حيٍّ، وموجه إلى رأسه، وأن امرأة اعتدت عليه. أتريدين حقًا فعل ذلك؟ سواء أفزت أم خسرت، ستظل هذه القضية تلازمك".

قالت: "لين، أنا متأكدة تمامًا أنه تعرض للاعتداء، وأستطيع إثبات ذلك. إذا استطعنا الحصول على قرار الاتهام، أريدك أن تسمح لي بالعمل على هذه القضية".

قال لين بارتياب: "حسنًا، افعلي كل ما بوسعك".

من وجهة نظر يوكي، يعد إجبار شخص على الدخول في علاقة دون رضاه عبارة عن اغتصاب، بغض النظر عن جنسه. ونادرًا ما تكتسب قضايا اغتصاب النساء للرجال زخمًا؛ إلا إذا كانت المرأة معلمة، أو في منصب سلطوي آخر، وتكون الضحية طفلًا، أو مراهقًا بصورة أعم. ففي تلك الحالات، ترتبط الجريمة بسن الضحية أكثر من الفعل الوحشي المفترض وقوعه عليه من قبل المرأة.

وطبقًا لهذه الحالة، فإن بريانا هيل ومارك كريستوفر كانا في العمر نفسه تقريبًا، فكلاهما في أواخر العشرينيات من عمره. وكان كريستوفر مرءوسًا لهيل في شركة آد شوب، ولكنه لم يتهمها بالتحرش في العمل، بل ادعى أن هيل هددت بإطلاق النار عليه إذا لم يذعن لها بأحد الأفعال السادية.

هل كانت هيل ستضغط على الزناد؟ لا أهمية لذلك من الناحية القانونية. كل ما يهم هو أن مارك كريستوفر *اعتقد* أنها ستطلق النار عليه.

وكما قال لين باريزي، سيتمثل التحدي في إقناع هيئة محلفين بأن هذا الشاب الواثق لم يكن يستطيع قتال هيل ومقاومتها، بل إنه أُجبر على إقامة

علاقـة كاملـة رغمًا عنه تحـت تهديد السلاح مـع امرأة كان علـى علاقة بها، وسبق له معاشرتها عدة مرات من قبل.

لكـن يوكـي ستروي قصـة كريستوفر، قائلـةً: لقد رفض طلبهـا، لكن هيل اعتـدت عليه علـى أية حال. لقد رأت يوكـي أن هذا دليـل. وسيتعين على هيئة المحلفيـن العليـا أن تقرر إن كان هناك ما يكفي مـن الأدلة لدعم تلك الرواية للأحداث. وبمجرد إحالة هذه القضية إلى المحاكمة، سواء أربحت أم خسرت، فسيُعرف مـارك بأنه من اتهم امرأةً باغتصابه. فـإذا ثبتت إدانة بريانا هيل، فستذهـب إلـى السجن، وستتغير ملامـح تناول ظاهرة التحرش الجنسي في مكان العمل.

الفصل
3

كانت الجدران الزجاجية تفصل غرفة المؤتمرات عن الممر المكتظ بالأفراد الفضوليين المزعجين.

تجاهلت يوكي أولئك الذين كانوا يختلسون النظر إلى منتج الوكالة، عريض المنكبين، داكن الشعر، الذي كان مسترخيًا في مقعده إلى حد ما. كان يبدو عليه التأثر الشديد بينما كان يصف ما زعم أنه حدث قبل شهرين، وبدا هشًّا للغاية.

خرجت يوكي من قاعة المؤتمرات للتحدث إلى أحد زملائها. وعندما عادت إلى مقعدها، كان كريستوفر قد أدار كرسيه، بحيث كان يحدق من خلال النوافذ إلى الزاوية المملة التي تظهر من الطابق الثالث لشارع براينت.

قالت يوكي: "مارك، لنتحدث عن الأمر مرة أخرى، أتوافق؟".

أدار الكرسي مرة أخرى، قائلًا: "أفهم أنني يجب أن أشهد أمام هيئة المحلفين الكبرى. أستطيع فعل ذلك، ولكن ما يثير قلقي هو الذهاب إلى المحاكمة، وردة فعلي عندما يصفني محامي بريانا بأنني كاذب".

كانت يوكي سعيدة بأن مارك قد تحدث عن هذا. كان محقًّا في قلقه. بدا محامي بريانا هيل - المدعو جيمس جيفتوس - أشبه ببائع أحذية مهذب، لكن لم يكن هذا إلا هيئة خادعة لمحامٍ هجومي سيقوم بكل ما في وسعه لتدمير مصداقية مارك كريستوفر.

سألته يوكي: "ماذا تتوقع أن تكون ردة فعلك؟".

"إنني لا أعرف. يمكن أن أغضب، وألاحق الرجل. وربما أنهار وأصبح ضعيفًا تمامًا".

قالت يوكي: "من الجيد أن نفكر في هذا الأمر مسبقًا، ولكن لن يكون جيفتوس في جلسة الاستماع أمام هيئة المحلفين الكبرى. نحن نطلب فقط من هيئة المحلفين لائحة اتهام تستند إلى وقائع هذه القضية. أعتقد أن هيئة المحلفين ستصدقك، كما أصدقك أنا".

واصلت يوكي حديثها: "إذا تم توجيه اتهام إلى هيل، فسنذهب إلى المحكمة. وستكون هي هناك للطعن على شهادتك، وتقديم روايتها عن هذا الهجوم، ومن ثم يقوم جيمس جيفتوس بكل ما في وسعه ليجعلك تبدو كاذبًا وفاسدًا".

"يا إلهي! هل يمكنك أن تسانديني في خوض هذا الأمر؟".

قالت يوكي: "حسنًا، سأقولها لك بشكل مباشر. نظرًا إلى أنك كنت في علاقة مع بريانا، فلن تكون محميًّا بموجب قانون ردع الاغتصاب. ويمكن أن يسألك جيفتوس عن علاقتك غير المشروعة مع بريانا بالتفصيل: كم مرة التقيتما؟ كيف كانت تلك اللقاءات؟ ما الذي جعلك تدعوها إلى شقتك؟ لن تكون هناك حدود لأي شيء".

قال كريستوفر بنبرة بائسة: "رائع! يا له من أمر غاية في السهولة".

"ستتناول الصحافة تفاصيل المحاكمة. قد يؤيد الرأي العام بريانا، وقد تتم مهاجمتك لفظيًّا. يمكن أن تصبح الأمور غاية في الفظاعة يا مارك. وإذا فزنا، فربما لن تعود حياتك إلى سابق عهدها أبدًا".

غطى الشاب وجهه بيديه.

فقالت له يوكي: "مارك، إذا كنت لا تريد الاستمرار في ذلك، فسوف أتفهم".

قال مارك: "شكرًا على ذلك. سأكون جاهزًا. *سأ*جبر نفسي على أن أكون مستعدًّا".

قالت يوكي: "لديك رقمي. اتصل بي في أي وقت".

رافقت يوكي كريستوفر إلى المصعد، وبينما كانت تصافحه، قال لها: "لقد خطرت لي فكرة".

فقالت: "أخبرني".

"يجب أن تتحدثي مع بول بيتس. إنه مؤلف إعلانات في شركة آد شوب. نحن مجرد صديقين عاديين، لكنني أعتقد أن شيئًا ما حدث معه هو وبريانا".

فسألته يوكي: "حقًّا؟ علاقة غير مشروعة؟".

قال كريستوفر: "لا أعرف، أنا على يقين بأنهما كانا يلتقيان في الغالب. بدا أن بينهما علاقة ما، ثم توترت علاقتهما بعد ذلك".

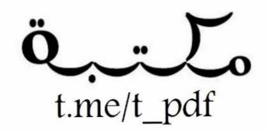
"هل قدَّم بلاغًا إلى وحدة الجرائم الجنسية؟".

"لا، لا أعتقد أنه تحدث معهم، أو مع أي شخص آخر. كنت سأسمع إن حدث ذلك".

قالت يوكي: "بول بيتس. سأتواصل معه. تحلَّ بالقوة يا مارك".

ابتسم ابتسامة تشوبها ارتجافة عند دخوله إلى المصعد.

وقفت يوكي في مكانها، بينما أغلقت الأبواب، ثم عادت إلى مكتبها. لم تكن واثقة بأن مارك سيظل متماسكًا، ولا يمكنها إلقاء اللوم عليه. فإذا كانت في مكانه، فستشعر بالصراع والخوف أيضًا، لكن الحقائق الأساسية في القضية المرفوعة ضد بريانا هيل كانت لا تقبل الجدل: سجَّل مارك وقائع، وبريانا كانت تصوب نحوه مسدسًا، وستعيد شهادة مارك الحياة إلى هذه الحقائق أمام المحلفين.



الفصل 4

بعد يومين من لقائها الأخير بمارك كريستوفر، تلقت يوكي مكالمة من جيمس جيفتوس، محامي الدفاع عن بريانا هيل.

قال لها: "السيدة كاستيلانو، معك جيمس جيفتوس. تود موكلتي التحدث إليك، فهل يسمح جدول مواعيدك بلقاء في أي وقت هذا الأسبوع؟".

فسألته يوكي: "أوه؟ ما الأمر؟".

كان جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بها مفتوحًا، وبدأت تدوِّن الملاحظات، بينما تحدث جيفتوس.

أجابها قائلًا: "السيدة كاستيلانو، آه، يوكي- تود موكلتي إطلاعك على نسختها من القصة. وتأمل عندما تستمعين إلى ما حدث بالفعل، أن يتضح لك أن ادعاءات السيد كريستوفر لا أساس لها من الصحة على أرض الواقع، وهي على استعداد للاعتذار إن كان هناك سوء فهم، ثم تأمل بعد ذلك أن يتمكن مارك من التغاضي عن تلك الأحداث المؤسفة، وأن يتمكنا من مواصلة حياتيهما".

وهكذا أراد جيمس جيفتوس من يوكي أن تقابل موكلته، باعتبارها "شاهد ملك". وخلال هذه المقابلة ستحاول السيدة هيل إقناع يوكي بضرورة إسقاط الدعوى لعدم كفاية الأدلة.

كانت قواعد سير هذه المقابلات واضحة. ستأتي بريانا هيل ومحاميها إلى مكتب يوكي، حيث ستؤدي هيل اليمين القانونية، ثم ترد على أسئلة يوكي، وسيتم تدوين إجاباتها من قبل أحد كتبة المحكمة. ولن يُسمح لهيل بالاتكال على التعديل الخامس في وثيقة حقوق الولايات المتحدة الأمريكية، والأهم من ذلك فيما يخص أغراض يوكي، إذا قرر المدعي العام المضي قدمًا في القضية، فإنه لا يمكن استخدام أي شيء قالته هيل ضدها في جلسة هيئة المحلفين العليا، أو في المحاكمة.

ولكن هناك مشكلة كبيرة، *إذا* وقفت هيل أمام المحكمة، واختلفت شهادتها عما ستقوله ليوكي بعد أداء القسم، فستكون جميع الاحتمالات واردة، وسيضيع منها حق الشهادة المميزة الذي حصلت عليه، وتستطيع يوكي أن تستخدم ضدها أي شيء قالته في المقابلة.

كانت صفقة جيدة للادعاء العام.

ستقدم بريانا هيل نسختها من القصة، وهذا يعني أن يوكي ستعرف أساس قضية الخصم.

قالت يوكي لجيفتوس: "سأكون متفرغة اليوم في الثانية ظهرًا".

قال: "اتفقنا".

أغلقت يوكي الخط مع جيفتوس، ودوَّنت بعض الملاحظات لإضافتها إلى الملف، ثم سارت في الردهة لاستئناف التشاور مع لين.

الفصل 5

ألقت يوكي التحية على بريانا هيل وجيمس جيفتوس في الثانية بعد ظهر ذلك اليوم، واصطحبتهما إلى قاعة المؤتمرات، حيث كانت كاتبة المحكمة تنتظر.

كانت هيل رشيقة القوام، ذات شعر داكن يتدلى على كتفيها، وكانت ترتدي قميصًا حريريًّا محتشمًا وبذلة رمادية أنيقة.

كانت غاية في الجمال، وأدركت يوكي أنها شديدة الذكاء أيضًا. ولدت بريانا هيل ونشأت في دالاس، وحصلت على شهادة علمية في مجال الأفلام من جامعة كاليفورنيا الجنوبية، وماجستير في إدارة الأعمال من جامعة نيويورك. كانت قد حصلت على وظيفتها الأولى في شركة إنتاج، وبعد بضع سنوات تم تعيينها لدى شركة آد شوب، حيث سرعان ما ترقّت؛ لتترأس قسم الإنتاج التليفزيوني.

وبصفتها رئيسة قسم الإنتاج التليفزيوني، كانت تعمل تحت إشراف رئيس الوكالة مباشرة، وكانت مسئولة عن ملايين الدولارات التي يتم إنفاقها سنويًّا في الإعلانات التليفزيونية لكبار العملاء.

أظهرت بريانا الجانب التنفيذي رفيع المستوى في شخصيتها، فبدت هادئة، وواثقة بنفسها، لكن يوكي لاحظت الهالات السوداء تحت عينيها، والطريقة التي تمسك بها القلادة المتدلية من سلسلة طويلة حول رقبتها.

أغلق جيفتوس هاتفه، وأدت هيل اليمين، وكانت كاتبة المحكمة تجلس على طاولتها في أحد أركان الغرفة.

قالـت يوكي: "سيدة هيل، هل تفهمين أن هذه المقابلة تعني أن بيننا اتفاقًا ملزمًـا، وأنك مطالبة بالرد على جميع أسئلتي بصدق، وإذا لم تقولي الحقيقة، فسوف يُلغى اتفاقنا؟".

قالت هيل: "أعرف بالتأكيد، لقد طلبت إجراء هذه المقابلة، وأود إخبارك بما حدث. أقسم أن أقول الحقيقة".

فُتـح باب قاعـة المؤتمرات، ودخـل لين باريزي. كان المدعـي العام رجلًا ضخـم الجثـة، طويل القامـة، يتجاوز وزنـه الثلاثمائـة رطل، ذا شعـر أحمر خشـن. كان معروفًا بعقليته القانونيـة الفذة، وعناده، وسجل انتصاراته المثير للإعجاب.

كان باريـزي يبـدي اهتمامًا خاصًّا بهـذه القضية من بين مئـات القضايا الواقعـة في نطاق اختصاصه؛ لأن قضية بعنوان *الـرأي العام ضد هيل* ستكون قضيـة ذات صـدى إعلامي كبيـر؛ حيث إنها ستكـون فضيحـة ذات تداعيات اجتماعية شديدة. وقبل أن يطلب مكتبه قرار اتهام، أراد باريزي أن يكوِّن وجهة نظره الخاصة بشأن بريانا هيل.

صافـح هيل وجيفتوس، وجلس بقوة في الكرسي إلى جانب يوكي. نقر بقلم حبـر جـاف عدة مـرات بإبهامه الكبير فـوق نقطة على لوح من الـورق أمامه، ونظر عبر الطاولة، وابتسم قائلًا: "سيدة هيل، إنه اجتماعك. وما دمت تقولين الحقيقة، فلا يمكن استخدام أي شيء تقولينه ضدك".

قالت هيل: "أعلم ذلك".

أبقـت يوكي وجههـا خاليًا مـن أي تعبير، لكنهـا كانت متحمسـة لمواجهة جيمسـ جيفتوسـ في مثل هــذه القضية المهمة. وكان هذا هـو السبب في أنها تحب عملها مع المدعي العام.

الفصل
6

ضمت بريانا هيل يدها أمامها، وقالت: "هذه قصة كئيبة إلى حد ما، ولكن يجب أن أسردها. من أين أبدأ يا جيمس؟ هل أبدأ بالحادثة المزعومة، أم بما أدى إليها؟".

قال محاميها: "ابدئي بخلفية القصة أولا".

قالت هيل: "حسنًا. سيد باريزي، سيدة كاستيلانو، إن الشيء الوحيد الذي يجب أن تعرفاه هو أن مارك كان يعمل معي طوال ستة أشهر، قبل أن يخبرني بأنه كان مهتمًّا بي. أرسل الزهور إلى شقتي في ذكرى ميلادي، ولن أقول إنه كان يلاحقني، ولكنه كان موجودًا عندما كنت أغادر المكتب، أو أذهب إلى مقهى ستاربكس لأشترى كوبًا من القهوة، وما إلى ذلك. ابتاع لي كوبًا، وفي المرة التي تلتها ابتعت له كوبًا ليتناوله خارج المقهى".

"ثم طلب مني أن نخرج معًا".

تابعت: "رفضت. فلم أكن أفكر فيه بهذه الطريقة. حتى إذا راودتني الفكرة، كنت أمحوها من عقلي؛ وذلك لأن مقابلة مارك كانت من الممكن أن تُخل بالتسلسل القيادي أو تجعل موظفي قسم الإبداع منزعجين".

قالت يوكي: "وما الذي غيَّر رأيك؟".

قالت هيل: "سأتطرق إلى ذلك الآن. على أية حال، كنت أتجنب مارك، لكنه أصر، وأدرك أنني بدأت أُكنُّ له إعجابًا. كان خفيف الظل، وجذابًا للغاية، وبالمناسبة كان منتجًا جيدًا؛ لذلك وافقت على تناول الغداء معه. إنه مجرد غداء، أليس كذلك؟".

لاحظت يوكي شيئين في أثناء تحدث بريانا: الأول أنها كانت متحدثة بارعة، والثاني أنه وفقًا لما تقوله هيل، فإن كريستوفر هو من بدأ التودد إليها، لكن هذا لن يعني شيئًا من حيث إدانتها أو براءتها، ولكنه سيكون نقطة تدعم رواية الدفاع بشأن الاعتداء.

قالت هيل: "لقد أعجبت بمارك، ولكنه كان مجرد إعجاب قبل تلك الفترة التي كنا ننفذ فيها إعلانًا لشركة كرونوز بير في مدينة فينيكس قبل أربعة أشهر. كان التصوير رائعًا، والمخرج كذلك، وكانت الميزانية كبيرة، وكنا جميعًا -موظفي شركة الإنتاج وموظفي الوكالة- نقيم في فندق رائع. وبعدما أنهينا التصوير، ذهبنا لتناول العشاء والمشروبات في مطعم الفندق والكافيتريا في نهاية اليوم الأخير".

ثم أضافت هيل: "كنت سعيدة للغاية، وكان الجميع كذلك - كان الأمر أشبه بالاحتفال. ثم مكثت مع مارك حتى وقت إغلاق الكافيتريا؛ كنا نشعر وكأننا وحدنا في جزيرة معزولة، ثم دعاني إلى غرفته، وذهبت معه".

أمسكت هيل لسانها، وابتلعت ريقها بصعوبة، وبدت كأنها تتذكر ما حدث في تلك الليلة. نظرت إلى يوكي، وبدت مستاءة من تلك الذكرى.

قال جيفتوس: "أكملي حديثك يا بريانا. ماذا حدث عندما رجعت إلى المدينة، وعدتِ ثانية إلى روتين حياتك اليومية؟".

تنهدت هيل، ثم بدأت استجماع قواها لاستكمال تلك القصة البائسة التي نتجت عن علاقتها الجديدة بمارك كريستوفر.

الفصل 7

تحدثت بريانا هيل نصف ساعة، وبدأت طريقتها الواثقة في التداعي، وبدت مستسلمة عندما قالت: "بدأت أنا ومارك نكرر لقاءاتنا".

ثم أضافت: "لم أكن واقعة في حبه، لكن لم يكن في حياتي غيره. وفي النهاية، بدأت أفقد اهتمامي به، وكان مارك يشعر بذلك، ما جعله شديد التعلق بي إلى حد العدوانية. وفي إحدى الليالي توقف أمام مكتبي في نهاية اليوم، وقال لي: "لنتناول شيئًا من الطعام"، فوافقت. اعتقدت أننا سنجري نقاشًا عن عدم سير العلاقة بالشكل الطبيعي، وربما نتفق على إنهائها.

لكن ليس هذا ما حدث.

ذهبنا إلى مكاننا المعتاد، وهو مطعم يدعى باناسيا، على بعد مسافة قصيرة من شقة مارك. وقد بدأت بمشروب قبل العشاء. في الواقع، كنت أشرب قبل العشاء وفي أثنائه وبعده.

أظن أن مارك كان يتحدث عن السياسة، لكنني لم أكن أصغي له حقًّا. كنت أحاول أن أقرر إن كنت سأقطع علاقتي به في تلك الليلة، أو أمنحها المزيد من الوقت؛ لأفكر مليًّا في الإيجابيات والسلبيات. بعد العشاء انتقلنا إلى كافيتريا المطعم، حيث طرح مارك فكرته الخطيرة".

سأل لين: "هل كانت فكرته هو بالفعل؟".

أجابـت: "نعم. كان يعلـم أنني أحمل مسدسًا طوال الوقـت، وكان يقول إن هذا يثير رغبته، ثم قال إنه يريدني ... أن أتظاهر بالاعتداء عليه. قال إن عليَّ حمـل السلاح في وجهه، وأن آمـره بربط نفسه بالسرير، واتباع توجيهاتي، وإلا قتلته - شيء من هذا القبيل.

كان الأمـر سخيفًـا، لكنني لم ألعـب قط في حياتي لعبـة خيالية مثل تلك. ظـل يقول بابتسامة كبيـرة على وجهه، إن الأمر سيكون ممتعًا، وإن هذا سيكون لصالـح علاقتنا، فقد أراد منـي أن "أظهر له مدى رغبتي فيه". أعتقد أن تلك هي الصيغة التي تحدث بها".

واصلت هيل: "ذهبنا إلى شقته. هذا هو المكان الذي كنا نذهب إليه دومًا. أفرغـت مسدسـي، ووضعت الطلقات فـي حقيبتي، ثم اتبعـت السيناريو الذي رسمـه، وحاولـت الاندماج في هذا الدور. لقد كان الأمـر ممتعًا نوعًا ما، ولكنه كان غريبًا أيضًا، هذا ما أتذكره من الأمر.

بعدمـا انتهينـا، استغرقت في النـوم، بل كلانا فعل هـذا. كان الأمر أقرب إلـى فقدان الوعي. استيقظت نحـو الساعة الخامسة، وفككت يديه، وقد كان لا يـزال نائمًا، لذلك ذهبـت إلى المنزل. ولم يكن يروق لي ما أشعر به، كما كنت مستـاءة منـه أيضًا. كنت أدرك أننـا تجاوزنا الحدود، وأنـه ليس هناك طريق للعودة".

استطردت هيل قائلة: "كنت أتجنبه في العمل، لكنه كان يتصل بي، ويترك لـي رسائـل تقول إنه يريد مني أن نلتقي، فقلت لـه: "عذرًا يا مارك، لقد انتهى الأمر". لم يعجبه ذلك، فظننت أنه سيتخطى الأمر، ولكنه جاء إلى مكتبي بعد ذلـك بيومين، بعد انتهاء العمل، وأغلق الباب، وعندهـا أخبرني بأنه قد سجل مـا حدث بيننـا، أجل، لقد سجله! وقال إنه يريد ربع مليـون دولار، وإلا سينشر الفيديو عبر الإنترنت".

سألتها يوكي: "هل اعتبرت هذا الأمر تهديدًا جديًّا؟".

تجمدت ملامح هيل، ثم قالت: "نعم، كان من المحتمل أن يكون لديه كاميرا خفيـة، فهـو منتج أفـلام، فضلًا عن أنـه كان يعلم أن جدتي قـد توفيت، وأنها تركت لي قدرًا كبيرًا من المال، فرفضت رفضًا قاطعًا، ولكنني كنت خائفة.

كنت أيضًا مصدومة، *ولا أزال* في حالة من الصدمة".

شعرت يوكي بأن بريانا تتكلم بمصداقية تامة، فهل كانت ممثلة متمكِّنة؟ أم أن روايتها صحيحة؟ لا بد أن يكون واحد منهما كاذبًا.

وضع جيفتوس يده على كتف بريانا، وطلب منها أن تتمهل دقيقةً لتهدِّئ من روعها.

بعد أن استجمعت شتات نفسها، وعلى الرغم من عدم اختفاء علامات الانزعاج من ملامحها، قالت: "تذكرت بعضًا مما فعلناه في غرفة نومه، ولكن لا أتذكر سوى القليل مما قيل. ومع ذلك، إنني متأكدة أن كل ما فعلته وقلته قد أملاه مارك عليَّ بالكامل؛ حيث إنني لم أفكر مطلقًا في الاعتداء باعتباره نوعًا من أنواع الإثارة، وبالتأكيد لم أكن أعرف قط أنه كان يسجل ... هذه اللعبة".

وتابعت هيل قائلة: "كنت أعرف دائمًا أن الطريقة الوحيدة لقهر الشخص المتنمر هي الوقوف في وجهه والتصدي له، ومارك كريستوفر شخص متنمر، كما أنه أيضًا إنسان حاقد، وغير مستقر نفسيًّا، هذا إذا أردت أن أنصفه. فأنا لم أعتدِ عليه، فقد كان الأمر برمته من نبع أفكاره، وقد أعد لي فخًّا. تلك هي الحقيقة كاملة".

الفصل
8

كان لدى يوكي أسئلة تود طرحها، بل الكثير من الأسئلة.

وكان لين ويوكي جالسين إلى طاولة الاجتماعات في مواجهة بريانا هيل ومحاميها، وشرعا في طرح الأسئلة.

ركزت يوكي على علاقة العمل بين هيل وكريستوفر.

هل كانت الإدارة في شركة آد شوب تحظر العلاقات في الوكالة؟ هل كانت السيدة هيل في منصب يخوِّل لها التحكم في ترقيات السيد كريستوفر وعلاواته؟ لماذا كان تقييم أدائه ضعيفًا بعد الواقعة التي حدثت في شقة السيد كريستوفر؟

أخبرتهما هيل بأنه لا توجد قاعدة صريحة تمنع العلاقات داخل الوكالة، وأن بإمكانها استغلال نفوذها للتأثير في علاواته، لكنها أوضحت أنه بعد حادثة الاعتداء المزعومة: "أصبح مارك يتحداها ويهددها، ولم ينفذ إحدى المهمات التي كان مكلفًا بها، وترك الفريق مشوشًا، وهدد بخسارتنا لحساب أحد العملاء. وبطبيعة الحال، انعكس موقفه الوضيع وتمرده على تقييم الأداء الذي أجريته معه".

كانت أسئلة لين تدور حول السلاح والعلاقة التي وقعت بينهما. هل كان مسدسها مرخصًا؟ هل لديها رخصة لحمل سلاح؟ أين كانت تحتفظ بالمسدس بالضبط؟ هل سبق لها أن استخدمته في أثناء علاقتها بكريستوفر ذات مرة

-أو أي شخص آخر- قبل الحادثة التي يناقشونها؟ هل تصف تصرفاتها في مثل تلك المواقف بأنها غير تقليدية أو "غريبة"؟

أكدت هيل أنها تعيش وحدها، وأنها تسافر في كثير من الأحيان، وأنها قد حصلت على رخصة لحمل سلاح، وأنها كانت تحمل مسدسًا معظم الوقت بعد بلوغها، وقد سجلته، واحتفظت به في حقيبة يدها طوال الوقت للحماية.

وأضافت: "لا أعرف ما الذي يمكن أن تسميه غريبًا يا سيد باريزي، لكن حتى حدوث هذا اللقاء مع مارك كريستوفر، لم أقم قط بتجربة الممارسة العدوانية في أية علاقة لي مع أحد".

قال لين: "وأنت تدعين أنكِ لا تعرفين ما قلتِه أو فعلتِه في أثناء ممارسة تلك العلاقة؟".

قالت: "أتذكر ما يكفي، أتذكر كلامه المنمق الذي ألقاه على مسامعي في الكافيتريا، ولكن لا أتذكر كثيرًا مما قلته، أو ما قاله هو في أثناء ممارسة العلاقة نفسها. كان الأمر مجرد محاكاة. كنا نمارس *العلاقة الجسدية*، وقد تجرعت الكثير من الشراب. لم أكن أحاول تذكر ما قلناه. ألم يكن ذلك ليبدو ضربًا من الجنون؟ عندما أفكر في الأمر، لا أتذكر سوى لقطات عابرة، كأن السرير كان تحت ضوء قوي. وما إن انتهى الأمر، أردت نسيان ما حدث".

ثم أضافت: "لديَّ بعض الأسئلة *لك* يا سيد باريزي. لماذا لم يخطف مارك المسدس مني؟ لماذا لم يحاول الهرب؟ لماذا لم يتصل بالشرطة؟ هل طرحت عليه هذه الأسئلة؟".

قال باريزي بلطف: "إذا كنت تعرفين، فهل كان مارك يشرب أيضًا؟".

أجابت قائلة: "بالتأكيد كان يشرب، ولكن لا أتذكر ما الذي شربه أو مقداره".

سألها باريزي: "هل طلب منك مارك أن تتوقفي قبل ممارسة العلاقة، أو خلالها؟ هل قال لك لا في أية لحظة من اللحظات؟".

قالت هيل: "ربما يكون قد قال ذلك، لكن ذلك كان الهدف من المشهد الذي رسمه لي؛ حيث كان من المفترض أن يكون هو الضحية، وأن أكون أنا المعتدية عليه بالقوة. كانت تلك لعبته".

قالت يوكي: "سيدة هيل، هل يمكنك إثبات أن السيد كريستوفر هو صاحب فكرة هذه اللعبة؟".

فأجابت هيل: "كيف؟ لقد دار حوارنا في كافيتريا".

فقالت يوكي: "لديَّ تسجيل السيد كريستوفر للعلاقة التي حدثت بينكما، وسنرسل نسخةً منه إلى مكتب السيد جيفتوس هذا الأسبوع. إنه شريط فيديو بالصوت يا آنسة هيل. يمكنك رؤية كل شيء وسماعه".

بعد مغادرة بريانا هيل وجيمس جيفتوس، ذهبت يوكي إلى مكتب لين. جلسا في مقعدين مناسبين ليرى كل منهما الآخر، محاطين برفوف الكتب، في مواجهة ساعة رُسم عليها وجه كلب بولدوج أحمر على الحائط خلف مكتبه.

سألت يوكي: "ما رأيك في الدفاع؟".

قال لين: "إن هيل تتسم بالمصداقية، كما أنها متكلمة بارعة، ولكن دفاعها عن الاعتداء، وقولها إن مارك أعطاها السيناريو، وإن أداءها كان وفقًا لتوجيهاته، لم يكن إلا روايتها في مقابل روايته، فضلًا عن أننا لا نمتلك تسجيلًا لمناقشتها سيناريو اللعبة، وشريط الفيديو لا يُظهر ولا يروي سوى ما حدث في غرفة النوم فحسب، وحينها كان هذا الفعل يحدث".

سألت يوكي: "هل حقيقة أنهما كانا على علاقة قبل الاعتداء تضر بهذه القضية؟".

قال باريزي: "ليس من الناحية القانونية، ولكنه يمكن أن يدفع المحلفين إلى التعجب من شكواه. وإذا لم نتمكن من الوصول إلى المزيد من الأدلة، فسنعتمد بشكل كامل على شريط الفيديو. لقد رفض، إلا أنها أبقت المسدس موجهًا إليه. إنه يقول إنه كان مليئًا بالذخيرة، وهي تقول إنه كان فارغًا. لكل منهما قوله".

تابع باريزي قائلًا: "لكنها تطرح أسئلة جيدة؛ لماذا لم يتصل بالشرطة عندما استيقظ؟ لماذا انتظر أسبوعين للقيام بذلك؟ هذا ما ينبغي لنا محاولة التوصل إليه. إن رواية أنه حاول ابتزازها لا تروق لي. هل يبدو هذا واقعيًّا بالنسبة لك؟".

قالت يوكي: "هذه هي أول مرة أسمع فيها عن الابتزاز. سأسأله".

فقال لين: "ما لم يصغ ذلك كتابةً، فلن يكون هذا إلا روايتها في مقابل روايته".

أومــأت يوكي برأسها متفقة معه، ثــم قالت: "لديهما زملاء مشتركون فيما بينهمــا، ولقــد أجريت مقابلــة مع ثلاثة أشخاص في شركة آد شــوب. سأقوم بمراجعة ملاحظاتهم مرة أخرى".

عادت يوكي إلى مكتبها وأعدت ملاحظات حول لقائها مع بريانا هيل. بدت هيل صادقة، لكن يوكي كانت قد شاهدت الفيديو؛ حيث رفض مارك كريستوفر ما تقوم به، لكن بريانا هيل لم تتوقف. وهذا هو ما يهم من وجهة نظر القانون.

الفصل
9

فـي الثامنـة إلا ربعًـا من صبـاح يوم الجمعة، وقـد كان يومًـا ضبابيًا، أوقفت سيارتـي من طراز إكسبلورر فـي موقف للسيارات يعمل طـوال اليوم في شارع بريانت على الجانب الآخر من مقر قيادة الشرطة؛ حيث أعمل في قسم جرائم القتل.

عبـرت الشارع من خلال الفواصل بين السيـارات، ورحت أقفز على السلم إلى المدخل الرئيسي للمبنى الجرانيتي ذي اللون الرمادي، الذي لم يكن يضم قسم شرطة سان فرانسيسكو في المنطقة الجنوبية فحسب، ولكنه يضم أيضًا مكتـب المدعي العام، والمحاكم البلدية، والسجـن، وفرقة الدراجات النارية. كنـت على وشك الإمسـاك بالمقبض الفولاذي للباب الأمامـي الذي يتكوّن من الفولاذ الثقيـل والزجاج، ويؤدي إلى مقر قيادة الشرطة عندما سمعت أحدهم ينـاديني، قائلًا: "أيتها الرقيب؟ أيتها الرقيب ليندسي بوكسر".

التفـتُّ، فرأيت امرأةً في منتصف العمر، ذات شعـر أشقر يتخلله الشيب، كانت تلبس كنزة صوفية متسخة بقلنسوة، وسروالًا فضفاضًا من الجينز، تسرع الخطـى نحوي. لـم أكن مندهشة من معرفـة الناس إياي، فقـد كانت قضيتي الأخيرة قضية مدوِّية، قام فيها قاتل مختل بتفجير أحد المتاحف؛ ما أسفر عن مقتل وإصابة العشرات، بمن فيهم زوجي. بعد مرور أسابيع على هذا التفجير، وطـوال فترة محاكمة ذلـك المجرم، كانت صورتي تتصـدر الصفحات الأولى

لصحـف سان فرانسيسكو، والأخبار المحلية. ظلت ذكريات تلك الجريمة التي لا توصف تهز الرأي العام بعد ذلك بعدة أشهر.

بـدا من خلال ما ترتديه تلـك المرأة أنها إحدى المشـرَّدات، وقد كان في جيبـي بعض العملات الباقية من ورقة فئة عشـرة دولارات، فأخرجت بعضها، ولكنها أزاحت يدي بعيدًا.

قالـت لي: "لا أحتـاج إلى المال - شكرًا لكِ. إنني في حاجة إلى مساعدتك أيتها الرقيب. أود الإبلاغ عن جريمة قتل".

نظـرت إليها؛ كانت طريقتها الواثقة التي تتحدث بها أشبه بافتتاحية حلقة قديمة من مسلسل *Murder, She Wrote*، لكن كان يتعين عليَّ أن آخذ كلامها على محمل الجد، فقد كانت المرأة بائسة، وأنا شرطية.

كنـا نسد مدخـل المقـر. كان المحامـون والموظفون وغيرهـم من رجال الشرطـة يحاولون المرور من جانبنا، بعضهم فعل هذا بوقاحة، والبعض الآخر باستعجال، فتنحَّيت جانبًا.

سألتها: "ما اسمك؟".

أجابت قائلة: "ميلي كوشينج. وأدفع ضرائبي".

تغاضيـت عن هذا الأمر. إذا كانـت تعيش في سـان فرانسيسكو، فسيكون لديها الحق في طلب المساعدة.

قلت لها: "ما المعلومات التي لديك عن جريمة القتل تلك؟".

فـردت قائلـة: "حسنًا، لـم أرَ الجريمة تحدث أمـام ناظريّ، ولـم أرَ جثة الضحيـة، لكنني كنـت أعرفه. لم يكـن جيمي دولان هو الشخـص الأول الذي أُردي قتيلًا في الشارع، ولن يكون الأخير أيضًا".

هل كانت ميلي كوشينج تتحلى بعقل سليم؟ لا أستطيع الجزم بذلك.

قلـت لها: "أتعرفين؟ تبدأ المناوبـة الصباحية الآن، وستكون غرفة الفريق صاخبة، ولذا فلنذهب إلى مكان آخر يمكننا التحدث فيه".

الفصل 10

اصطحبت ميلي إلى كافيه روما ـ سلسلة صغيرة من متاجر القهوة في شارع بريانت، الموجود في نهاية المجمع السكني الطويل المقابل لمقر قيادة الشرطة. وجدنا حجيرة صغيرة بالقرب من النافذة الزجاجية، ودوَّنت النادلة طلباتنا؛ القهوة لميلي والشاي والخبز المحمص الجاف لي.

قلت لها: "ميلي، اطلبي ما تشائين".

فاستجابت لما قلته، وطلبت البيض والخبز المحمص، والبطاطس والسجق، واللحم المقدد. ضحكتْ قائلة: "أعتقد أن هذا الأكل سيشبع جوعي حتى عطلة نهاية الأسبوع".

عندما غادرت النادلة الطاولة، طلبت من ميلي أن تخبرني بكل ما تعرفه عن جريمة القتل التي أتت بها إلى مقر قيادة الشرطة هذا الصباح لتبحث عني.

استندتْ إلى الطاولة الصغيرة، وشرعت تسرد قصتها.

فقالت: "وقعت الجريمة خارج ميدان والتون". كنت أعرف المتنزه جيدًا. فقد كان في الحي المالي، ولا يبعد كثيرًا عن محيط قسم المنطقة الجنوبية.

قالت ميلي: "حدثت الجريمة في وقت مبكر جدًّا من صباح يوم الاثنين. تم إطلاق النار على هذا الرجل اللطيف جيمي دولان على الرصيف في شارع

فرونت - هنا"؛ وأشارت وهي تنقر على منتصف صدرها: "طلقتان وانتهى الأمر".

سألتها: "كيف علمت بهذا الأمر؟".

فأجابت ميلي قائلةً: "قد لا يخطر ببالك ما سأقوله لك، لكننا مجتمع شديد الترابط. تم إطلاق النار على جيمي في الرابعة والربع صباحًا، أو نحو ذلك، وبعد ثلاث ساعات ذاع الأمر في الشارع، وذلك من خلال تداول الحديث فيما بيننا، وعدد قليل جدًّا من الهواتف المحمولة كما تعلمين".

"مجتمع؟".

فردت قائلة: "مجتمع المشردين. إنه مجتمع مؤقت بالنسبة إلى البعض، ولكنه طريقة حياة دائمة بالنسبة إلى آخرين. المقصود هو أن كلًّا منا يعرف الآخر، ويطلع بعضنا بعضًا على كل شيء؛ حيث نتبادل الأخبار في مراكز الإيواء والأماكن التي نذهب إليها في الشارع".

جاء الفطور، والتهمته ميلي.

استأذنتها بينما هي منهمكة في تناول الطعام لإجراء اتصال بشريكي ريتش كونكلين، لإخباره بأنني قد تأخرت، ولكنني سأحضر في وقت قريب.

عدت إلى مقعدي، وأضفت السكر إلى كوب الشاي. كانت ميلي قد تناولت قدرًا كبيرًا من البيض المخفوق.

قلت لها: "ميلي، هل تم استدعاء الشرطة؟".

قالت: "ما سمعته هو أنهم جاءوا، لكنهم لم يستقصوا قط أرجاء المكان، ولم يفعلوا شيئًا سوى الانتظار حتى وصول عربة نقل الجثث. إن جيمي يستحق أكثر من أن يتم دسه في صندوق، فهو يستحق العدالة. لقد كان الرجل شاعرًا؛ شاعرًا متمكنًا، بل كان أستاذًا في الجامعة قبل أن يفقد صوابه، ولكنه بالنسبة إلى الشرطة، ما هو إلا *حثالة* لا قيمة له".

قلت بنبرة حزينة: "يؤسفني سماع ذلك"، ثم طلبت من ميلي متابعة كلامها.

قالت ميلي: "كما قلت لك سابقًا، إن حوادث إطلاق النار كهذه تحدث في كل مكان. كان جيمي واحدًا من أناس كثيرين قُتلوا لا نعرف عددهم حتى الآن،

وأقــول لــكِ أيتها الرقيب إن وجــودي معك هو أكثر اللحظــات التي شعرت فيها بالأمان خلال عام".

"عام؟".

قاومــت رغبتي في تمرير يدي عبر الطاولة، والإمساك بيديها. حتى لو كان ما تقوله محض أوهام، فأنا أصدقها.

عندما تم رفع ما على الطاولة، شكرتني ميلي على إعادة ملء كوب القهوة، وأكملت حديثها من حيث انتهت. شعرت بأنها انتظرت وقتًا طويلًا، حتى يصغي إليها أي إنسان ويساعدها.

قالــت ميلي: "إنــه أمر بشع. لا أستطيع أن أكون دقيقــة بشأن كل من قُتِلوا، لكــن يمكنني أن أحصي ثلاثة حوادث قتل أخرى أيتها الرقيب بوكسر، ولم يتم التحقيــق فــي أي منها بشــكل صحيح. رأيــت صورتك في الصحيفــة بعد وقوع التفجير، وشعرت بشيء ما تجاهك؛ شيء أشبه بالصلة بيني وبينك".

عندمــا نهضنــا للمغــادرة، أخبرت ميلــي بأننــي سأتابع الأمــر، وأعطيتها بطاقتي.

وسألتها: "هل لديك هاتف؟".

قالــت: "أحيانًــا أنسى أن أشحنــه بالكهرباء"، لكنها سحبــت هاتفًا قديمًا قابلًا للطي من جيبها، وأرتني إياه.

أرغمتهــا على أخذ بعض العملات الورقية، وأخبرتها بأنني سأتحرى قضية جيمي دولان. ودفعت الحساب، واتجهت عائدة إلى مقر قيادة الشرطة.

فكــرت في ميلــي وأنا في طريقي. كانت فصيحة فــي كلامها. بدا أنها على قدر من التعليم وسلامة العقل. لقد كانت هي وقصتها مقنعتين.

تساءلت كيف انتهى بها الحال إلى الشارع.

وبينمــا كنت أصعد السلالم إلى مقــر قيادة الشرطة، شعرت بالدوار. كنت قــد كذبت علــى ميلي عندما قلت إننــي تناولت وجبة الفطــور. كنت قد تناولت قهوتي، وقبّلــت أسرتي، وغادرت المنزل فحسب، حيث كنت أنوي تناول فنجان آخــر من القهــوة على مكتبي. بصراحة، لــم أكن أشعر بالجــوع، وهذا لم يكن

طبيعيًّا بالنسبة إلــيَّ. استقللت المصعد إلى الطابق الرابع، ودخلت قاعة فرقة مكافحة جرائم القتل.

بعــد أن ألقيت التحية على كونكليــن، ذهبت إلى غرفة الاستراحة، وتناولت الكعكة الأخيرة في الصندوق. كان شخص ما قد اقتنص قطعة منها، ولم يكن ذلك يعني شيئًا بالنسبة إليَّ.

كانت كعكة مغطاة بالشيكولاتة ومحشوة بكريمة الشيكولاتة، وهذا أكثر نوع أفضله، فقضمتها، وكانت طيبة المذاق.

الفصل

١١

كانت الغرفة المخصصة لفرقة مكافحة جرائم القتل عبارة عن قاعة مربعة رمادية الجدران، وبداخلها كان موظف الاستقبال جالسًا خلف الباب مباشرة، أما مكتب رئيسنا الزجاجي فيقع في الركن الخلفي، وله نافذة تطل على الطريق العام. وفي الوسط، على جانبي الممر الضيق الواقع في المنتصف، توجد مجموعة من المكاتب يستخدمها محققو جرائم القتل الآخرون. لقد ترددت بعض الأقاويل عن انتقالنا إلى مقر جديد خلال هذا العقد، وآمل أن يكون الأمر أكثر من مجرد شائعة.

كنت أنا وكونكلين نحتل مكتبين أحدهما في مواجهة الآخر في الجزء الأمامي من القاعة، وكانا يقعان على مسافة متساوية بين المدخل وغرفة الاستراحة. خلعت سترتي، وألقيت بها على ظهر الكرسي، وهويت إلى المقعد.

قال كونكلين: "لديك بعض الشيكولاتة هنا".

وأشار إلى الجانب الأيمن من فمه.

تنهدت، وأمسكت منديلًا، ومسحت مكان الشيكولاتة حسبما وصف لي.

سألته: "هل أزيلت بالكامل؟".

نعرف أنا وكونكلين أحدنا الآخر منذ سنوات. كان ضابط دورية، وقد أخبرني بأنه يريد أن يكون في قسم مكافحة جرائم القتل، ومن ثم عندما أعيد

تشكيل المناصب في قسمنا، حصل شريكي السابق وارن جاكوبي على ترقية، فأصبحنا أنا وريتش كونكلين شريكين.

اشتهر كونكلين في مقر قيادة الشرطة بأنه المحقق الوسيم؛ فهو شاب في منتصف الثلاثينيات من عمره، ذو عينين بنيتي اللون، وشعر بني، حسن المظهر والسلوك؛ ويمكن إجمال القول بأنه الفتى الأمريكي المثالي. إن كلًّا منا يحب الآخر، مثل الأشقاء دون تنافس، فكان كل منا يعزز نقاط قوة الآخر، ويدعمه في نقاط ضعفه.

أما في مواقف المواجهة، كالاستجواب مثلًا، فأكون أنا من يتسرع في الحكم على الأمور، أما ريتشي، فيكون هو "الشرطي الطيب" الذي ينصحني بأن أتمهل. إنه جذاب؛ وبخاصة مع النساء. إنهن يثقن به بمجرد رؤيته.

أشار كونكلين بإبهامه إلى أن الأمور على ما يرام، بعدما عاين مكان الشيكولاتة على جانب فمي، وقال: "هل ستخبرينني بفطورك الغامض؟".

كانت الهواتف ترن، وكان التلفاز الذي يعلونا منخفض الصوت، بدرجة كبيرة، وكان صوت الزملاء يعلو صوت الضوضاء المحيطة.

فقلت: "لقد لاحقتني امرأة مشرّدة اسمها ميلي كوشينج في أثناء دخولي من الباب. وأرادت أن تخبرني بأن مجموعة من الأشخاص المشردين قد لاقوا مصرعهم بطلقات نارية على مدار العام الماضي، أو نحو ذلك، وأن الشرطة لم تحرك ساكنًا حيال هذا".

قال ريتش: "إنني لم أسمع بذلك من قبل".

فقلت له: "تم إطلاق النار في محيط المنطقة المركزية، وهذا هو السبب".

قال رفيقي: "يا إلهي! هذا لا يبشر بالخير".

يقع القسم المركزي لمكافحة جرائم القتل، والمسئول عن المدينة كلها، هنا ضمن قسم شرطة المنطقة الجنوبية، في حين يعمل ذلك القسم الأثري خارج نطاق قسم الشرطة المركزي، وكان ذلك نتاج إعادة تقسيم الدوائر قبل فترة عملي. ونظرًا إلى أنه يُطلق عليه رسميًّا فريق التحقيق بالقسم، فقد كان القسم المركزي لمكافحة جرائم القتل يشارك في عمليات التحقيق الخاصة بمنطقة نفوذه، والتي تحدث خلال المناوبة الليلية.

هذا جيد بالنسبة إليَّ. يعلم الله أن لدينا هنا في مقرنا ما يكفي من الجرائم.

أخبرت رفيقي بما قالته ميلي كوشينج؛ بأن هناك رجلًا يدعى جيمي دولان قد تم إطلاق النار عليه في الساعات الأولى من الصباح في شارع فرونت. وبما أنني لم أسمع بأي عمليات قتل للمشردين في محيطنا -ولو كان هذا قد حدث لكنت سأعرف- فقد يعني ذلك فقط أن جميع عمليات إطلاق النار هذه قد حدثت في نطاق القسم المركزي.

اختتمت حديثي قائلة: "لقد وعدت ميلي بأن أتحرى عن كل ما قالته عن عمليات إطلاق النار المتكررة على المشردين، ولكن لن أقوم بأية اعتقالات".

كان ريتش بالفعل ينقر على لوحة مفاتيح الحاسوب الخاص به، بحثًا عن تقرير بشأن جريمة قتل خارج ميدان سيدني جي. والتون.

قال: "لقد وجدتها؛ الضحية هو جيمس دولان، رجل أبيض البشرة خمسيني أصيب بطلقتين في صدره في نحو الساعة الرابعة صباحًا. لم يكن هناك شهود على إطلاق النار. ولا يزال التحقيق مستمرًّا. توجد جثته في مشرحة مستشفى مترو".

قلت: "هذا هو الرجل. مَن تم تكليفه بهذه القضية؟".

قال لي: "الرقيب جارث ستيفينز والمحقق إيفان موران. لا أعرفهما، فهل تعرفينهما أنت؟".

فأجبته قائلة: "أعرف ستيفينز؛ فهو في ذلك المنصب منذ خمسة وعشرين عامًا".

قال كونكلين: "يعمل ستيفينز وموران في المناوبة الليلية".

اتصلت بالرقيب ستيفينز قبل أن أسجل انصرافي أنا وكونكلين ذلك اليوم، وتم إيصالي بهاتف مكتبه في القسم المركزي. لقد عرف اسمي، وقال إنه كان يعمل مع والدي مارتي بوكسر في الماضي. كان أبي شرطيًّا سيئ السمعة، كما كان أسوأ زوج وأب، ولكنني تجاوزت تعليقه بعبارة "هل هذا صحيح؟".

قلت: "أيها الرقيب، هل تحقق في إطلاق النار الذي وقع في ميدان والتون؟".

فأجابني قائلًا: "أجل. تلقى هذا المشرد طلقتين في صدره، فأُردي قتيلًا على الفور. لماذا تودين معرفة ذلك؟".

فقلـت له موضحةً: "قابلت إحدى المواطنات، وقالت لي إنه قد تكون هناك عدة حوادث مثل هذه. فهل هذا صحيح؟".

سألني وهو يجيب سؤالي بسؤال آخر: "هل تشتبهين في تورط أحد في هذه الجريمة؟".

قلت: "لا".

قـال: "إذن، لا تقلقي بشأن هذا أيتهـا الرقيب. فأنا وموران نتولى أمر هذه القضية. لقد كان من اللطيف أن أحادثك".

ثم أغلق الهاتف.

وضعت السماعة في مكانها، وقلت لكونكلين: "لقد صدَّني ستيفينز".

قـال كونكلين: " هذا هو عهد رجال الشرطـة المخضرمين، فهم لا يحبون الإطالة في الحديث".

كان يراودنـي شعـور سيئ تجاه هـذا الموضوع؛ حيث شعرت بـأن الأمر لم يكن مجرد أنه ضابط شرطة مخضرم فظ المعاملة، ولكن ربما كان لديه سبب ليصدني بهذه الطريقة، وربما يكون هناك شيء لا يريدني أن أعرفه.

الفصل 12

كانت يوكي منكبَّة على الحاسوب الخاص بها، تعيد قراءة نصوص مقابلاتها مع بعض زملاء مارك كريستوفر من شركة آد شوب.

وكان باريـزي قد حذرها من أن قضيتهما تستنـد إلى حد كبير إلى شريط الفيديـو، وقـد وافقته هي على ذلك؛ حيث كان التسجيـل قويًّا. فكرت يوكي في أنـه إن كان هـذا صحيحًا، فإن المدعي العام يمكنـه الحصول على قرار اتهام مـن هيئـة المحلفين الكبرى بمنتهـى السهولة؛ لأن فيديـو الاعتداء على مارك كريستوفر لن يجعلهم يبذلون أي جهد في هذه القضية.

لا شـك فـي أن بمقدورهـا الحصول على قـرار اتهام من هيئـة المحلفين الكبـرى؛ وإذا ذهبوا إلـى المحاكمة، فإن شريط الفيديـو لا بد أن يكون ضمن الأدلة، ويجب إظهاره لهيئة المحلفين.

سيحاول جيفتوس استبعاد شريط الفيديو من القضية. وبهذه الطريقة، إذا وقفت هيل على المنصـة، فستسمع هيئة المحلفين كلتا الروايتين عن الواقعة. وإذا وافـق محلـف واحد فقط علـى أن الاعتداء قد تم التخطيـط له، فستثبت براءة بريانا هيل من هذه الجريمة.

كان علـى يوكي تقديـم المزيد من الأدلـة لدعم قضيتهـا، إذا تم استبعاد الفيديو، لكن كيف؟

لـم يكن أي شخص آخر يوجد في الغرفـة مع هيل وكريستوفـر. وقد قام رجـال الشرطة بتصوير آثار كدمات بسيطة على معصمي مارك وكاحليه، لكن على ما يبدو، لم يخبر مارك أحدًا بأنه تعرض للاعتداء إلا بعد مرور أسبوعين على الواقعة.

وتساءلت الآن عما إذا كان هناك أي شخص آخر أقام مع بريانا هيل علاقة يمكن أن تسمى اعتداء. وعندما أعادت قراءة نصوص المقابلات، كانت تبحث عـن شيء ربما يكون قد فاتها، أو تعليق كان ينبغي لها أن تحقق فيه، أو قول مر أمامها مرور الكرام، ولم تلقِ له بالًا.

أخرجـت نسخة لمقابلتهـا مع كبير المخرجين الفنييـن لايل بيفانز، الذي كان في الثانية والأربعين من عمره، وكان يرتدي نظّارة ذات إطار أحمر اللون، وقميصًـا منقوشًا غيـر مهندم فوق بنطاله الجينـز، وكان طويل الشعر، وتفوح منـه رائحة التبغ. وكان يبدو أنـه يستمتع بمقابلة مساعدة المدعي العام، وكان على استعداد لقضاء الكثير من الوقت معها حسبما يسنح لها وقتها.

كانـت قد أجرت مقابلة معـه؛ لأنه كان يتعامل مع كل مـن كريستوفر وهيل مؤخرًا، بشكل متكرر.

أبـرزت يوكي الأجزاء ذات الصلة مـن النص باستخدام قلم ملون، بما في ذلـك الجـزء الذي أخبرها فيـه بيفانز بـأن بريانا هيل كانـت جذابة، وصعبة الإرضاء .. "إنها قنبلة من الجاذبية". على حد قوله

يوكي: السيد بيفانز، هل استخدمت السيدة هيل إيماءات غير لائقة لإدارة موظفيها أو استغلالهم؟

بيفانز: أود أن أقول إنها امرأة مكتملة الأنوثة، لكنها تتمتع بحزم رجولي يمكِّنها من أداء العمل على أكمل وجه. عندما تنظر إليها، لا تفكر في غير جسدها، كما أنها تحمل مسدسًا. وهذا مثير أيضًا.

يوكي: إنك تقول إنك سمعت اتهام مارك كريستوفر لها بالاعتداء عليه، فما رد فعلك إزاء ذلك؟

بيفانز: هل تسألينني إن كنت أعتقد أنها يمكن أن تفعل ذلك أم لا؟ نعم، أراهن بكل ما أملك على هذا، وأثق بأنها كانت تسيطر عليه تمامًا.

يوكي: هل سبق أن رأيتها تطلب مطالب غير لائقة من مارك كريستوفر؟

بيفانز: كانا يتقابلان. أنت تعلمين ذلك، صحيح؟ لذا، أنت تسألينني إن كنت رأيتها تضربه على مؤخرة ظهره ذات مرة مثلًا؟ أجل. بالتأكيد، رأيت ذلك.

فتحت يوكي النص التالي، المقابلة مع بيل كيلي، الرئيس التنفيذي لشركة آد شوب، ورئيس بريانا هيل. تذكرت أن ملابس كيلي كانت رمادية اللون، وقَصَّة شعره تقول إن ميوله جمهورية، وتاريخ عمله يقول إنه كان يعمل في إدارة الحسابات، أي أنه لا يتسم بالإبداع. وكانت علاقة بريانا هيل به عبارة عن علاقة إدارية غير مباشرة. كان قد اتخذ القرار الأخير بتعيينها، ثم أجبرها على التنازل عن منصبها بعد الحادثة.

كيلي: لم أكن أريد أن أوقفها عن العمل، لكن هذا الوضع يسبب لنا التشتت؛ حيث لا يريد عملاؤنا إجراء أي تواصل معها بعد ما حدث.

يوكي: كيف تصف قيمتها بالنسبة إلى الشركة؟

كيلي: كانت ممتازة. تعمل عملًا جادًّا، وتلتزم بالقيم المؤسسية، وتقدم عملًا رائعًا. أنا لا أعرفها شخصيًّا؛ لذا هل هناك سؤال آخر؟

يوكي: قاربنا على الانتهاء. هل كانت هناك أية شكاوى من كونها متنمرة أو عدوانية مع موظفي الوكالة؟

كيلي: سمعت بعض الثرثرة في الممرات، ولكنني اعتبرتها تحيزًا ضدها كامرأة؛ حيث كانت امرأة جميلة في موضع سلطة، ولكن لم تأتني أية شكاوى بشكل رسمي.

ثم فتحت يوكي نص المقابلة التي أجرتها مع ماريا كورتيس مساعدة قسم الإنتاج. وكانت كورتيس ترتدي سروالًا ضيقًا من الجينز، وقميصًا أسود، وحذاء طويل الرقبة ذا أربطة، وكان لديها وشم على يديها ورقبتها. وإذا كان كيلي هو آخر من يعلم إذا ما كانت هيل قد اقترفت جريمة التحرش أم لا،

فـإن كورتيس من المفترض أن تكون الأولى؛ لأنها كانــت تعمل تحت الإشراف المباشر لهيل، وكانت هي الشخص المسئول عن فريق الإنتاج كله.

كورتيس: بريانا شخصية صارمة، ويجب أن تكون كذلك. ويمكنني القول إنها ليست موضع اتهام. الرجال يعجبون بها، وهي كذلك. إنهم يتوددون إليها أيضًا، لكنها صادقة وطيبة القلب.

يوكي: هل تحبينها؟

كورتيس: أجل، وأحب مارك أيضًا.

يوكي: ما رأيك في الاتهام الموجه إلى السيدة هيل؟

كورتيس: أود أن أقول إن هذا كله سوء فهم.

يوكي: أشكرك سيدة كورتيس، وأقدر وقتك.

اتصـل باريـزي بيوكي علـى رقمها الخاص، وقال لها: "اعتقـدت أنكِ ما زلت هناك".

فقالت: "إنني أراجع ملاحظاتي الآن، ولديَّ مقابلة أخرى في غضون خمس دقائق يمكن أن تكون حاسمة. وستتشكل لديَّ وجهة نظر في الصباح".

فقال المدعي العام: "سأكون على أتم الاستعداد لسماعها".

الفصل
13

كان بول بيتس في نحو الثلاثين من عمره، نحيف الجسم، لديه شعر خفيف ولحية كثة، وكان مظهره العام طيبًا ولطيفًا.

صافحها قائلًا: "أنا بولي".

اقترحت عليه احتساء القهوة، ولكن بيتس طلب صودا البرتقال.

قالت ضاحكة: "قهوة أو ماء، هذا هو ما لديَّ. ولك الاختيار".

قال: "سيكون الماء رائعًا".

قالت: "انتظر لحظة واحدة".

اتجهت إلى المطبخ، وأخرجت زجاجة ماء من الثلاجة، وعادت بها إلى مكتبها.

قالت مبتسمة، وهي تمرر الزجاجة إلى بيتس: "مياه من النوع الفاخر، أعتقد أنها استُخرجت من قلب نهر جليدي، أو ربما تكون من وادي هيتش هيتشي؛ أنا لا أعرف حقًّا".

ابتسم ابتسامة عريضة، وشكر يوكي، ثم أرته جهاز التسجيل.

قالت له: "سأقوم بالتسجيل. هل لديك مانع من ذلك؟".

فأجابها قائلًا: "على الإطلاق".

أدارت يوكي جهاز التسجيل الصغير. كان بيتس مرتاحًا في جلسته أمامها، ثم مد ذراعه إلى المكتب، وأدار إحدى الصور المؤطرة.

قال بيتس: "رجل حسن المظهر، هل هذا زوجك؟".

سحبت يوكي الصورة من يده، وأعادتها إلى أسفل مصباح مكتبها، ثم قالت له: "فلنتحدث عنك إذن".

قال: "إذا كان من الضروري، فلنفعل".

كان بول بيتس قد قدم من مدينة سبوكين إلى سان فرانسيسكو قبل خمس سنوات. لديه صديقة حاليًا تدعى إيمي، وكانا يتشاركان تربية كلب أنقذاه يسمى بوسكو. وبيتس كان مؤلف الإعلانات في شركة آد شوب، وقد فاز بجائزة العام الماضي عن تدشينه حملة إعلانات سكيبرو لطعام الكلاب، وكان يعرف مارك، لكنهما لم يتقابلا خارج العمل من قبل.

قالت يوكي: "بولي، أحتاج إلى أن أسألك عن بريانا هيل".

فقال: "حسنًا، فلنبدأ".

سألته: "هل أخبرك مارك بأنها اعتدت عليه؟".

فأجاب قائلًا: "لا، لم أسمع بهذه القضية إلا عندما بدأت الشرطة إجراء مقابلات مع الموظفين في الوكالة".

ثم سألته: "وما الذي جال في خاطرك عندما سمعت أن هناك اعتداءً مثل هذا؟".

قال: "أحاول تجاهل الشائعات والصراعات التي تحدث داخل الشركة، ولم أعرف قط أية فائدة قد تعود على أي منهما".

قالت يوكي بابتسامة: "تفكير رائع، لماذا في رأيك أرادني مارك أن أتحدث إليك؟".

فأجاب قائلًا: "ربما لأنني كنت ألتقي بريانا قبل معرفة إيمي، وقبل أن يلتقيها مارك أيضًا".

سألت يوكي: "هل يمكن أن تخبرني بعلاقتك مع بريانا؟".

قال بيتس: "ليس لديَّ الكثير لأقوله، فلم أخرج معها سوى مرتين فحسب".

سألته: "هل جمعتك بها علاقة جسدية؟".

"يا إلهي! هل تودين مني التحدث عن ذلك؟".

"رجاءً".

تجهم وجهه، وبدا الضيق على ملامحه.

قال: "ماذا سيحدث إذا قلت لك؟ ستطلبين مني الشهادة، أليس كذلك؟".

قالـت بوكـي: "بول، لا أستطيـع أن أصـرح بذلك في هـذه اللحظة. قل لي مـا حدث معك أنـت وبريانا هيل. إنك فـي مكتبي بمحض إرادتـك، وأنت هنا لتساعدنـي، ولكنـك لست مطالبًـا بالتحدث إلـيَّ إلا إذا ارتكبـت جريمة. هل ارتكبت جريمة؟".

فأجـاب قائلًا: "بالطبـع لا، إلا إذا كان الخروج مع شخـص مريض نفسيًّا يعد جريمة".

"أتقصد أن بريانا هيل مريضة نفسيًّا؟".

بـدأ بول بيتس يهز رأسـه، ثم قال: "اسمعيني، إننـي لا أعرفك، وهذا أمر محـرج لـم أخبر به أحدًا قط، ولا أريد أن أخبر بـه أيَّ شخص آخر، مهما كان السبب".

سألته: "ماذا حدث يا بولي؟ هل كانت تهددك؟".

فقال متلعثمًا: "كان الأمر ... مرعبًا".

قالت يوكي: "كلي آذان صاغية".

مـد بيتس ذراعه، وضغط على زر التوقف في جهاز التسجيل. لم يكن أمام يوكي إلا السماح له بفعل ذلك.

ثم قال لها: "سأخبرك، ولكنني لن أشهد بذلك".

فقالت له: "حسنًا، حسنًا بولي. أخبرني فحسب".

الفصل 14

كانت يوكي ومارك كريستوفر يستقلان المصعد إلى الطابق الرابع في دار قضاء سيفيك سنتر، حيث ستقدم إلى هيئة المحلفين العليا قضيتها خلال الدقائق العشرين التالية.

وكانت جلسة استماع هيئة المحلفين العليا عبارة عن جلسة تجريبية للمدعي، حيث ستقدم يوكي القضية ضد بريانا هيل، وسيدلي شهودها المعدودون بشهاداتهم، وستُقدِّم أدلتها. وكل هذا سيتم بسرعة كبيرة، وفي سرية تامة.

لن يكون هناك قاضٍ، ولا متهم، ولا محامون آخرون. وستكون يوكي مسئولة بشكل كامل عن هذه القضية. سيسير الأمر على عكس ما يسير مع هيئة المحلفين الثانوية، التي يجب أن يقتنع فيها المحلفون اقتناعًا تامًّا لا يدع مجالًا للشك، بينما يجب على لجنة المحلفين العليا -أو اثني عشر من تسعة عشر منهم- فقط إيجاد سبب وجيه لتكون بريانا هيل قد اعتدت على مارك كريستوفر.

فإذا وجدوا سببًا وجيهًا، فسيوجهون الاتهام، وستقدم القضية إلى المحاكمة.

كان الضغط كبيرًا على يوكي، وعلى مارك.

بينما كان لين باريزي يبدي ثقته في يوكي دائمًا، فقد خسرت قضايا كبيرة، ولم يكن السبب في معظم تلك الخسائر خطأً ارتكبته، أو عدم استعداد منها، أو ضعفًا في مهاراتها؛ ففي إحدى المرات، انتحر شاهد ذو أهمية بالغة في الدعوى القضائية؛ وفي مرة أخرى، شعرت إحدى الشهود بالارتباك في أثناء وقوفها على المنصة، وغيَّرت شهادتها؛ وفي إحدى الحالات، فاجأ الدفاع المحكمة بشاهد غير متوقع، فوجَّه بذلك ضربة قاسية إلى مرافعة الادعاء.

ومع ذلك، فقد حققت يوكي العديد من الانتصارات المهمة. وعلى الرغم من أن باريزي كان متشككًا في قضية هيل، فإنه سمح لها بالذهاب إلى هيئة المحلفين الكبرى، فقد كانت متأكدة أنها كانت على حق في كفاحها في هذه القضية.

تأرجح المصعد، وتوقف عند الطابق الثالث. خرج الركاب، وحل محلهم آخرون، تكدسوا في داخله، وبمجرد إغلاق الأبواب، واصل المصعد صعوده.

كان مارك كريستوفر واقفًا إلى جانب يوكي، يرتدي بذلة زرقاء اللون وربطة عنق زرقاء منقوشة. وكان قد حلق شعره ولحيته حديثًا. وكانت يوكي ترتدي بذلة زرقاء تشبه إلى حد كبير تلك التي كان يرتديها مارك، لكنها لم ترتدِ ربطة عنق، بل قلادة من حبات المرجان الفاتحة، أعطاها برادي إياها هدية العرس. وعلى عكس حال يوكي، بدا مارك فاقدًا الحس تمامًا.

اشتبهت يوكي بأنه قد ابتلع حبة أو اثنتين من عقار زاناكس المهدِّئ. ولو كان قد فعل ذلك، فإنه يكون قد ارتكب خطأً؛ حيث كانت يوكي تحتاج إليه متحفزًا من أجل إحياء قصة الاعتداء ثانيةً أمام هيئة المحلفين. كان عليه أن يبدي مشاعره، وأن يكون قادرًا على وصف الآثار المُدمرة التي لحقت به جراء ما وقع عليه.

أرادت يوكي أن تسأله مرة أخرى إذا كان يشعر بأنه على ما يرام أم لا، ولكن في هذه المرحلة لم تعد للأمر أهمية.

إذا لم يقل مارك في الدقائق القليلة التالية: "لقد غيرت رأيي، وأود إسقاط التهم الموجهة إليها"، فإن العرض سيستمر. كانت مستعدة، ولم تكن تأمل إلا أن يكون مارك مستعدًّا أيضًا.

انفتحت أبواب المصاعد في الطابق الرابع. خرج يوكي ومارك من المصعد، وسارا في الممر نحو قاعة هيئة المحلفين العليا.

وكان شهودها الثلاثة الآخرون ينتظرون في الممر خارج باب قاعة المحكمة.

كانت فيليس تشيس، ضابطة الاعتقال في القضية، ترتدي زيها الرسمي، بينما كان بول بيتس، مؤلف الإعلانات الذي تقابل مع بريانا هيل مرة واحدة، يرتدي الجينز، ويبدو على ملامحه الذعر، أما فرانك بيلوت - الخبير التكنولوجي الذي كان مسئولاً عن عرض شريط فيديو الاعتداء على المحلفين، ويشهد على صحته - فقد كان حضوره هادئًا، كما توسّمت فيه يوكي؛ حيث إنه الشاهد الخبير في هذه القضية.

أشار بيتس وكريستوفر، كل منهما إلى الآخر بإيماءات متبادلة. فتح بيلوت الباب الخشبي الثقيل ليوكي، ودخلت إلى قاعة هيئة المحلفين العليا. كانت عبارة عن قاعة محكمة حديثة الطراز تتكون من ألواح خشبية، وجص مطلي باللون الأبيض، تحت سقف مستعار مضاء بمصابيح الفلورسنت المدمجة في السقف.

لن يُستخدم مقعد القاضي الموجود في أحد أطراف القاعة، ولكن بدلًا منه تم إعداد طاولة خشبية ضخمة في مواجهة المحلفين. أخذت يوكي مكانها خلف الطاولة، وجلس شهودها الأربعة إلى جانبها.

تم تنصيب المحلفين التسعة عشر قبل شهر تقريبًا، وقد استمعوا إلى مئات القضايا خلال ذلك الوقت، لكن يوكي كانت لا تزال متأكدة تمام التأكد أنهم لم يسمعوا بمثل هذه القضية قط.

شعرت يوكي ببعض الهدوء؛ فقد كانت على أتم استعداد. كانت ستعرف في غضون فترة قصيرة إن كانت ستقدم "بريانا هيل" إلى المحاكمة بتهمة الاعتداء، أم لا.

الفصل 15

قدمت يوكي ملاحظاتها الافتتاحية الموجزة إلى هيئة المحلفين، وقد اختارت كل كلمة منها بعناية.

"قد يكون من الصعب تخيُّل قيام امرأة بإجبار شاب قوي على إقامة علاقة معها ضد إرادته.

تخيل الآن أن هذه المرأة هي رئيسته في العمل، وأنها تحمل مسدسًا في يدها، وأنها هددته بإطلاق النار، إذا لم ينفذ ما تطلبه. سيخبركم مارك كريستوفر الضحية في غضون بضع دقائق بالضبط بما حدث له، لكنني أريدكم أولاً أن تسمعوا من المحققة تشيس من قسم الجرائم الجنسية التي حققت في هذه القضية".

دعت يوكي المحققة فيليس تشيس، وطلب منها المتحدث باسم المحلفين أداء القسم، فاعتلت محققة الشرطة، البالغة من العمر أربعين عامًا، منصة الشهود، وكانت تبدو عليها ملامح الأمومة وكذلك الهدوء.

طلبت يوكي منها أن تخبر المحلفين كيف أصبحت منخرطة في هذه القضية. وأوضحت تشيس أن الضحية اتصل للإبلاغ عن اعتداء عليه، ثم جاء إلى مركز الشرطة للإفادة بأقواله.

وأضافت: "قال لي إنه تعرض للاعتداء. كان منفعلاً للغاية، وقال إنه كان خائفًا من أن تكون هناك عواقب في مكان عمله إذا أبلغ الشرطة عن هذا

الاعتـداء. وأظهر لي ما يشبـه آثار قيود، وكدمات على معصميه وكاحليه، تغير لونها إلى اللون البني الفاتح. كان ذلك متسقًا مع شكل الكدمات التي يمر عليها أسبوعـان إلى ثلاثة أسابيع. وأخبرنا بأن الأمر قـد استغرق منه بضعة أسابيع ليستوعب حقيقة أنه تعرض للاعتداء".

استطـردت المحققة قائلة: "حققت أنـا وشريكي في هذه التهمة. ولم يكن هنـاك شهـود عيان على هذا الاعتداء، وهذا يحدث فـي جميع حالات الاعتداء تقريبًـا التي تعاملت معها في الخمس عشرة سنة الأخيرة، لكن في هذه الحالة كانت لدى الضحية كاميرا تجسس في شكل ساعة راديو على الطاولة الصغيرة بجانب سرير النوم، وبعد وقت قصير من بداية الهجوم، سجل الحدث".

قالت يوكي: "هل تساءلت لماذا كانت لديه هذه الكاميرا الخفية؟".

فأجابـت قائلة: "أوضـح أنه اشتراها قبل سنوات عندمـا كان لديه شريك فـي السكـن؛ حيث كان يشك فـي أن رفيقه في الحجرة كان يجلـب النساء إلى المنـزل، ويقيـم علاقات معهـن. أنكر رفيق الغرفـة ذلك، وبعـد أن أمسك به كريستوفـر في حالة تلبس، لـم يستخدم الكاميرا مرة أخـرى حتى تلك الليلة. وبناءً على التسجيل، قمنا بعملية الاعتقال".

بعد شهادة تشيس، دعت يوكي فرانك بيلوت، الخبير التكنولوجي بالشرطة. وقـد عمل بيلوت مـع قسم الشرطة في سـان فرانسيسكو طـوال عشر سنوات، وقـد حصل على شهـادة في الهندسـة الكهربائيـة، وكان متخصصًا في علوم الحاسوب.

قال بيلوت إنه قام بمراجعة التسجيل الرقمي، وعلى الرغم من أن الإضاءة والصـوت لم يكونا فـي أفضل جودة، كحـال الكاميـرات المخصصة لمراقبة مربيات الأطفال، فإنه خلص إلى أن التسجيل لم يكن مفبركًا.

بعـد مغـادرة بيلوت القاعـة، دعت يوكي بـول بيتس، مؤلـف الإعلانات في شركـة آد شوب. فاعتلى بيتـس المنصة. وتململ وتنهد، وبـدا بشكل عام كأنه كان يتمنى أن يكون في *أي مكان* آخر غير منصة الشهود أمام هيئة المحلفين.

لـم يكـن بإمكان يوكـي أن تتحمـل شعورها بالقلـق حيال توتر بـول بيتس، فقالت: "سيد بيتس، من فضلك أخبرنا بتجربتك مع بريانا هيل".

تمتم قائلًا: "سأكون أكثر راحة إذا أجبت عن أسئلة، فلست متكلمًا بارعًا".

فقالـت لـه: "لا بأس سيد بيتس. يمكننا القيام بذلك بهـذه الطريقة. هل التقيت مع السيدة هيل خلال شهر يونيو من هذا العام؟".

أجاب قائلًا: "خرجت معها مرة واحدة، وتناولنا العشاء".

سألته: "وماذا حدث بعد ذلك العشاء؟".

تحدث بيتس مباشرة إلى يوكي، وتجنب النظر إلى هيئة المحلفين.

"كنا في شقتي نهمُّ ببـدء علاقة محظـورة. ازداد الأمر تطـورًا، وتوترت بشـدة. بـدأت أشعر بالقلق بشـأن احتماليـة أن يُفضح أمـر خروجي معها في المكتب. ولم أكن أعرفها جيدًا على الإطلاق. قلت لها إنني يجب أن أتوقف".

فسألته: "ماذا حدث بعد ذلك؟".

فأجـاب قائـلًا: "أخرجـت مسدسهـا من حقيبتهـا، وطلبت منـي أن أخلع ملابسـي، وقد كنـت مرعوبًا، وفي الوقـت نفسه، أخرجت زوجًـا من الحبوب، وطلبت مني تناولهما، فخمنت أن تلك الحبوب كانت منشطات".

في استجواب يوكي، وصف بول بيتس – على مضض – كيف نزع السلاح من يد هيل وركض من الطابق السفلي إلى القبو، وانتظر هناك حتى ظن أن الوضع آمن لخروجه.

سألـت يوكي شاهدهـا: "هل أبلغت الشرطـة بهذا الحـادث؟"، بينما كان بيتس يتصبب عرقًا، ولم يعد ينظر إليها.

فأجاب قائلًا: "لا، لم أتصل بالشرطة أو أي شخص، بل اتصلت بي بريانا فـي وقت لاحق من تلك الليلـة، وأخبرتني بأنها كانت تمـزح فحسب، وأنني قد أسأت فهم الأمر برمته".

سألته يوكي: "هل صدقتها؟".

فأجاب قائلًا: "لم يكن يعنيني سوى انتهاء الأمر فحسب".

قالـت يوكـي: "شكرًا جزيـلًا لشهادتـك سيد بيتـس، يمكنـك النزول عن المنصة الآن".

سأل قائلًا: "هل يمكنني مغادرة قاعة المحكمة؟".

أخبرتـه يوكـي بأنه يستطيع المغـادرة، ثم استدعت مـارك كريستوفر إلى المنصة.

الفصل 16

طلب رئيس هيئة المحلفين العليا من مارك كريستوفر أن يؤدي اليمين.

وبعد أن أقسم، قالت يوكي: "مارك، أدرك أن هذا صعب عليك، ولكن هل يمكن أن تخبر المحلفين بما حدث لك تلك الليلة موضوع القضية".

فرك الشاب راحتيه في أرجل سرواله، ثم أمسك بذراعي الكرسي، وبدأ يروي قصته.

قال مارك للمحلفين: "لقد كنت متيمًا ببريانا هيل، فقد كانت رئيستي في وكالة الإعلانات، وكنت أحبها حقًّا، وكنا نلتقي لمدة شهرين قبل أن تقترف ذلك الفعل الفظيع... عندما اعتدت عليَّ".

سألت يوكي: "هل كنت أنتَ وبريانا على علاقة محظورة خلال الشهرين اللذين كنتما تلتقيان فيهما؟".

أجاب مارك قائلًا: "بالتأكيد، وكنت سعيدًا جدًّا بعلاقتنا. لم أكن أظن أننا سنلتزم بعلاقة طويلة، ولكن كان بيننا الكثير من الأمور المشتركة، فقد كنا نعمل معًا، وكانت علاقتنا رائعة، أو على الأقل كنت أعتقد ذلك. شعرت بأننا *دائمًا* في علاقة نابضة بالحياة، وأحببت أن أتعرف بها بطرق مختلفة".

تابع مارك: "ولكن بعد ذلك، شعرت بأن بريانا لم تعد مرتاحة نتيجة التفات الأنظار إلينا في العمل؛ حيث كان من حولنا يتغامزون بأننا ثنائي عاطفي، ولذلك بدأت تتجاهلني بعض الشيء في أثناء عملنا معًا".

أضاف: "طلبت من بريانا الخروج لتناول العشاء في إحدى الليالي بعد انتهاء العمل. كنت أرغب في التحدث إليها عن هذا الأمر، لكنني كنت أخشى أن تقول: "لقد انتهت علاقتنا"؛ لذا لم أثر هذا الأمر معها. كنا نحتسي الشراب في كافيتريا مطعم باناسيا. قلت شيئًا من قبيل: "فلنذهب إلى منزلي، ونأخذ قسطًا من الراحة"، فقالت: "ولِمَ لا؟". كنا نعود إلى شقتي بعد انتهاء لقائنا بشكل شبه دائم، فشقتي تقع أعلى التل، على بُعد مبنيين سكنيين من المطعم".

ثم واصل مارك حديثه إلى هيئة المحلفين: "وهكذا ذهبنا إلى شقتي. خففت من ملابسي في غرفة المعيشة، ثم انتقلت إلى غرفة النوم، وألقيت بنفسي على السرير، فقد كان النعاس يغالبني. ظننت أن بريانا قد نادتني باسمي، ثم نادت اسمي مرة أخرى بصوتٍ أعلى، فالتفتُّ إليها لأعرف ما تريده.

كانت توجه مسدسها إليَّ، فضحكت، وقلت لها ممازحًا: "إن محفظتي في بنطالي على الأرض"، فقالت: "انتبه يا مارك. اربط نفسك بهذه في السرير".

كانت تقف عند حافة سريري، وتمسك بمسدس في يدها، وحفنة من أربطة العنق الخاصة بي في اليد الأخرى - أربطة عنقي. إنها من نوع فاخر، ثم قلت لها: "بربك يا بريانا، كفاكِ هراء. تعالي إلى جواري".

قالت: "إنني لا أمزح أيها *الوغد*، افعل ما آمرك به، وإلا سأقتلك".

ثم سحبت زناد المسدس إلى الوراء، فصدقتها فجأة".

توقف مارك عن الكلام، وخفض عينيه، فبدا إلى يوكي كأنه يبكي، فسألته يوكي إذا كان في حاجة إلى دقيقة لاستجماع نفسه، فهز رأسه رافضًا. لكنه لم يتحدث.

اعترى المحلفين أيضًا صمت ينم عن ذهول، فلا أحد يسعل، أو يتململ في مقعده، أو يحوِّل نظره عنه. كان انتباههم منصبًّا على مارك كريستوفر.

كسرت يوكي الصمت، وقالت: "مارك، ماذا فعلت؟".

أجاب: "لقد ربطت كاحلي بحافة السرير مثلما طلبت مني أن أفعل. عندما كنت أربط إحدى يديَّ، كانت تتفقد الأربطة عند قدمي، وحينها ضغطت على زر التسجيل في الكاميرا التي تتخذ شكل ساعة راديو. لم تكن تعرف أنني أفعل

ذلـك. انتهيت من ربط تلك اليد، وربطت هي اليد الأخرى. لقد فعلت ما طلبَتْه مني".

سألتـه يوكـي: "لقد مارست علاقـة محظورة مع بريانا عـدة مرات. لماذا اعتقدت في هذه الحالة أنك تعرضت للاعتداء؟".

"لأنها، في هذه المرة، هددتني *بإطلاق النار* عليَّ".

شكـرت يوكي مارك، وطلبـت منه النزول من منصة الشهـود، والعودة إلى الممر خارج قاعة المحكمة.

ولم تمر سوى خمس عشرة دقيقة على تقديم يوكي قضيتها إلى المحلفين، حتى كانت مستعدة لعرض أدلتها.

استدعت يوكي فرانك بيلوت، خبير الحاسوب في الشرطة.

وضع بيلوت حاسوبه المحمول على الطاولة الخشبية الكبيرة.

قالت يوكي: "فرانك، من فضلك أدر التسجيل".

الفصل
17

التقيتُ كلير على الغداء في كافيتريا ماكبينز بيرز أو ذا وورلد صالون، حيث جلسنا على طاولة صغيرة بين النافذة الأمامية وبرميل الفول السوداني، وقد حوصرنا في زحام وقت الغداء. وكالمعتاد في منتصف الظهيرة، كانت نقطة التجمع المفضلة لنا، الواقعة بالقرب من مقر قيادة الشرطة، مكتظة بالمحامين، ورجال الشرطة، وموظفي المحكمة، ولكن نظرًا إلى وضعي باعتباري زبونة دائمة (وكشخص يترك إكراميات بسخاء)، فإن نادلتنا سيدني ماكبين قد أعطتنا الطاولة الوحيدة الفارغة دون أن تجعلنا ننتظر وصول بقية مجموعتنا المكونة من أربعة أفراد.

كلير وشبورن هي أقرب أصدقائي، فضلًا عن أنها كبيرة الأطباء الشرعيين في سان فرانسيسكو. وهي سمراء البشرة، ضخمة الجثة؛ لذا تطلق على نفسها "الفتاة الكبيرة". وعلى الرغم من كل الوفيات التي تراها كل يوم وكل سنة، فإنها امرأة عطوف، وزوجة محبة، وأم لثلاثة أطفال.

كان مكتبها والمشرحة على بُعد مسافة قصيرة من الباب الخلفي لمقر قيادة الشرطة؛ لذلك كنا نذهب إلى كافيتريا ماكبين معًا، وكنا نحتفظ بكرسيين إلى طاولتنا، أحدهما لصديقتنا العنيدة والنشيطة سيندي توماس، وهي أشهر مراسلي القضايا الإجرامية في صحيفة *سان فرانسيسكو كرونيكل*.

وقـد كانت آتية في سيارة أجرة مـن مكتبها الذي كان على بعد عشر دقائق من مكاننا، إذا كانت حالة المرور جيدة.

أمـا رابعتنا، فكانــت مساعدة المدعي العام يوكــي كاستيلانو، ذات النجم الصاعد. كانت قد راسلتني، وطلبت مني أن نشرع في طلب الغداء، فقد غادرت للذهــاب إلى جلســة هيئة المحلفين العليــا، التي لم تصل بعــد إلى الحكم في قضيتها الحالية.

فــي هذه الأثناء، كانت كليــر معي وحدي، وكانت غاضبة جــراء وفاة شاب أُرسل إلى المشرحة ليلة أمس. كانت هذه هي المرة الثانية التي يتم فيها إطلاق النــار في الشارع على أحد زبائن الكافيتريا خــلال شهر واحد على بُعد مسافة قصيرة بعد مغادرته إياها.

لــم تكن قضيتي، لكنني عرفت التفاصيــل، وفهمت سبب إحباط كلير؛ فقد كان القتيــل صبيًّــا في عمر أولادهــا، وكان في حالة صحية مثاليــة، ولكنه الآن ممــدَّد داخل درج، وجثته مليئة بالثقوب من جراء تلقيه الرصاص. لم يُبْلِغ أحد عن جثته، ولم يتصل أحد بالشرطة بحثًا عنه، ولم يتقدم شهود ليدلوا بأقوالهم عن مقتله.

قالــت كلير: "إنني، مثل أي شخص آخر، أقــدِّر التعديل الثاني الذي يسمح بــأن يحمــل المدنيون السلاح، ولكــن الأمر خطير جدًّا؛ فلمــاذا يطلق الأطفال بعضهم النــار على بعض خارج الكافيتريا؛ في محاكاة لأفلام الغرب الأمريكي الرخيصة؟ ما الهدف من ذلك؟".

جــاءت النادلة تحمل كوبين كبيرين من الصــودا، وفي تلك اللحظة وصلت سيندي فجأة، واجتازت الزحــام، واسترخت على كرسي بين كلير وبيني. بدت رائعة بربطة الرأس المتلألئــة التي تتخلل خصلات شعرها الذهبية المتجعدة التي لا يمكن كبح جماحها.

قالت وهــي تخلع سترتها: "مرحبًا يا فتاتيَّ"، ثم قالــت للنادلة: "أريد مما تتنــاولانه".

قالــت سيدني: "حسنًا إذا كنت ستطلبيــن الآن، يمكنني تسجيل طلبك قبل تسجيل طلب لستة أفراد آخرين".

قلت: "لننتظر لحظة أخرى، إن يوكي في الطريق".

نظرت إلى هاتفي لمعرفة إذا ما فاتني تحديث أحد تطبيقات السفر، ولكن ذلك لم يحدث، فقلت لكلير وسيندي: "أتمنى عندما تحضر يوكي أن تكون معها أخبار عن قرار هيئة المحلفين بتحويل المتهمة إلى المحاكمة".

أتى صوت من خلفنا يقول: "من يريد أن يخمن؟".

قفزت كلير، وسحبت كرسيًّا لمساعدة المدعي العام يوكي كاستيلانو، امرأة الساعة.

بدت يوكي رائعة كعهدها دائمًا، كان هناك شريط أزرق في شعرها الأسود اللامع المتدلي على كتفها، وكانت ترتدي بذلة من اللون نفسه، كما كانت تحمل على وجهها التعبيرات نفسها التي كانت تعتليه، وهي في قاعة المحكمة، ولم أتمكن من معرفة طبيعة مزاجها.

قلنا في صوت واحد تقريبًا: "حسنًا؟".

قالت يوكي: "آسفة للتأخير، فكما تعلمن، إن هيئة المحلفين العليا تصدر الحكم في اللحظة التي تخرج فيها من الباب، لكنني اضطررت إلى الانتظار في الردهة، فمرت عشر دقائق، ثم عشرون".

صاحت سيندي وسط صخب الكافيتريا، وصوت الضحك على الطاولة المجاورة، قائلة: "يوكي، *أخبرينا*".

ابتسمت يوكي.

قالت للنادلة: "سيدني، أحتاج إلى مشروب به بعض الكافيين. فاجئيني، وأعتقد أنه يمكننا الطلب الآن".

سألت النادلة وهي تنظر إلى كلٍّ منا: "القيود الغذائية المعتادة؟"، فأومأنا جميعًا بالإيجاب.

قالت بوجه جامد: "أربعة برجر: قليل الطهو، ونصف مطهو، ومطهو بشكل شبه كامل، ومطهو تمامًا. وبطاطس مقلية إضافية إلى الطاولة، وشراب لمساعدة المدعي العام كاستيلانو، مضاف إليه بعض الكافيين".

ضحكنا جميعًا، بمن في ذلك يوكي. قامت سيندي المعروفة بيننا باسم الفتاة المراسلة بالإمساك بكتفي يوكي بكلتا يديها وهزها.

قالت لها: "تكلمي، ادخلي في صلب الموضوع".

رن جرس هاتف يوكي، وعلى الرغم من قبضة سيندي التي تطبق عليها، وصياحنا جميعًا قائلات: "لا هواتف!"، فقد امتدت يد يوكي إلى حقيبتها.

استقبلت المكالمة، واستمعت، ثم قالت: "وأنا أيضًا يا مارك. على الرحب والسعة".

عندما أنهت يوكي المكالمة، وضعت سيدني عصير فواكه أمامها. شكرتها يوكي، ثم قالت لنا: "لقد كنت على وشك إخباركن بأنه تم توجيه الاتهام بالاغتصاب إلى بريانا هيل. أما من كان يتصل الآن، فهو الضحية، وكان يقول إنه مرتبك وممتن للغاية".

ابتسمت ابتسامة عريضة، وقُرعت الأكواب فوق الطاولة. ما أبرع يوكي! كانت لحظة عظيمة بالنسبة لعضوات نادي الجريمة النسائي.

الفصل 18

طها زوجي - الحنون وشديد التحمل - جو موليناري العشاء لنا في هذه الليلة. أحب طهوه، ولكنني لم أكن أشتهي الطعام؛ حيث تناولت قليلًا من جمبري سكامبي والبروكلي ونصف كوب من عصير العنب الأسود.

سألني: "ما خطبك يا ليندس؟".

فأجبته قائلة: "لا شيء حقًّا. العشاء لذيذ، لكنني قد تناولت وجبة غداء ضخمة مع الفتيات".

قال متحدثًا عن جارتنا التي تعمل جليسة لطفلتنا في بعض الأحيان: "إن السيدة روز مصابة بالإنفلونزا، هل أنتِ على مشارف المرض؟".

قلت له: "لست أشعر بالحمى، إنني متعبة بعض الشيء فحسب"، وبينما كان يقرأ لابنتنا جولي، ذات العامين، التي كانت مسرورة لأنها استبدلت بمهدها سريرًا حقيقيًّا دون "أسوار"، قمت أنا بمسح الطاولة، وترتيب الأطباق بغسّالة الصحون.

ذهبت إلى غرفة جولي، حينما وجد الجرو - في القصة التي كان يرويها زوجي - طريقه إلى المنزل لأن ضوء مصباح الشرفة الأمامية كان مضاءً. قبَّلت جولي، وقلت لها: طابت ليلتك، وتمنيت لها أحلامًا سعيدة. فقالت: "المزيد من القبلات يا أمي".

وبعد القبلات الحارة والأحضان الدافئة مباشرة، أغلقنا الباب الأمامي، وأطفأنا الأضواء والأجهزة الإلكترونية. ثم ذهبت بعد ذلك أنا وجو إلى غرفة نومنا ذات اللون الأزرق السماوي؛ لننام مبكرًا على غير العادة.

بعد دقائق، كان جو مستلقيًا على الفراش، وكنت أدلك ذراعه المصابة. وهي تلك الإصابة الأخيرة التي كان في طريقه للتعافي منها جراء الانفجار الذي وقع منذ أربعة أشهر، وأودى بحياة العشرات من الناس.

أدفأت زيت التدليك في يدي، ودلكت عضلاته، وأثلجت صدري الآهاتُ السعيدة الصادرة من رَجُلي الكبير الوسيم. دلّكت ظهره، ثم انتقلت إلى ساقه التي كانت مكسورة في مكانين.

إنه يسير على ما يرام الآن، ولكنه لا يزال يعاني الألم، لذلك كنا نواظب على اتباع أساليب العلاج الطبيعي.

تنهد جو: "هذا كل ما يمكنني تحمُّله يا ليندسي. شكرًا لكِ".

انقلب على ظهره، ومد يده نحوي، فدخلت بين ذراعيه. قبلني في مقدمة رأسي، وأسندت رأسي إلى صدره واستمعت إلى أنفاسه.

لقد كنا قاب قوسين أو أدنى من فقدان كل شيء.

في البداية كانت هناك تلك المغامرة التي كادت تجعلنا ننفصل، أحدنا عن الآخر، وشاركت فيها زميلة عمل جذابة، وأيًّا كان ما حدث سرًّا بين جو وتلك الشقراء، لم أكن لأعرفه قط، والآن لا أريد أن أعرفه.

لقد خرجت من حياتنا، وقد وعدني جو بعدم السماح لأي شيء بالتفريق بيننا مرة أخرى.

ثم وقع هذا الانفجار الذي هشَّم عظامه، وكسر رأسه. كنت على وشك أن أصبح أرملة، وكادت جولي تصير يتيمة، لكن جو قد عاد، وقد تحسنت حالته عما مضى من نواحٍ عديدة، وأعتقد أنني أتحسن أيضًا.

ولكن.

حسنًا، دائمًا تكون هناك كلمة *ولكن*، أليس كذلك؟

بعد أن كان جو قاب قوسين أو أدنى من الموت، وبعد أن أعاد ترتيب أولوياته، أخبرني بأنه يريد أن يكون لديه طفل آخر، ونحن بمشقةٍ لدينا ما يكفي من الوقت لنمنحه طفلتنا. إن عملي خطير، ولم يكن أبدًا من نوع الوظائف التي يكون دوامها من التاسعة صباحًا إلى الخامسة مساءً. لم يكن جو يعمل بدوام

كامـل، ما ساعده على الاضطـلاع بدور الأب والأم فـي آن واحد، عندما كانت جولـي صغيرة في مهدهـا، كان موجودًا من أجلها عندمـا احتاجت إليه خلال الأشهـر الثمانية التي عشنا خلالها منفصلين؛ حيـث كان زواجنا هشًّا للغاية، لذلك كان جو أبًا عظيمًا بالدرجة الأولى.

ولكن، أننجب طفلًا آخر؟

كيف سينجح هذا؟ فهو حتـى الآن يعمل مستشارًا مستقلًّا لإدارة المخاطر عبر الحاسوب المحمول في المنزل.

ويمكن لهذا الوضع أن يتغير.

فقـد كان يعمل نائب مدير الأمن الوطنـي سابقًا، كما كان يعمل لدى مكتب التحقيقـات الفيدرالي ووكالة الاستخبارات المركزية. كان جديرًا بالثقة، ومن ذوي الخبـرة، ومسموحًا له بالاطلاع على كل الأمور السرية. ولكن في ظل هذا المنـاخ الحالي من الهجمـات الإرهابية التـي تندلع عشوائيًّا، يمكـن أن يُجبر على العودة إلى الخدمـة الميدانية، ويخرج من مكتبه المنزلي. ويمكن لسماته الشخصيـة - التـي دفعته إلـى البحث عن ناجين في مبنى غيـر مستقر بسبب تعرضه للانفجار - أن تجعله يُستدَعى لمهمات مماثلة من جديد.

نادى جو اسمي.

فقلت له: "أنا هنا".

كان يمسـح زيـت التدليـك بيـن يديـه، ويستخدمـه الآن لتدليـك جسمي وتدفئتي. يا إلهي! كنت أستجيب للمساته. كنت أرغب في إخباره بالانتظار. هل أنـا في مرحلة التبويض؟ لم أكن متأكدة. وقبل أن أتمكن من الاعتراض، أو أن أستعمل إحدى وسائل الوقاية، كان الأوان قد فات.

كنت أحبه.

وكان متشوقًا إليَّ.

وكان الشعور متبادلًا.

الفصل

19

كانت يوكي تتحدث إلى كلير عبر الهاتف، وكل منهما على مكتبها الخاص، يفصل بينهما طابقان وثلاثمائة ياردة.

قالت يوكي لكلير: "إنني متأكدة أن أحد المحلفين سيحاول الاستفسار عن كيفية قيام الرجل بعلاقة جسدية وهو في حالة خوف من أن يُقتل. ألديك أية أفكار عن ذلك، دكتورة وشبورن؟".

قالت الدكتورة وشبورن: "هل تعتقدين أنني متخصصة في مثل هذه المشكلات؟".

ردت يوكي قائلةً: "أعتقد أنكِ قد يكون لديك رأي حر ومستنير".

قالت كلير: "حسنًا. قد يكون رأيي يستحق ما تدفعين مقابله؛ لذلك عليك، بكل الوسائل، التحدث إلى أحد الخبراء، ولكن سأقول لك أفكاري. هناك مجموعة واسعة من الاستجابات التحفيزية تقول إن بعض الرجال قد يجدون في التهديد بالعنف أمرًا مثيرًا. هناك عنصر من ذلك في قضيتك، أليس كذلك؟ ربما عرفت المدعى عليها، أو ظنت أن ضحيتها قد وجد في الاعتداء أمرًا مثيرًا".

قالت يوكي: "فهمت، هذا ممكن، أو ربما هي لم تهتم بما إذا كان يرغب في ذلك أم لا، لكنها هي من فعلت ذلك، وظنت أن هذا سيثيره".

قالت كلير: "حسنًا، لنفترض أنه لم يتقبل الأمر. ليس على الصعيد الواعي منه على الأقل؛ لذا كان يقول: "لا، لا، لا"، ولكن جسده كان يقول: "نعم"، خاصةً إذا كان يستجيب للمساتها".

قالت يوكي: "ومن ثم، إذا كان قد قال لها "لا، لا، لا"، ولم تتوقف، فهذا لا يعتبر موافقة، وهذا هو تعريف الاعتداء".

سألت كلير: "هذا هو تفسيرك إذن. فماذا بعد ذلك؟".

قالت يوكي: "ماذا تعنين؟".

قالت كلير: "لديَّ شعور بأن هناك شيئًا آخر في عقلك".

قالت يوكي: "إنكِ بارعةٌ في ذلك، أنا أفكر في برادي".

كان جاكسون برادي، زوج يوكي، يحمل رتبة ملازم، وهو مسئول عن فريق مكافحة جرائم القتل، كان مكتبه يعلو مكتب يوكي بطابق واحد. وكان برادي وسيمًا، لكن هذا أقل ما يمكن أن يقوله أي شخص عنه، فلقد عرَّض نفسه للخطر عدة مرات، بما في ذلك عمليات الإنقاذ البطولي التي نفَّذها لإنقاذ حياة عدد لا يمكن حصره من الأشخاص، حينما قطع هجوم إرهابي شهر عسلهما.

قالت كلير: "وماذا عن برادي؟ هل هو على ما يرام؟".

فأجابت يوكي قائلةً: "إنه بخير، أما ما يقلقني، فهو أنه يعمل طوال ستين ساعة في الأسبوع، وأنا أقضي كل ساعات العمل في إعداد قضية الاعتداء بنفسي.

وعندما نكون في المنزل معًا، يكون قد خارت قواه كليةً، فأبدأ الحديث عن مارك كريستوفر؛ لأنني لا أستطيع التحدث إلى أي شخص آخر عن هذا الأمر، كما تعلمين".

فقالت كلير: "أعلم، أتفهم الأمر".

أكملت يوكي كلامها: "فيغط في النوم، بينما أتحدث".

قالت كلير: "أسرة ذات حياتين مهنيتين مختلفتين. هذا يحدث، أحدثك من منطلق تجربتي. إن آخر شيء يريد زوجي أن يسمع عنه هو الموتى؛ فلا يمكنني الحديث عن ذلك على العشاء، ولا في الفراش أيضًا".

سألتها يوكي: "إذن، وماذا عن الحميمية؟".

قالت كلير: "على المرء تخصيص الوقت لها فحسب، هذا هو كل شيء".

قالــت يوكي: "أنت تظنيــن أن النوم في فراش واحــد سيجعلنا نفعل ذلك، ولكــن مــرت فترة منذ آخر مــرة التقينا فيها، شهــرٌ تقريبًا، وشهــرٌ قبل المرة السابقة لها أيضًا".

سألتها كلير: "هل تحدثتِ معه عن هذا الأمر؟".

قالت يوكي: "لا أحد منا يتحدث عن هذه المشاعر الجياشة".

قالت كلير: "يوكي، أعلم أنك تستطيعين معالجة هذا الأمر إذا حاولتِ. ربما يكون ذلك عن طريق تقليل الحوار بعض الشيء، وارتداء الملابس المناسبة".

قالت يوكي: "أشكرك يا كلير على نصيحتك".

فردت كلير قائلة: "ربما ليس لهذا الجفاء علاقة بك يا عزيزتي. قد لا يعدو الأمــر كونه مُجهدًا فحســب، ولكن أنصتي إليَّ، لا تُحضِــري مسدسًا إلى غرفة النوم، أتفهمينني؟".

أطلقــت يوكي ضحكــةً مدويةً. إن فكرة سحب مسدس فــي وجه برادي أمر مضحك، فسوف يسحب *مسدسه* هو الآخر.

قالت كلير وهي تضحك أيضًا: "يبدو أن حالك أفضل الآن. أما بالنسبة إلى برادي، فإنكما في أوج حياتكما المهنية، أليس كذلك؟ فلا تحيري نفسك إذن. إن هذا الرجل يحبك حبًّا جمًّا".

ودَّعــت يوكي صديقتها، وفكرت فيما لم تقله لهــا؛ فكرت فيما كانت تخافه أكثــر من أي شــيء آخر، وهو أن يكون بــرادي قد فقد شغفه بهــا، ولعلها تكون مخطئة في ذلك.

يجب أن تكون مخطئة.

عــادت إلى ملف قضيتها، وحوَّلت تركيزها قدر استطاعتها إلى قضية *هيئة الادعاء ضد هيل*.

الفصل
20

كانت سيندي في مكتبها في صحيفة *كرونيكل* تكتب مقالًا، وذلك استكمالًا لسلسلة مقالات تدور حول إدانة بريانا هيل في قسم "سجلات العدالة الجنائية" في الصحيفة، عندما ظهر لها تنبيه موقع جوجل بشأن مارك كريستوفر.

نقرت على الصفحة، ورأت أن المقالة التي كتبتها بعد غداء أمس في كافيتريا ماكبين، قد أدت إلى سلسلة أخرى من المقالات لا حصر لها. وبينما كانت تتصفح، وجدت أن القصة قد انتشرت بشكل سريع وكبير على الإنترنت. القصة الأولى على قائمة جوجل كانت بها صورة مصغرة لصورة لم تنشر من قبل لضحية الاعتداء المزعوم مارك كريستوفر.

كانت صورة لكريستوفر وهو في زي كرة القدم في المدرسة الإعدادية حاملًا خوذة تحت ذراعه، مبتسمًا ابتسامة عريضة. بدت كأنها لقطة من الكتاب السنوي للمدرسة.

انتقلت سيندي إلى أسفل الصفحة؛ لتقرأ مقدمات القصص، فرأت أن موضوع اعتداء امرأة على رجل في علاقة حميمة قد صار مدويًّا أكثر مما توقعت. لقد ذاع صيتهما مثل جولة انتخابات مثيرة للنزاع، أو إعصار مروع من الدرجة الرابعة يضرب فلوريدا، أو هجوم إرهابي مدمر في إحدى المناطق. كانت تشعر كأن بريانا أصبحت هي ومارك من المشاهير.

وأيضًا في أثناء تصفح سيندي قائمة جوجل، كانت تضاف قصص جديدة عن مارك كريستوفر إلى قائمة الأخبار؛ حيث ذاع صيته حتى وصل إلى الجانب الآخر من المحيط الأطلنطي.

إن موضوع اعتداء الإناثِ على الذكور مثير للجدل بالتأكيد. عادت إلى القصة التي نشرتها على مدونة الجريمة الخاصة بها، ثم قرأت التعليقات الجديدة بسرعة، فوجدت أن الآراء قد تباينت بين تأكيد أنه لا يمكن الاعتداء على الرجال، وبين استبعاد أن تكون النساء اللواتي وُجهت إليهن تهمة الاعتداء كاذبات، ثم إلى الرأي الغريب الذي يقول إن النساء كن يعتدين على الرجال طوال قرون، وأن الرجال لا يصدقهم أحد أبدًا.

أمسكت سيندي هاتفها، وضغطت على زر الاتصال السريع بيوكي.

ردت يوكي قائلةً: "من فضلك لا تقولي إلا الأخبار السارة فحسب يا سيندي، فقد أُمطرت بوابل من الاتصالات الهاتفية، والرسائل الإلكترونية، والبريد المكتبي الداخلي ... إن الوضع جنوني".

قالت سيندي: "اتصلت لأخبرك بأن قضية مارك كريستوفر هذه قد أثارت جدلًا واسعًا. إنني في شدة الاندهاش".

قالت يوكي: "وأنا أيضًا، إذا لم يهدأ هذا الأمر، فربما نحاول العثور على هيئة محلفين غير متحيزة، وأخشى أن يطلب الدفاع تغيير مكان المحاكمة".

قالت سيندي: "أجل، وسيستدعون شهودًا لا علاقة لهم بالقضية".

ضحكت يوكي قائلةً: "هذا ليس بالأمر المضحك"، ثم ضحكت ثانية، وقالت: "شكرًا على تقديم تلك المستجدات الغزيرة".

ودَّعت الصديقتان إحداهما الأخرى.

كان حاسوب سيندي يصدر رنينًا مع كل تنبيه جديد إلى أن أوقفت الصوت تمامًا. وقد تصفحت سيندي وسائل الإعلام الأخرى التي تغطي الموضوع، فوجدت أن قضية *هيئة الادعاء ضد هيل* أصبحت الآن هي الأكثر انتشارًا بين الأخبار.

الفصل 21

فتحت يوكي مدونة سيندي للجريمة، وقرأت ردود الفعل الثائرة على القضية المرفوعة ضد بريانا هيل التي لم تقدَّم إلى المحاكمة بعد.

ثم بحثت بعد ذلك في محرك البحث جوجل عن بريانا هيل.

عندما قرأت ما يكفي من المقالات والتعليقات لجميع وجهات النظر التي من المحتمل جدًّا أن تنعكس على هيئة المحلفين في المستقبل، نزلت إلى الردهة لتصل إلى حجيرة العمل التي يعمل بها آرثر بارون. كان بارون في الخمسين من عمره تقريبًا، وكان قد انضم من فوره إلى مكتب المدعي العام بعدما كان يعمل في قسم الشئون القانونية الداخلية لشركة بي دبليو آند تي، وهي شركة مرافق ضخمة.

عندما كانت يوكي في أواخر العشرينيات من عمرها، كانت قد اتخذت خطوة مماثلة لتلك؛ فقد تركت وظيفة مريحة في إحدى الشركات لتتولى وظيفة أقل أجرًا مع المدعي العام. كانت تعمل بجد، وبدوام أطول، مقابل عائد أقل، ولكن عملها لصالح شعب سان فرانسيسكو جعلها تشعر بأن وقتها وعملها جديران بالاهتمام.

كان آرثر قد أرسل إليها رسالة إلكترونية في ذلك الصباح، مفادها أنه يريد التحدث إليها بشأن قضية هيل. وهي الآن تطرق باب مكتبه، فنظر إليها آرثر من وراء جهاز الحاسوب الخاص به. كان نحيلًا، قوي البنية، متوسط

الطول، رمادي الشعر على جانبي رأسه. كان يرتدي نظارة ذات إطار سلكي، وقميصًا لونه أزرق، وربطة عنق، وسروالًا داكنًا، وكانت سترته معلقة على ظهر كرسيه بشكل أنيق.

قال لها: "يوكي، تفضلي بالدخول".

سألته يوكي: "هل يمكن أن آخذ من وقتك بضع دقائق يا آرثر؟".

فقال لها ممتنًّا: "بكل تأكيد. أشكرك على حضورك".

جلست يوكي إلى جوار المكتب في مساحة العمل الصغيرة، وسألت آرثر عما يعرفه عن القضية المرفوعة ضد بريانا هيل.

فأجابها قائلًا: "ما قرأته في الصحافة، وسمعت الآخرين يتحدثون به في الردهة".

فسألته: "وما رأيك؟".

فأجاب قائلًا: "أهنئك على تحويل القضية إلى المحاكمة. أكاد أحسدك على هذا".

فسألته: "لماذا؟".

قال بارون، وهو ينقل الملفات والأقلام بعيدًا عن المكتب إلى جانب الكرسي الجانبي: "دعيني أفسح لك القليل من المجال هنا، ولمَ لا أحسدك؟"، ثم أضاف: "لأنها قضية استثنائية. هل تحتاجين إلى محامٍ مساعد في المحاكمة؟".

قالت يوكي: "ربما".

فقال لها آرثر: "أخشى أن أكون متطفلًا، ولكن إذا كنتِ تبحثين عن محامٍ مساعد لك في هذه القضية، فهأنذا أمامك"، ثم رفع يده.

ابتسمت يوكي. لقد تحدثت إلى آرثر بارون عدة مرات منذ أن جاء إلى مكتب المدعي العام. كانت تعرف أنه ذكي، وأن لديه خلفية في مجال الدعاوى القضائية. كان صريحًا، ويتحلى بروح الدعابة، فراق لها بكل بساطة.

قالت: "يمكنك خفض يدك الآن. ماذا سمعت عن قضيتنا إذن؟".

فأجاب قائلًا: "ما قرأته هو أن هيل وكريستوفر كانا يلتقيان في الغالب، ثم أصبحت الأمور غريبة بينهما، فأشهرت مسدسها في وجهه، وأجبرته على أفعال غريبة. ووفقًا لما استجمعته عندما كنت واقفًا عند مبرد المياه، إن

هناك شريط فيديو لهذا الفعل، وذكر في التسجيل أن كريستوفر قد طلب منها التوقف، لكنها لم تتوقف. هل هذه هي خلاصة القضية؟".

قالت يوكي: "هذا صحيح يا آرثر، ما رأيك إذن؟".

"يتبادر إلى ذهني القول بأننا سنحقق فوزًا ساحقًا، لكنني أعلم أنه لا يمكنك الاعتماد على ذلك؛ حيث يمكن استبعاد شريط الفيديو، وسيحاول الدفاع بالتأكيد القيام بذلك، كما أن هناك جوانب أخرى تتمثل في أنني لم أقم قط بالمشاركة في مرافعة في قضية جنائية، وأعرف أن احتمال أن يتم اختياري محاميًا مساعدًا ضعيف جدًّا، لكنني لا أعتقد أنك ستندمين إذا أعطيتني الفرصة".

قالت يوكي: "حسنًا، سأضع في اعتباري كل ذلك".

قال: "هناك شيء آخر أود إخبارك به، هو أن لديَّ تجربة شخصية مع ... هذا الأمر".

حبست يوكي أنفاسها، وقالت: "كيف ذلك؟".

فأجابها قائلًا: "عندما كنت في العاشرة من عمري، اعتدَت عليَّ مربيتي وأغوتني. لم أخبر أحدًا في ذلك الوقت، لكنني عانيت من جراء هذا الأمر، وعندما ذهبت إلى الكلية، تلقيت بعض العلاج؛ نحو عشرين عامًا من العلاج. وفي النهاية أخبرت زوجتي بالاعتداء بعدما مر على زواجنا خمس سنوات".

فقالت يوكي في اندهاش: "يا إلهي! لم أكن أتوقع ذلك. هل تود مساعدتي في هذه القضية حقًّا؟".

"لستِ مضطرة إلى إعادة السؤال ثانية".

"سوف أطلب تصريحًا من ريد دوج بخصوص هذا الأمر".

ثم قامت بذلك بعد عشرين دقيقة.

الفصل
22

اتصلت يوكي بزوجها من مكتبها، وأخبرته بأنها على وشك الانصراف هذا اليوم.

"ماذا عنك؟".

قال برادي: "لا يمكنني الانصراف الآن يا يوكي؛ أمامي بعض الحرائق التي يجب إخمادها، فلتتناولي العشاء من دوني".

فقالت يوكي: "مرة أخرى؟ حسنًا. أيقظني عندما تصل إلى المنزل".

فقال إنه سيفعل.

أنهت يوكي بقايا شاي إيرل جراي البارد، وأغلقت الحاسوب الخاص بها، وغادرت. مرت بمكتب باريزي، ولوَّحت له، وعند وصولها إلى المصعد نزولًا إلى الردهة، عاد تفكيرها إلى قضيتها.

كانت تفكر في قصة آرثر بارون عن الاعتداء عليه، وسرَّها أنه طلب أن يكون المساعد الثاني - فسيكون مساعدًا ثانيًا عظيمًا.

مشت يوكي عبر الردهة الرخامية الجرانيتية، وخرجت من الباب الأمامي الذي يفتح على شارع براينت على الجانب الآخر من بوردمان. هبَّت على وجهها رياح باردة لم تكن موجودة عندما خرجت لتشتري شطيرة في وقت الغداء؛ فربطت أزرار معطفها، وأخرجت وشاحًا من جيبها، وغطت رقبتها به.

وبينمـا كانت تنزل على الـدرج إلى براينت، شاهـدت مجموعة من النساء اللاتـي تجمعن عنـد نهاية الدرج، قد هبت الرياح عليهـن، وتطايرت شعورهن بعنف، وأياديهن في جيوبهن، ثم أشارت إحداهن إلى يوكي.

وصاحت قائلة: "يوكي كاستيلانو، ما خطبك بحق السماء يا يوكي؟ أتخونين بنات جنسك".

واصلـت يوكي نزولهـا الدرج. كانت سيارتها في موقـف السيارات المواجه للشارع، ثم اتجهت النساء نحوها؛ حيث كُنَّ عازمات على اعتراض طريقها.

قالـت سيدة أخـرى منهن: "إن مارك كريستوفر شخصـ أفَّاق وكاذب. إن بريانـا هيل امـرأة قوية، فهي امرأة مثلك. أهي التـي *أجبرته على* هذه الأفعال الغريبة؟ فكري قليلا".

توقفـت يوكي أمـام مجموعة السيـدات السبـع الغاضبـات العازمات على مواجهتها.

كانـت تحاول تجميـع جملتين معقولتين لترد عليهن؛ حيـث إنها لا تستطيع التعليق على القضية بأن مارك كريستوفر يستحق محاكمة عادلة في المحكمة، فقالت: "كنت أتمنى لو يمكننا التحدث عن هذا الأمر"، وعندئذٍ ركض رجل ذو شعر أبيض أشقر على الدرج.

قال زوجها بثقة: "يوكي، سأوصلك إلى سيارتك".

ثـم التفتَ إلى النساء، قائلًا: "عليكـن التفرق الآن. إنكن تزعجن مساعدة المدعـي العـام كاستيلانـو، وهذا يعرضكـن للتوقيـف بتهمة الاعتـداء. إنكن تعترضن مكانًا عامًّا، أتسمعننـي؟".

أمسك برادي بذراع يوكي، وسار معها عبر الشارع.

سألته يوكي: "برادي، من أين أتيت؟".

فأجابها مازحًا: "من كوكب العجائب".

"تحدَّث بجدية".

فأجابها موضحًا: "اتصلتُ بكِ مرة أخرى، وكنتِ قد غادرتِ مكتبك؛ حيث أردت الاعتـذار إذا كنـت قـد قسوت عليك عبـر الهاتف؛ فقـد كان لديَّ ثلاثة أشخاص في مكتبي".

"لا بأس".

وصلا إلى موقف السيارات، وسلمت يوكي تذكرتها إلى العامل، ودفعت إليه عشرين دولارًا، فأعطاها الرجل الباقي، ومفاتيح سيارتها، وأغلق نافذة حجيرة عمله.

كان برادي رجلًا جنوبيًّا نبيلًا؛ ففتح باب السيارة لزوجته، ثم انحنى وقبَّلها، وتأكد أن وشاحها على رقبتها، وأنه لم يغلق الباب عليه.

قال لها: "أراك لاحقًا".

أدارت السيارة، وأنارت الأضواء، ونظرت إليه وهي تخرج من الموقف، وشعره المصفر قد أثارته الرياح، فشكل هالة حول رأسه.

كانت تشعر بالارتباك.

تمنت لو أنه لم يواجه تلك المجموعة من النساء؛ فقد كان بإمكانها معالجة الأمر، لكنه بهذا التصرف قد أظهر لها أنه يهتم بها.

تنهدت وهي تتجه إلى شقتهما الفارغة، والكرسي الفارغ أمام التليفزيون، والمكان الفارغ بجوارها في فراشهما.

ما الجدوى من الملابس المثيرة إذا لم يكن زوجها في المنزل ليراها؟

الفصل
23

كنـت في الحمـام عندما سحب جو الستار، وأرانـي هاتفي الخلوي وهو يضع سماعة الهاتف أمام صدره، وقال: "ميلي كوشينـج؟".

أخذت الهاتف، وقلت: "ميلي، سأعاود الاتصال بك".

تمتمت إلى نفسي، وأنا أجفف جسدي، عن خصوصية مكان الاستحمام، ثم تجاوزت الأمر. وبعد ارتداء منامتي، هاتفت ميلي.

كنت أعرف ما تريده. كانت تود التحقق مما إذا كان قد تم إحراز أي تقدم مـن قبل الشرطـة في مقتل جيمـي دولان الذي قُتـل بالرصاص خـارج ميدان سيدني جي. والتون. لم يكن لديَّ شيء أقدمه إليها.

لم تكن قضيتي، ولم تقع في محيط منطقتي. سأعتذر إليها بالطبع، ولكنني قد فعلت ما وعدتها به، وتابعت القضية، لكن المحققين المسئولين عن القضية طلبوا مني عدم التدخل في عملهم.

لقد نقـرت على رقم هاتفها، وانتظرتها أن تجيب. طال الرنين، وكنت على وشك إغلاق الخط عندما سمعت ميلي تجيب. كنت قد أعددت اعتذاري سلفًا، لكن الكلمات لم تخرج من فمي.

قالت: "هناك حادث قتل آخر، وقبل أن تسألي إذا كان قد تم استدعاء الشرطة أم لا، فقد تم استدعاؤها بالفعل، لكنها لم تحضر. عليكِ أن تتحري هذا الأمر أيها الرقيب، عليكِ أن تحققي فيه بالفعل. بحق السماء، يجب فعل شيء حيال ذلك".

كنت قد قضيت أنا وشريكي يومًا في المحكمة، وشهدنا على الملاحقة القضائية في جريمة القتل وسرقة السيارات التي استغرقت عامًا كاملًا حتى وصلت إلى المحاكمة. كنت متعبة، وأعرف أن كونكلين كان في غاية الإرهاق أيضًا، لكنني اتصلت به على أية حال، ولخَّصت له مكالمة ميلي.

قلت له: "يمكننا نقل الأمر إلى برادي، ويمكنه هو الاتصال بالقسم المركزي، وربما يكون هذا كافيًا".

قال كونكلين: "سألتقي بك في منطقة فيشرمان وارف بالقرب من المتحف".

أخبرت جو بالأخبار العاجلة، وأنا أبدِّل ملابس النوم، وأرتدي الجينز والسترة الزرقاء، وحذاءً طويل الرقبة ذا كعب مسطح. أوضحت له أن لديَّ التزامًا أخلاقيًّا تجاه ميلي، وأنني سأتصل بالمنزل بمجرد أن أتحرى الوضع.

لقد كان شديد التفهم، لكنه قال: "إنك تتغيبين عن العشاء مرة أخرى".

فقلت له: "لديَّ بعض ألواح حلوى الطاقة في السيارة. احتفظ لي ببعض الطعام".

قال: "توخي الحذر".

"سأفعل".

تمنطقتُ بحزام مسدسي ثم علقت شارتي حول رقبتي، وأخذت مفاتيحي، وبعد أن أحكمت أزرار سترتي، نزلت الدرج. وبمجرد أن اتجهت مهرولة إلى الشارع، اجتاحني شعور بالدوار والغثيان.

أمسكت بسور السلم لأمنع سقوطي، ثم جلست على الدرج. ما الذي يحدث؟ هل هذا نتاج خروجي من الحمام الساخن، والاندفاع إلى ارتداء الملابس، والخروج على معدة خاوية؟

وضعت رأسي بين ركبتي حتى يزول هذا الشعور، ثم وقفت على قدميَّ. نزلت المجموعة الأخيرة من الدرج بحذر. كنت على ما يرام، أو ظننت أنني كذلك. خرجت إلى الشارع ودخلت سيارتي، وأدرتها، ثم فحصت نفسي سريعًا أيضًا. إنني بخير. إنني أفضل كثيرًا الآن.

وأدرت محرك السيارة، ثم اتصلت بريتشي لأخبره بأنني في الطريق.

الفصل
24

عند الساعة الثامنة والنصف في هذه الليلة، كنت أتجه إلى منطقة فيشرمان وارف، وأكثــر ما تشتهر به هذ المنطقة هــو الرصيف ٣٩ الذي يجتذب السياح بأُسوده البحرية مفرطة النشاط، والجولات البحرية في الخليج، كما توجد على مسافــة قريبة منه ساحــة جيراردلي، ومنعطف الترام في شــارع هايد، حيث ينقل الزوار عبر حي نوب هيل إلى ساحة يونيون سكوير على الجانب الآخر.

انعطفت من رصيف إمباركاديرو إلى رصيف ٤٥، الذي كان مكتظًّا بالمشاة. كانت المطاعم مفتوحة، والباعة الجائلون يبيعون السلطعون في مراجل البخار، وكان السياح منسجمين، وهم غاية في السعادة بجو المنتجع الساحلي.

لاحظــت أيضًــا سكان الشــوارع - المشردين الذين وضعــوا حقائب نومهم فــي الفراغات بين المباني، وراحوا يتسولون من السياح، ويفتشون في صناديق القمامة بحثًا عن الطعام.

أخبرتني ميلي كوشينج بــأن جريمة القتل قد وقعت بجوار موزي ميكانيك، وهــو متحف يضــم آلات عتيقة لألعــاب الفيديو التــي تعمل بالنقــود المعدنية، والآلات الموسيقية.

رأيت هذا المتحف أمامي.

إنــه يغلــق ليلًا، ولكــن الأضــواء الحمراء ما زالــت مضاءة داخــل الرواق. استدرت نحو الطريق المؤدي إلى منطقة وقوف السيارات على جانب المتحف، وقبل أن أتقدم كثيرًا أوقفني ضابطان يقفان إلى جانب سيارة دورية تسد جزءًا من مدخل الرصيف.

أنزلــت زجاج نافذة سيارتــي، وأظهرت لهما شارتــي، موضحةً أنني تلقيت اتصــالًا من أحــد المواطنين بشأن جريمــة قتل، وطلبت التوجــه إلى الضابط الأول فــي مسرح الجريمة، فقيل لــي إن الضابطين باسكــن وكيسي كانا داخل المنطقة المطوقة.

توجهت بسيارتي إلى منطقة وقوف السيارات المهجورة، التي تحُد الجدران الخلفية للمباني جانبيها، والمفتوحة أمام رصيف إمباركاديرو من جهة، وخليج ســان فرانسيسكو من جهة أخرى. ومن المعــروف أن المتسولين يستغلون هذه المنطقة بعد ساعات انتهاء الزيارات السياحية للتجمع والنوم.

كنت أتوقع أن أرى من خلال ضوء مصابيحي الأمامية مجموعة من مركبات إنفــاذ القانون حول مســرح الجريمة، ولكن بدلًا من ذلك رأيــت سيارة شرطة أخرى وحيدة، وشرطيين بالقرب من منطقة مطوَّقة بشريط، في داخلها جسد بديــن ساكن طريح الأرضــ. وكانت هناك مجموعة مــن المشردين يقفون إلى جوارهم، وكان بعضهم يسخر من رجال الشرطة.

جــاء صوت بــوق سيارة من خلفــي. إنه كونكليــن في سيارتــه القديمة من طراز برنكو. أوقفنا السيارتين، وحيَّا أحدنا الآخر، والرياح الباردة المقبلة من الخليج تجتاح الكلمات الخارجة من فمينا.

نظر رفيقي إلى المشهد الرمادي الكئيب، وقال لي: "أين ذهب الجميع؟".

قلت له: "إنني أطرح السؤال نفسه بالضبط".

اقتربنا من ضباط الشرطة والحشد الصغير المضطرب، وتبادلنا التعارف مــع الضابطين جوزيف كيسي ودونالــد باسكن من القسم المركزي. بدا كيسي محنكًا وغير متأثر، بينما بدا باسكن شاحبًا وقلقًا.

قــال كيســي: "لقد وصلنا مــن فورنا إلى هنــا، وقد قمنا بتطويــق المنطقة بالشريط قدر المستطاع، ولكن لم تُتح لنا فرصة مقابلة أي شهود".

قلت: "لقد تلقيت مكالمة قبل أكثر من نصف ساعة، فما سبب تأخركم كل هذا الوقت للوصول إلى هنا؟".

قال كيسي: "من أنتِ مرة أخرى؟".

قلت له إنني من قسم مكافحة جرائم القتل، ففهم في هذه اللحظة أنني أفوقه رتبةً، وسألته: "هل أعطاك محققوك الوقت المقدر لوصولهم؟".

"إننا في انتظارهم، إنهم مشغولون بقضية أخرى".

سألته: "هل اتصلت بمحققي مسرح الجريمة".

سأل كيسي في ارتياب: "أأتصل بهم لهذا؟ لمجرد مقتل أحد المشردين؟".

فزجرته قائلةً: "اتصل بهم. اتصل الآن". لم يكن هذان الشرطيان يخضعان لسلطتي، لكن هذا لم يكن يعني أنني سأقف مكتوفة اليدين، وأشاهدهما، وهما لا يؤديان عملهما.

مشيت حتى وصلت إلى جسد امرأة كانت ممددة على الأسفلت، ووجهها إلى أعلى. كانت ترتدي معطفًا من قماش متعدد الألوان على طراز الهيبي، فوق سترة زرقاء طويلة وسروال ضيق به ثقوب. كان شعرها داكنًا، والدم يتدفق حول أعلى جذعها. بدت كأنها قد تلقت طلقتين في صدرها. لقد رأت من أطلق النار. فهل كانت تعرفه إذن؟

عدت إلى كيسي، وسألته: "ماذا عن المارة؟ هل رأى أحد شيئًا؟ هل قال أحد شيئًا؟".

استعاد باسكن صوته وقال: "تحدثت إلى شخص قال إنه رأى الفاعل، ووصفه بأنه رجل أبيض طويل القامة يرتدي معطفًا أنيقًا".

"ألا تود استقدامه والحصول على بيان منه؟".

قال كيسي: "تبًّا أيتها الرقيب، كان هناك ثلاثون أو أربعون مشردًا يتجولون عندما وصلنا إلى هنا. وإلى أن وصلنا الدعم، كان كل منا، نحن الاثنين، يحاول منع الناس من السير عبر الدماء، وسرقة أغراض الضحية".

لقد فهمت. لم يكن خطؤهما أنهما كانا وحدهما تقريبًا في مسرح الجريمة، لكن مرت خمس وأربعون دقيقة منذ أن اتصلت بي كوشينج؛ ما يعني أن إطلاق النار يمكن أن يكون قد وقع قبل ذلك بفترة طويلة.

واصلت حديثي بغض النظر عن كل ذلك.

سألت كيسي: "هل توجد أية بطاقة هوية للضحية؟".

"لم أفتشها بيدي، فكل ما فعلته هو فحصها للتأكد من أنها فارقت الحياة".

طلبت من كيسي وباسكن توسيع محيط المنطقة المطوَّقة بالشريط. وبينما كانا يقومان ببسط شريط مسرح الجريمة حول دعائم منطقة انتظار السيارات، ثم أغلقا نهاية المكان التي تطل على الخليج بسيارتهما، جمعت أنا وكونكلين بعض الشهود إلى جانب جدران البناء الخرسانية.

ربما يعرف شخص ما في هذا الحشد الذي جمعناه شيئًا. بحق السماء! أيمكن أن يكون أحدهم هو مطلق النار، ونحن لا نعلم؟!

الفصل
25

بينما كان كونكلين يدوّن الأقوال، اتصلت ببرادي، وأطلعته على مستجدات مسرح الجريمة المفتوح في رصيف ٤٥.

"أربعة ضباط هنا يا برادي، وما يقرب من ستة مشردين. لا يوجد محققون، ولا أحد هنا من وحدة التحقيق في مسرح الجريمة. ولا توجد بطاقة هوية للضحية. أجري أنا وكونكلين التحقيقات الآن".

قال برادي: "هل أحتاج إلى إخبارك بأنك في حلبة القسم المركزي؟".

فقلت له: "إنني لا أسعى إلى صدام، لكن كان عليَّ التدخل أيها الملازم. فما يحدث خطأ فادح".

فقال لي: "سأتصل بوحدة مكافحة جرائم القتل بالقسم المركزي".

انضممت مرة أخرى إلى كونكلين والأفراد الذين يتحركون حوله بجانب المتحف.

قال لي شريكي: "أيتها الرقيب، هذه هي بيتينا شتراوس. كانت تعرف الضحية. السيدة شتراوس... أخبري الرقيب بما تعرفينه".

ثم ابتعد كونكلين مع الضابطين كيسي وباسكن لتمشيط المنطقة المجاورة.

رحبتُ بالسيدة شتراوس. بدت في الأربعين من عمرها، وكانت تزين جسدها بالأقراط، وكانت لديها وشوم على رقبتها ويديها. كانت ترتدي سترة

جلديـة قديمة فـوق رداء كامل من الجينز، ووشاحًا أحمـر من قماش الشيفون، يتطاير حول عنقها. وكان وجهها أحمر اللون، ومنتفخًا من البكاء.

قالـت عـن الضحية: "إنها لـورا راسل. كانـت أجمل إنسانـة، ولم تكن في الأصـل من المشردين، بل إنها كانت أقرب إلـى أن تكون نازحة. كانت مدرسة للصـف الثالـث على مـا أعتقد، وتم تسريحهـا من العمل العـام الماضي، كما أتذكـر، وبدأت كما تعلمين..."، ثم أصدرت شتراوس حركة بيديها لتلمح إلى أن صديقتها قد أدمنت شرب الكحوليات، ثم استأنفت كلامها.

"كانـت لديها عائلـة، لكنها لم تتحدث عنهـا. كنت أشعـر بأنها قد هربت منها، لكنني لم أضغط عليها للتحدث؛ فجميعنا لدينا قصصنا كما تعلمين".

سألـتُ شتراوس عددًا كبيرًا من الأسئلة: هل رأت إطلاق النار؟ هل تعرفت علـى مُطلـق النـار، أو إذا كان قد حدث شـيء قبل إطلاق النـار دفعه إلى فعل ذلك؟ هل كانت تعرف أي شخص أراد أن يؤذي لورا؟

أخبرتني بأنها لم تكن موجودة عندما حدث إطلاق النار.

ثـم واصلت كلامها: "كنت سألتقـي أنا ولورا هنا، ثم ننتقـل إلى الرصيف ٣٩". واختنقـت كلمات شتراوس فـي أثناء بكائها، ثم أضافـت: "ولكن عندما وصلـت إلى هنا، يـا إلهي، وجدتها ملقاة على الأرض. حرَّكتها، وضغطت على صدرها".

أرتنـي يديهـا الملطختين بالدمـاء، والدموع تنهمر مـن عينيها، ثم غطت وجهها بذراعيها.

أخبـرت شتراوس بأنني حزينة لمصابها، لكننـي سألتها مرة أخرى: "هل لديك أية فكرة عمن أراد أن يؤذي لورا؟".

فأجابـت قائلة: "بحق السماء لا أعرف، لكـنَّ هناك *شخصًا ما* يطلق النار على الناس، أيتها الشرطية. كنت أنا ولورا خائفتين".

قلـت لهـا: "بيتينـا، إذا أردت أن أريك صـورًا، أو أطرح عليـك المزيد من الأسئلة، فكيف يمكنني العثور عليك مرة أخرى؟".

قالت، "إنني أقيم الآن في مأوى جرين ستريت".

وبينما كنت أشكرها، أقبل كونكلين نحونا قائلًا: "لقد مررت أنا وباسكن ببعض صناديق القمامة في الأنحاء المجاورة. ولم نعثر على المسدس، لكننا وجدنا هذا".

كان يحمل معطفًا رجاليًّا طويلًا يصل إلى أسفل الركبة، من الصوف الرمادي، وبطانته سليمة.

قال كونكلين: "إنه ليس جديدًا، ولكن يمكن أن أصفه بأنه "أنيق"، وتوجد قفازات مناسبة في الجيوب".

خيط غريب في هذه القضية، ولكن *لا بأس به*.

قلت: "إذا كان ينتمي إلى مُطلق النار، فإنه يكون قد تخلص منه حتى لا يتم التعرف عليه. فلم يمر وقت طويل على وجود هذا المعطف في سلة المهملات".

اجتاحت الأضواء الأمامية لإحدى السيارات منطقة وقوف السيارات، فرفعت بصري لأرى شاحنة صغيرة تلتف من خلف سيارة الشرطة الوحيدة التي كانت بمنزلة حاجز إلى مسرح الجريمة، بجانب متحف آلات ألعاب الفيديو العتيقة.

إنه المعمل الجنائي المتنقل الخاص بوحدة التحقيق في مسرح الجريمة.

وأخيرًا، وصل الرجال البواسل.

الفصل 26

توقفت شاحنة فريق التحقيق في موقع الجريمة خارج الشريط الحاجز، الذي يطوِّق منطقة مساحتها ستون قدمًا مربعةً من الأسفلت، وامرأة ميتة، ومجموعة من رجال الشرطة والمشردين.

نزل فريق التحقيق مع الخبراء الفنيين من الشاحنة الصغيرة إلى مسرح الجريمة، وبدأوا إعداد الأضواء، وخيمة جمع الأدلة. وبعد ذلك بلحظات، وصلت سيارة رباعية الدفع إلى المحيط الخارجي عبر منطقة وقوف السيارات بجانب رصيف إمباركاديرو، وتوقفت.

سمعت صياحًا، ورأيت كيسي وباسكن يحاولان منع رجل ذي شعر رمادي وفتاة مراهقة خرجا من السيارة، لكنهما تجاوزا رجلي الشرطة، وركضا نحو الجثة المطروحة على الأرض، ومن ثم تم تسليط الضوء على كل تفصيلة ملطخة بالدماء في المكان باستخدام مصابيح الهالوجين الاحترافية.

خرج شخص ثالث من سيارة الدفع الرباعي. تعرفت عليها من مسافة مائة ياردة، وقد أبصرتني هي أيضًا. كانت ميلي كوشينج، وقد استنتجت من إيماءاتها ولغة جسدها أنها تخبر رجال الشرطة الواقفين عند الحاجز بأنها تعرفني.

فقلت لهم: "دعوها تمر".

رُفع الشريط. وسارت كوشينج بمحاذاة المحيط الداخلي، وظلت تسير بالقرب من جدار المتحف المبني من الجص، وعبرت منطقة وقوف السيارات بسرعة. وعندما وصلت إليَّ، قالت: "اتصلت بزوج لورا. كان لا بد من إخباره".

صرخت الفتاة المراهقة قائلة: "يا إلهي، يا إلهي. أمي، لا. انهضي يا أمي، رجاءً انهضي يا أمي".

تخللت صرخات ابنة لورا راسل وصيحاتها أصوات أجهزة الشرطة اللاسلكية المحيطة، وحركة المرور على رصيف إمباركاديرو، وضجيج الحشد الآتي من وراء مسرح الجريمة على رصيف الميناء.

أخذ الرجل الذي خمنت أنه والد الفتاة الشابة يحتضنها بحنوٍّ شديدٍ، في حين أجبرتهما وحدة التحقيق في مسرح الجريمة على الابتعاد عن جسد الشخص الذي يحبانه.

كنت مصدومة. ما الذي يحدث هنا؟ لماذا كانت تعيش هذه المرأة في الشارع، وقد كانت تعمل مدرِّسة، ولديها أسرة؟ لماذا قُتلت؟ هل كان هذا القتل بخصوص أمر شخصي، أم أنه مرتبط بظروف أخرى غير مباشرة؟

هل كانت ميلي كوشينج محقة في أن هناك شخصًا ما يُكن ضغينة ضد المشردين، تدفعه إلى تصيُّدهم واحدًا تلو آخر؟

رن هاتفي في جيبي، فنظرت إلى الشاشة. كان برادي.

"إن الرقيب ستيفينز ورفيقه موران في الطريق إليكِ يا بوكسر".

"إن عائلة الضحية هنا يا برادي. ويجب استجوابها".

"ابتعدي عن هذه القضية يا بوكسر. هل تسمعينني؟".

سمعته. هذه المنطقة تابعة لوحدة مكافحة جرائم القتل في القسم المركزي.

وقفتُ مع كونكلين وميلي كوشينج خارج الحاجز الذي يطوق مسرح الجريمة. انحنيت أمام سيارة دورية، وشاهدت ضباط وحدة التحقيق في مسرح الجريمة وهم يلتقطون صورًا للضحية المقتولة، وبدأوا معالجة مسرح الجريمة المشوه.

وفـي نهاية المطاف، مرت سيارة لا تحمل أرقامًا عبر الحاجز الموجود في نهاية منطقة وقـوف السيارات، التي تفضي إلى منطقة إمباركاديرو، وتباطأت حتى توقفت عند شاحنة وحدة التحقيق في مسرح الجريمة. خرج منها رجلان يرتديان سترات رياضية.

لقد وصل ستيفينز وموران.

الفصل
27

شاهدت أنا وكونكلين كلًّا من ستيفينز وموران، المحققين من القسم المركزي، وهما يقتربان من جين هالوس، أحد كبار الضباط في فريق التحقيق في مسرح الجريمة المسئول عن المناوبة الليلية المتأخرة.

قال شريكي: "فلنقدِّم إليهما ما لدينا".

رفع شريط مسرح الجريمة، ومررنا من تحته، ثم عبرنا منطقة وقوف السيارات للانضمام إلى مجموعة ضباط وحدة التحقيق في مسرح الجريمة، والمحققين. وبفضل ما قالته ميلي كوشينج لي، وإفادات شهودي، اتهمت زملاءنا بالتأخير والأسلوب المتراخي إلى أن يثبتوا العكس.

سأحاول أن أكون دبلوماسية.

قلت لستيفينز: "آسفة للمقاطعة أيها الرقيب. أنا ليندسي بوكسر، وشريكي ريتش كونكلين".

قال ستيفينز: "أنا أعرفك يا بوكسر. إنكِ تشبهين والدك".

"أعتقد ذلك".

"التقيتكِ عندما كنتِ بهذا الطول. اعتاد مارتي أن يوصلك إلى كافيتريا روبي كروزو، ويجلسك على طاولة المشرب، بينما كنا نشاهد نحن المباريات في ستاد كاندلستيك. لم تكن تروق لكِ الصودا".

ابتسمت قائلة: "أحبها الآن".

"مثلما قلت، إنك تشبهين أباك".

لم أتعرف بستيفينز، ولم أكن أَود التفكير في مارتي بوكسر. ولم يكن والدي أسـوأ شرطـي في العالم، لكنــه كان مقامرًا فاسدًا، وأسـوأ من ذلك؛ فقد ترك والدتــي عندما كانت مصابة بسرطان الثدي فــي مراحله المتأخرة، وقتها كنت فــي الثالثة عشرة مــن عمري، وكانت أختــي تصغرني بست سنــوات. لم يدخل حياتنا مرة أخرى حتى تخرجت في الكلية. رأيته عدة مرات بعد ذلك، وكان على تواصــل مع أختي. وعندما كنت على وشك أن أغفر له جرائمه وآثامه الماضية، خذلني ثانية بعدم وقوفه إلى جانبي ومرافقتي في الممشى يوم زفافي.

توفي مارتي بوكسر على حد علمي، لقد كان ميتًا بالنسبة إليَّ على أية حال.

أخبــر كونكليــن كلًّا مــن ستيفينز ومــوران وهالوس: "إننا هنــا منذ ساعة تقريبًا، ويمكننا أن نطلعكم على ما وجدناه".

قال ستيفينز: "حسنًا، هات ما لديك. لكن قبل أن تفعل، ما الذي أتى بكما إلى مسرح الجريمة في محيط منطقتنا؟".

اقتحمت الحديث مرة أخرى.

"مثلما تحدثت معك في المرة الأخيرة. اتصل بي أحد المواطنين ليخبرني بأن شخصًا قُتل بالرصاص في الشارع، وقد تُركت جثته تنهشها الصقور".

أرســل إليَّ كونكلين نظرة تحذير، فابتســم ستيفينز ابتسامة ماكرة، وقال: "ربما يكون مخبرك هو الفاعل. هل فكرتِ في ذلك؟".

تنحنح رفيقي، واستمر في تقديم تقريره.

"وصلت أنا وبوكسر في الثامنة والنصف، فوجدنا أربعةً من رجال الشرطة فــي مسرح الجريمة؛ اثنين في المحيط الغربي، واثنين واقفين لمراقبة الجثة. كانــت لديهم إفادة لأحــد الشهود، ولكن لا توجد هوية لهــذا الشاهد، وكان قد غادر مكان الجريمة. تعرفت واحدة من الوقوف على الضحية، وقالت إن اسمها لورا راسل، كما أن أسرتها موجودة هنا بجانب سيارة الدفع الرباعي تلك".

واصل حديثه قائلًا: "لقد قمت بعملية بحث في المنطقة بمعاونة الضابطين باسكــن وكيسي. عثرنا فــي سلة المهملات على معطــف رجالي في حالة جيدة تمامًــا على رصيــف أمباركاديــرو. وشاهد العيــان الذي ربما يكــون قد شاهد القاتــل أخبــر الضابطين بأنه كان يرتــدي معطفًا أنيقًا. ولذلــك فإن المعطف الــذي وجدناه يمكن وصفه بأنه أنيق، كمــا كان هناك قفازان في أحد الجيوب،

ربمـا يكـون القاتل قـد تخلص منهمـا. لقـد سلمناهما إلى هالوس من وحدة التحقيق في مسرح الجريمة".

سـأل مـوران عـن الضحيـة، وأخبـره هالوس بأنهـا أصيبـت بطلقتين في الصـدر، ولا توجد فوارغ لطلقـات الرصاص على الأرض، وليست معها هوية. ولا تحمل هاتفًا. وأنهـم وجدوا اثنين وعشرين دولارًا وثمانية وثلاثين سنتًا في جيب معطفها.

"سيكـون لـديَّ المزيد؛ لأقدمه إليكـم بعد أن يفحـص المختبر ملابسها، وبعد التقرير النهائي للطب الشرعي".

قال ستيفينز لهالوس: "لديك رقمي".

أخبـرتُ ستيفينـز بأنني سأرسل إليـه نسخة من تقريري. قـال: "حسنًا يا بوكسر. لقد أنجزتِ عملًا طيبًا، ويمكننا تولي الأمر من هنا"، ثم أدار ظهره.

على الرحب و السعة.

توجهنـا أنا وكونكلين إلى سيارتينا مفسحيـن الطريق أمام سيارة الطبيب الشرعـي التـي كانت تتحرك في محيـط المكان. وقفنا خـارج الشريط، بينما دخل فريق الطب الشرعي، واستعد لنقل الجثة.

استطعنـا سمـاع ستيفينـز يمزح مع مـوران قائلًا إنها ليلـة جيدة لجريمة قتـل في غاية التعقيد. ربما تكون حيوانات الفقمـة هي التي شاهدت وقوع هذه الجريمة.

قال موران: "أجل، ولكن لم ينبح أي منها".

أصابنـي مزاحهمـا بالصـداع. شخصٌ قُتل فـي منطقة سياحيـة. وأُفسد مسرح الجريمة بسبب المارة. وقد فر مطلق النار وأي شهود على الجريمة.

ولم يكن ستيفينز وموران يباليان.

الفصل
28

هبت الرياح وراء ظهرينا، بينما كنت أفتح أنا وكونكلين سيارتينا.

تحدثت إليه عبر سطح السيارة: "إليك ما أفكر فيه يا ريتشي. إنهم يعملون بشكل روتيني بالغ. أتساءل كم عدد ساعات العمل التي يمكن أن يهدروها في قضية لا يوجد شهود فيها، فكلما زادت النهايات المسدودة، كان الأمر أفضل بالنسبة لهم".

"تقولين إنه نوع من أنواع الخمول أو التباطؤ المتعمد؟ ربما".

سألته: "ماذا ينبغي أن نفعل حيال ذلك؟".

"يجب أن نذهب إلى المنزل يا ليندسي. سأحتسي زجاجتي مياه غازية، وأقضي بعض الوقت المميز مع زوجتي قبل أن تنام".

شعرتُ بضيق عندما تذكرت الوعد الذي لم أفِ به. أخبرت كونكلين بأنني سأراه في الصباح، ودخلت سيارتي، وشغلت المحرك. وفي أثناء تجهيز السيارة للانطلاق، اتصلت بجو.

وعندما رد، قلت له: "إنني آسفة لأنني لم أتصل بك في وقت سابق. لقد انخرطنا هنا في خلاف بسيط لم يرتقِ إلى صراع. هل كل شيء بخير في المنزل؟ ... حسنًا سأكون في المنزل في غضون عشرين دقيقة على أقصى تقدير".

وصلت إلى المنزل في وقت أقل من ذلك.

فتحت الباب الأمامي. توقعت أن تستقبلني مارثا كلبتي العجوز بنباحها الترحيبي المميز، لكنني وجدت جو بدلًا منها ينتظرني في المدخل.

ساعدني على خلع معطفي وجراب مسدسي.

قال لي: "يبدو أنك تحتاجين إلى مشروب".

فقلت له: "حقًّا؟".

فسألني: "هل أكلتِ؟".

فأجبته قائلة: "لم يخطر الطعام على بالي من الأساس".

"إنك محظوظة أيتها الشقراء. سأحضر إليك طبقًا كبيرًا من حساء اللحم والخضراوات في الحال".

قلت بحماسة مصطنعة؛ حيث لم أكن جائعة على الإطلاق: "لذيذ. أين الجميع؟".

فأجابني قائلًا: "تكورت جولي مع مارثا، وكلتاهما تغط الآن في النوم".

ألقيت بنفسي على الأريكة، وخلعت حذائي. توجه جو إلى المطبخ؛ وهو عبارة عن مطبخ صغير مفتوح، تفصله عن غرفة المعيشة منضدة لإعداد الطعام، وكان يتحدث عن الأخبار في التلفاز في أثناء تسخين العشاء لي.

ثم قال: "تعالي واجلسي إلى الطاولة، وأخبريني بكل ما حدث الليلة".

سقطت في الكرسي، وشاهدت جو يهتم بي. نزع سدادة زجاجة المياه الغازية وصب منها في كأسين. ثم صدرت صافرة الفرن، فأحضر جو العشاء إلى الطاولة، وجلس في مواجهتي، وقدم إليَّ أروع الهدايا التي يمكن أن يقدمها الزوج إلى زوجته؛ وهو اهتمامه الكامل. أقسم إنه جعل عينيّ تذرفان الدموع.

قال جو: "لنسمع إذن. ابدئي الكلام".

قلت له العنوان الرئيسي المكون من خمس كلمات.

"رجال الشرطة الفاسدون عديمو الجدوى".

الفصل
29

في غرفة المعيشة بشقتهما في حي تليجراف هيل، كانت يوكي تجلس إلى مكتبها مرتدية سروالًا مريحًا، وسترة صوفية. كانت تكتب على حاسوبها المحمول، وفي الخلفية صوت الأخبار في التلفاز، بينما كانت تنتظر سماع حركة مفتاح برادي في الباب.

عندما دخل برادي أخيرًا من الباب في الساعة العاشرة والربع مساءً، انحنى من فوق ظهر كرسيها، وطبع قبلة على جبينها. خلع سترته وحزام سلاحه، وكان متجهًا نحو الحمام، عندما قالت يوكي: "لديَّ فكرة. هيا بنا نخرج".

التفت لينظر إليها، وقال: "الآن؟ أنا جثة تمشي على قدمين".

"لقد قمت بالحجز في مطعم رينيجيد".

بدا متألمًا بحق، وهو يقول: "حقًّا؟ يا إلهي. يوكي، أنا آسف، لماذا لم تذكريني بأن اليوم هو ذكرى ميلادك؟".

قالت: "إنهم يغلقون عند منتصف الليل، ولن أقبل الرفض كإجابة".

واصلت يوكي ادعاء أن هذا اليوم هو ذكرى ميلادها. وكانت كذبة ناتجة عن سهوه، ولكن أيًّا كان ما ستتكلفه لتجعل زوجها جالسًا إلى مائدة العشاء

أمامها، فإن هذا يستحق تلك الوصمة الصغيرة التي ستلحق بضميرها. لم تكن تستطيـع حقًّا تحمُّل الصمت والبعد، وتلك الأحاديث البسيطة في زواجهما بعد الآن. كانت لديها أسئلة، وكانت بارعة في الحصول على إجابات من الناس.

كانت تأمل أن يتسع قلبها لتتقبل الحقيقة.

كانـا هادئين وهما في الطريق إلى رينيجيـد؛ وهو مكان مميز، يضم بعض الذكريـات بينهـا وبين بـرادي. كان جهاز إرســال الشرطـة اللاسلكي يصيح ويهلل، وكان برادي يفكر في العمل كالمعتاد.

نظـرت يوكي مـن النافذة، وهما فـي طريقهما إلى هناك. وبعـد أن أوقف برادي السيارة، أحاطت ذراعها بذراعه وهو يمشي معها إلى المطعم.

قال: "إن أول لقاء لنا كان هنا، أليس كذلك؟".

فتنهدت قائلة: "أجل".

لقـد أحبت هـذا المطعم. يوجد فـي مدخله خلف طاولـة الاستقبال جدار نحاسي يصل من الأرض إلى السقف، وفوقه شلَّال من الماء، تُصب مياهه في بركـة. وتـؤدي القاعة إلى غرفة الطعام التي تتميز بمشهـد للأضواء المتلألئة على جسر سان فرانسيسكو.

لا تزال يوكي تتذكر كل شيء عن هذا الموعد الأول. كانت تجلس إلى مائدة بالقـرب من بـرادي، كان حينهـا بالنسبة إليها رجـلًا غريبًـا ووسيمًا، وكانت تحـاول أن تكبح جمـاح رغبتها في لمس شعره ذي اللون الأشقر الفاتح المتدلي حتى كتفيـه، والتحديق بهيام إلى بنيته الجسمانيــة الرائعة، وتمعن النظر إلى عينيه الزرقاوين.

وفي تلك الليلة كان قد أسر لبها دون أن يبذل مجهودًا. أحبت لكنته الجنوبية الجميلـة، وطريقته العفوية فـي وصف العنف اليومي الذي يواجهه في عمله في قسم شرطة ميامي. أخبرها بأسابيعه الأولى في قسم شرطة سان فرانسيسكو، وموقفه تجاه الأشخاص الذين كانت تعرفهم في إدارته، ثم جاءت تلك اللحظة التي توقف فيها في منتصف حديثه ليقول: "إنكِ حقًّا مميزة يا يوكي".

كانت قـد حدَّثته عن والدها الإيطالي الأمريكـي وأمها اليابانية التي كانت لا تزال تسمع صوتها في بعض الأحيان. لم يضحك من ذلك. وتواصَل الحديث بينهما، وتناغما سريعًا.

والآن، بينمـا كانـا يتبعان النادلـة وراء الشـلال النحاسـي المنساب عبر المطعم شبه الخاوي، كانت يوكي تأمل أن تجني ثمار قضاء ذلك الوقت الطيب مـع زوجها، كما تمنـت أن يشعرا بهذا التواصل الذي جمع بينهما في تلك الليلة التي التقيا فيها.

الفصل 30

عندما كان كل من يوكي وبرادي جالسين إلى "مائدتهما"، والمشروبات أمامهما، وضعت يوكي يدها على ذراع زوجها.

قالت: "برادي، حان وقت الصراحة التامة. إن ذكرى ميلادي في الأسبوع *التالي*، ولكنني كنت في حاجة ماسة إلى هذا العشاء".

فقال برادي متفاجئًا: "إنكِ تمزحين. ماذا تقولين يا عزيزتي! ما الأمر؟".

نظرت إلى أسفل للمائدة، كان الكلام الذي أعدته مسبقًا ثقيل الوطء كالغصة في حلقها. تذكرت ما قالته كلير: *هذا الرجل يحبك حتى الموت*.

ربما لم يدرك برادي حجم الفجوة التي كانت تتسع بينهما.

شعرت بثقل حبات المرجان وردية اللون حول رقبتها؛ هدية الزفاف التي أهداها إياها برادي قبل رحلة شهر العسل. كان الناس على وشك الغرق في تلك السفينة. لقد أنقذ برادي أرواحهم، وأنقذ *حياتها*، فأحبته آنذاك، ثم أحبته أكثر بعد ذلك. فما شعوره هو إذن؟

"يوكي! ما الأمر؟".

فقالت له: "اشتقت إليك يا برادي. إننا لم نعد نتحدث كثيرًا. إننا في حاجة إلى أن نتكلم".

ابتسم برادي، وأمسك يدها، ثم قال: "أشكرك على تنبيهك السري لي بشأن يوم ميلادك. سأحرص على إرسال الأزهار إليكِ في الأسبوع المقبل".

فكرت يوكي، *إنه لم يفهم الأمر، أو لم يشعر بالشعور ذاته، أو لا يريد أن يفصح عما في قلبه*. كل هذا ممكن - كل هذا مؤلم.

أحضرت النادلة شراب المارجريتا بعصير البرتقال ذا اللون الأحمر لها، والمياه الفوارة مع شريحة ليمون لبرادي. شربت يوكي نصف مشروبها على الفور. لقد أخبرت كلير بأنها لا تحب التحدث عن المشاعر الجياشة، وكذلك برادي، لكنها حينذاك لم تكن مضطرة إلى هذا الحديث الثقيل فحسب، بل إنها كانت ترى أنه قد تأخر أيضًا.

ازدادت جرأة يوكي بعد احتساء بقية العصير مرة أخرى.

قالت: "يبدو أن كلًّا منا يفتقد الآخر".

قال برادي: "أنا هنا. اقتربي مني".

تسللت نحوه، فمد برادي يده وجذبها نحوه، ولف كلتا ذراعيه حولها، واضعًا ذقنه على رأسها، ثم قال: "ما الذي حدث؟ يا إلهي! لقد فهمت".

رجع إلى الخلف لينظر إلى وجهها.

قال لها: "إن الأمر لا يتعلق بيوم ميلادك. هل تفكرين الآن في إنجاب *طفل*؟".

مالت يوكي على صدر برادي، ومررت أصابعها بين أزرار قميصه.

ثم قالت له: "لا، الأمر لا يتعلق بإنجاب طفل. ليس الآن".

قال زوجها: "حسنًا، جيد. ما الأمر إذن؟".

قالت: "ألا تشعر بذلك؟ إننا نتباعد تدريجيًّا".

ساد بعض الصمت قبل أن يقول برادي أخيرًا: "فهمت ما تعنينه. إنني أهملك".

انسحب من عناقهما، وبدا مرتبكًا، أو كأنه يبحث عن الكلمات المناسبة. وأخذ رشفة من المياه قبل أن يقول: "لقد قام جاكوبي بإثقال كاهلي بقدر كبير من الأعمال الإدارية؛ حيث إنه لم يعد يستطيع التعامل معها الآن. وفوق كل ذلك، وبالإضافة إلى كل الأوغاد الذين يسعون للنيل مني، أنا المسئول الأساسي عن قضية الشروع في القتل والانتحار تلك".

سمعت يوكي بتلك القضية التي غادرت فيها امرأة محكمة الطلاق، ثم قادت سيارتها إلى رصيف المشاة، فصدمت زوجها وصديقته ومحاميه، ثم سارعت إلى جسر البوابة الذهبية، وتسلقت الحاجز الحديدي، وقفزت إلى حتفها المحتوم.

قال برادي: "إن الزوج والصديقة في صحة جيدة، ولكن المحامي في وحدة العناية المركزة. فإذا مات هذا المحامي، فسيصبح واجبًا التعامل مع الأمر كجريمة قتل، مع أن القاتل قد قام بالفعل بتطبيق عقوبة الإعدام على نفسه".

قالت يوكي: "هل رأيت؟ إنني أفتقد الحديث إليك على هذا النحو، حتى لو كان عن العمل. اشتقت إلى أن أسمع ما يجول في خاطرك".

أمسك ذقنها وطبع قبلة على جبينها. وعندما جاء العشاء، رفضت يوكي تناول مشروب آخر، بينما أكل برادي كأنه لم يتناول الطعام في الأربع والعشرين ساعة الأخيرة. وبعد أن وضع سكينه وشوكته، طلب منها أن تطلعه على مستجدات قضيتها المتعلقة بقيام امرأة بالاعتداء على رجل.

وبينما كانت تخبره، نظر إلى هاتفه مرتين أو ثلاثًا، وهو يقول لها: "انتظري لحظة"، و"معذرة"، ثم رد على بعض الرسائل قبل أن يغلق الهاتف.

قال: "آسف. إنها التزامات العمل، وهاتفي دومًا مفتوح".

لم يستطع إغلاق هاتفه ساعة؟! كان هذا الحزن الملازم لها، الذي يثقل كاهلها قد هدأت حدته قليلًا، لكنه الآن صار يثقل قلبها من جديد.

غادرا دون تناول الحلوى واحتساء القهوة. وفي وقت لاحق من تلك الليلة عندما كانا في فراشهما، حين حجبت الغيوم القمر المكتمل الذي كان يضيء السماء خارج نافذة غرفة نومهما، ثم انقشعت عنه، كانت يوكي راقدة على السرير، وهي مستيقظة تمامًا.

هل كان برادي صادقًا معها عندما قال إنه مشغول أكثر من اللازم؟ أم كان يخفي شيئًا عنها؟

ما الأمر بحق السماء؟

الفصل
31

غلب النعاس يوكي بعد أن تجاوزت الساعة الثانية صباحًا. واصلت نومها على الرغم من صوت المنبه الذي انطلق في السابعة والنصف صباحًا. وعندما بدأت تنتبه بعد ذلك، وجدت مكان برادي في السرير فارغًا.

كان بوسعها الوصول إلى العمل في الوقت المناسب إذا استجمعت نفسها بسرعة، وقد فعلت ذلك بطريقة ما. سارت بنشاط عبر المدخل إلى جناح مكاتب المدعي العام في التاسعة والربع. وبصرف النظر عن أن شعرها كان لا يزال رطبًا، فإنها كانت في حالة جيدة.

تم تنظيم مكتب المدعي العام بغرف ذات نوافذ في الحدود الخارجية له، وتحيط تلك الغرف بمتاهة من المقصورات في المنتصف. كانت هذه المقصورات مشغولة تمامًا بالمساعدين القانونيين ومعاونيهم على الهواتف، فكان المكان يعج بالهمهمات.

عندما مرت يوكي بزاوية مكتب لين، لوَّح لها مساعده توني رينولدز الذي كان موجودًا على المكتب بجوار باب مكتب لين.

قال لها: "يوكي، يرغب لين في رؤيتك أنتِ وآرثر *على الفور*".

فسألته في دهشة: "الآن؟!".

قال توني: "حالما ينتهي اجتماعه. حسنًا! ها هو ذا آرثر. من فضلكما اجلسا، فسوف يكون معكما في الحال".

فوجئت يوكي بهذا الاستدعاء إلى مكتب لين. إنه يقول "على الفور"، ما الذي حدث إذن؟

وما لبثا أن استقرا في مقعديهما في الردهة، حتى انفتح باب مكتب لين باريزي بقوة.

قال مساعد لين ليوكي: "آمل ألا تمانعي، لكن كان عليَّ أن أنسق الكثير من الجداول الزمنية، فالقاضي راثبيرن يريد أن يرى جميع المعنيين بالقضية في العاشرة".

لم تكن يوكي تعرف سبب رغبة القاضي في مقابلتهما، ولم يكن أمامها فرصة للسؤال. ظهر باريزي في مدخل مكتبه، وقد بدت عليه أمارات الغضب والانزعاج، وطلب من يوكي وآرثر الدخول.

جلسا فوق الأريكة الصغيرة، وشاهدا الرجل الضخم خلف مكتبه الخشبي الفوضوي، وهو يغوص في كرسيه.

نقل أكوامًا من الأوراق عن مكتبه، وصفَّ أقلامه، ثم بدأ مناقشة الأمر معهما.

قال: "تقدم جيفتوس بطلب لرفض شريط الفيديو الذي صور العلاقة. إن هذا الشريط هو كل ما نمتلكه. لم أشعر قط بالاطمئنان حيال اقتصار أدلتنا على هذا الشريط فحسب. إن راثبيرن يتسم بالعقلانية، ويستمع جيدًا، ويمكن إقناعه. فلا تدعي جيفتوس يربككِ يا يوكي، وهو حتمًا سيحاول".

قالت يوكي: "استخفاف الناس بي هو سلاحي السري".

رسم باريزي ابتسامة على وجهه، ثم قال: "حدد توني موعد الاجتماع في العاشرة. إنها التاسعة والنصف الآن. لا تتأخرا".

نهضت هي وآرثر عن الأريكة وخرجا من المكتب. وعند المصعد رأت يوكي أضواء المؤشر، وهي تشير إلى أنه آتٍ من الطابق السابع، وهو طابق السجن. كان المصعد قديمًا، ويصدر صريرًا، وبطيئًا شأنه شأن كل شيء في مقر قيادة الشرطة؛ عفا عليه الزمن.

قال آرثر: "نصعد على الدرج".

فقالت: "هيا بنا".

استخدما مخرج الطوارئ، وبينما كانا يهرولان إلى الطابق الثاني، قال آرثر: "لقد رأيت حلمًا، كنا فيه في المحكمة، وجاءت مجموعة من الكلاب مندفعة عبر الباب. كانت تتبع شيئًا قيمًا، كان يبدو عليها العزم".

فسألته: "كيف عرفت ذلك؟".

فأجاب قائلًا: "لا أعرف. لقد استيقظت من النوم".

ضحكت يوكي. "أهذا فقط؟ أهذا هو الحلم كله؟".

فقال لها: " كان لقائدها فراء أحمر اللون".

ابتسمت إلى نائبها الجديد، وقالت: "حسنًا يا آرثر ، نحن على وشك مواجهة الرجل الذي أثار غضب لين".

وبينما كانا يسيران بطول الممر، أعادت يوكي تفكيرها في هذا التعقيد الذي يمكن أن يضعف القضية المرفوعة ضد بريانا هيل.

فبدون الفيديو، ستكون شهادة مارك كريستوفر في مقابل شهادة بريانا هيل. إنها مجازفة ستفتح مجالًا واسعًا أمام هيئة المحلفين لإيجاد مجال للشك.

لم تكن يوكي تعرف القاضي راثبيرن، لكنها كانت تعرف جيمس جيفتوس.

لقد كان من نوعية المحامين الذين يطلق عليهم في بعض الأحيان الناسف.

هل سيسمح راثبيرن بإدراج الفيديو ضمن الأدلة؟ أم أن جيمس جيفتوس؛ ذلك الرجل الذي يكبرها بعشرين سنة، ولديه أضعاف خبرتها القضائية، سينسف قضيتها قبل أن تقدمها إلى هيئة المحلفين؟

الفصل
32

عندما وصلت إلى مكتبي في صباح اليوم التالي كان رأسي لا يزال يعج بالمشاهد التي رأيتها في جريمة القتل التي وقعت على رصيف ٤٥.

جالت في خاطري صور الحشد المتفرق على الرصيف، وجثة لورا راسل الغارقة في دمها، وابنتها المراهقة وهي تبكي. فكرت في التقرير السطحي عديم الفائدة الذي يفيد بأن مطلق النار كان أبيض اللون، وكان يرتدي معطفًا أنيقًا. وبالطبع، كنت لا أزال مستاءة من أسلوب الرقيب جارث ستيفينز الوقح.

لم يسجل كونكلين حضوره في العمل؛ لذلك توجَّهت إلى غرفة الاستراحة، ووجدت أن الرقيب بول تشي وشريكه كابي ماكنيل قد اتخذا مكانهما إلى الطاولة. لقد عملت مع هذين المحترفين في مجال جرائم القتل منذ أمد بعيد عندما كنت أنا وجاكوبي شريكين.

إن تشي ضابط يتسم بالدقة والاجتهاد؛ فهو الرجل الذي يطلق عليه جاكوبي وصف: "رادار بشري شديد الدقة". أتذكر قول جاكوبي وهو يبتهج احتفالًا بترقية تشي إلى رتبة رقيب: "إن تشي لديه بصيرة نافذة ورؤية بعيدة المدى".

وكابي ينتمي إلى نوع مختلف من رجال الشرطة؛ فهو محقق مهني، يعمل منذ عشرين عامًا في الخدمة، ويحل قضية تلو أخرى دون عناء أو تورط في مشكلة.

ظننت أن تشي وماكنيل بوسعهما تقديم بعض النصائح إليَّ عن مقتل لورا راسل. أفسحا لي مكانًا على الطاولة، وجلسنا معًا، وكانت توجد علبة ممتلئة بالكعكات الحلوة بيننا. وبعد أن كشفت جميع الأمور أمامهما، بما في ذلك المعلومات التي حصلت عليها من مخبري السري، وتجربتي الشخصية مع ستيفينز وموران، سألت: "هل أي منكما يعرف هذين الرجلين؟".

قال كابي، وهو يلتهم كعكة العسل: "أعرف ستيفينز. ماذا تريدين أن تعرفي عنه؟".

فقلت له: "ماذا لديك؟".

مضغ ما في فمه على مهل، وابتلعه، ثم قال أخيرًا: "إن هذا الأمر بينك وبيني وبين تشي وكعكة العسل التي أنا على وشك التهامها".

قلت: "أوافق".

فأخبرني كابي ماكنيل الحكيم وهو يقضم الكعكة بأن ستيفينز كان يدمن الكحوليات. ولم يكن ذلك مفاجئًا، فهو على هذا النحو منذ أن كان هو ووالدي شريكين لا يفترقان. وأضاف كابي أن موران كان يتعامل بعنف مع النساء، أو هكذا قيل له.

"لم يكن يستخدم مسدسه في العراك، لكنه كان يعامِل السيدات بفظاظة بالغة. ولو كان ستيفينز لاعب كرة قدم محترفًا، لكان قد أُوقف عن اللعب مدة عام على الأقل بسبب خشونته".

فضغطت عليه للحصول على المزيد.

قلت: "هل هناك أي سوء تصرف صدر منه في العمل؟".

قال تشي: "هذه شائعات فحسب، أتفهمين يا بوكسر؟".

"أفهم. ما الشائعات إذن؟".

"عندما كان ستيفينز في قسم مكافحة المخدرات، كان هناك حديث يدور حول أنه ربما حصل على رشاوى من تاجر مخدرات كبير، ولكنني لم أسمع بذلك إلا بعد اختفاء بعض الأدلة ضد ذلك الشخص".

قلت له: "*بربك*، هل يمكن أن يكون بهذا القدر من القذارة حقًّا؟".

قال كابي: "لم ترتقِ تلك الشائعة قط إلى مستوى التحقيق. إن رئيس ستيفينز، الملازم كريس ليفانت، أحبه في ذلك الحين، وهو لا يزال يحبه حتى يومنا هذا، وزوجة كل منهما صديقتان؛ لذلك تم نقل ستيفينز إلى فريق

التحقيق في القسم المركزي، وبعد ذلك اشترك مع موران، فأصبح كلاهما محور قسم مكافحة جرائم القتل الذي يرأسه ليفانت".

وتابع كابي قائلاً: "لقد أغلقنا قضية تلك الفتاة المراهقة المفقودة في حي بولك جولتش التي تم العثور على جثتها في خزانة، وقد ألقيا القبض على الجاني الذي أدين بعد ذلك؛ لذلك بغض النظر عن أي شيء آخر، فإنهم يبلون بلاءً حسنًا".

لقد أخبرت تشي وماكنيل بما قالته مخبرتي السرية؛ وهو أن مجموعة من الأشخاص المتشردين قد تم إطلاق النار عليهم، وذلك دون إلقاء القبض على الفاعل.

"تحدثت مخبرتي عن ثلاثة قتلى، وكان ذلك قبل الاثنين الأخيرين".

سألني تشي: "هل أنتِ متأكدة من ذلك؟ هل فحصت قاعدة البيانات؟".

فأجبته قائلة: "فعلت، ولكن ليست لديَّ أسماء. لست متأكدة إن كان الضحايا يحملون هويات أم لا. ولو لم تثر ضجة حول تلك القضايا، فإنه كان من الممكن ببساطة حفظها "ضد مجهول"، ولا يتم حلها إلى الأبد".

أصبحت غرفة الحجز مليئة بالضوضاء. وكان أفراد المناوبة الليلية يسجلون انصرافهم، وأفراد المناوبة النهارية ينتقلون إلى غرفة الاستراحة، ويتحركون ذهابًا وإيابًا، ويضحكون، ويملأون أكوابهم بالقهوة، ويأخذون وجبات الفطور المحلاة.

انحنى تشي على الطاولة وقال: "فلنقل إن هناك شيئًا يا بوكسر. ما الجدوى من تولي ستيفينز هذه القضية؟".

حركتُ كتفي قائلة: "أتمنى أن تخبرني".

قال كابي: "كوني حذرة، فكما قلت لكِ إن ليفانت هو الأب الروحي لستيفينز، فضلاً عن أنه ذو أهمية عند عمدة المدينة".

أصدرت إشارة مفادها أنني سأكتم السر.

أمسكني تشي من ذراعي.

ثم قال لي: "ثقي بحدسك".

فقلت له: "حسنًا. أشكرك".

كنت أغسل كوبي عندما جاء كونكلين من المدخل، وسحب كوبًا، ومزح مع تشي وكابي حول عدم النوم في الليلة الماضية.

قال كابي: "إن صديقتك مسرورة جدًّا برؤيتك يا ولدي".

حركت عيني، وتركتهما يتحدثان أحاديثهما الرجولية.

وفـي مكتبي قمت بتشغيل جهاز الحاسوب الخاص بي، وبدأت أتفقد بريدي الإلكترونـي. كنت أفكر في إخبار برادي بمدى انزعاجي من سوء التعامل الذي تم مع مسرح جريمة القتل، ثم تذكرت بوضوح أنه طلب مني التراجع عن الأمر. إنه الرئيس، وهو يتسم بالحكمة، وأعرف أنني يجب أن أستمع إليه.

كل مـا بيـن يدي هو ما قالته ميلـي كوشينـج، وشعوري القـوي بأن ستيفينز ومـوران، المحققين الأساسيين فـي قسم مكافحة جرائم القتل الذي عفا عليه الزمن، والذي يهيمن عليه الملازم ليفانت، ليسا على حق.

الحدس له قيمة في هذا النوع من العمل، وهذا يوافق ما قاله بول تشي "إن عليَّ الوثوق بحدسي".

الفصل 33

كان القاضي راثبيرن يتحدث في الهاتف عندما وصلت يوكي وآرثر، لكنه لوَّح لهما بالدخول إلى مكتبه، وقدم إليهما كرسيين في منطقة الجلوس في نهاية الغرفة.

كان القاضي في الخمسينيات من عمره، ذا لحية، ويرتدي نظارة، وسروالاً رسميًّا، وقميصًا أبيض ذا كمين مرفوعين، وربطة عنق مخططة باللونين الذهبي والأخضر. كان يعلق على جدران مكتبه صورًا عائلية، وأقوالاً مقتبسة من مشاهير يتفاوتون ما بين رونالد ريجان وجون واين، حتى ثيودور روزفلت، أما ميزان العدل، فكان يزين أحد أركان مكتبه، وكان مكتبه يتمتع بإطلالة جيدة على حركة المرور في شارع برباينت تحت سماء ملبدة بالغيوم.

كان راثبيرن يقول: "مارجوت، لقد قلت لا. وإذا كان هذا لا يناسبك، فلتتحدثي إلى جدتك. سأغلق السماعة".

وهو ما فعله.

صاح من الباب المفتوح في مساعدته، قائلاً: "بيفرلي، لا تحولي إليَّ أية مكالمات إلا إذا كان جيمس جيفتوس أو أمي".

جاء راثبيرن متجهم الوجه إلى منطقة الجلوس، وأخذ كرسيًّا طبيًّا، وخفض ظهره بعض الدرجات.

ثـم قال: "إن ظهري يؤلمني. إنه العصب الوركي. أعتذر عن تلك المكالمة؛ لقد صدمت ابنتي سيارة أمي أمام المنزل، ولكن الجميع بخير. لا داعي للقلق. كل مـا هنالك أنهـا تطلب مني أن أفتح لها حسابًا في خدمة أوبر. يا له من أمر مضحك".

أطلت بيفرلي برأسها من الباب وقالت:

"إن السيد جيفتوس في الطريق، ووالدتك على الخط الثاني".

قال القاضي لـ يوكي وآرثر: "معذرة مرة أخرى، سأعود في الحال".

ثم غادر الغرفة، وأغلق الباب خلفه.

سـارت يوكي إلى الحائط الذي يحمل اقتباسات اثنين من الرؤساء، وممثل قديـر، كما كان هنـاك اقتباس لفينـس لومباردي؛ المـدرب الأسطوري لفريق جريـن باي باكرز، يقول فيـه: "سنحقق الكثير من الأشيـاء إذا لم ننظر إليها باعتبارها أمورًا مستحيلة".

انضمـت يوكي ثانية إلى آرثر الذي قال ساخرًا: "يبدو أن القاضي في حالة مزاجية جيدة، ألست محقًّا في ذلك؟".

قالت: "أشعر بأنني محظوظة".

فتـح الباب ودخل القاضي راثبيرن، وخلفـه مباشرة جيمس جيفتوس. أومأ جيفتوسـ برأسـه إلى يوكي، بينمـا جلس هـو والقاضي، فأصبحـت الأطراف جميعها يواجه بعضها بعضًا عبر طاولة القهوة.

قـال راثبيرن: "تعرفون بعضكم جميعًا؟ حسنًـا"، ثم مد يده تحت الطاولة إلـى الرف الموجـود أسفلها، وسحب عصـا لامعة يبلغ طولهـا قدمين تقريبًا، وهزها بضع مرات.

ثـم قـال لهم: "هـذه هي عصـاي السحريـة. إننـي أستخدمهـا لحل تلك المشـكلات التـي لا يمكـن حلها بأيـة طريقة أخـرى. لا تجعلونـي أستخدمها. اتفقنا؟".

ثم أسقط العصا فوق طاولة القهوة.

ثم أكمل قائلًا: "حسنًا، اتفقنا إذن، ومن ثم فلندخل في الموضوع".

الفصل
34

كان القاضي الموقر كيفين راثبيرن، ومحامي الخصم في القضية المرفوعة ضد بريانا هيل، يجلسان حول طاولة القهوة في غرفة القاضي، وكانا جاهزين لمناقشة القضية الحساسة.

قال راثبيرن: "جيمس، لقد قمت بتقديم طلب لاستبعاد شريط الفيديو الخاص بالاعتداء المزعوم. تحدث عن هذا الصدد".

قال جيفتوس: "تدعي النيابة أن موكلتي السيدة هيل قد اعتدت على السيد كريستوفر، وأن الشخص الضحية المدعي قد سجل هذا الفعل. إننا نحاجج بأن هذا الاعتداء المزعوم كان لعبة صممها بنفسه الشخص الذي يسمى بالضحية. إن ما حدث للسيد كريستوفر قبل بدء اللعبة ليس موجودًا في الفيديو، ومن ثم فهو لا يعكس بدقة ما حدث في تلك الليلة".

قال راثبيرن: "أفهم ذلك. الآنسة كاستيلانو، ما قولك؟".

قالت يوكي: "أيها القاضي، السيد كريستوفر ضحية، ولا توجد كلمة "مزعوم" في هذا الأمر. لقد صوبت السيدة هيل مسدسها إلى رأسه، وما لا شك فيه أنه *لم* يصمم لعبة ليُغتصب فيها. وكما هو موضح في التسجيل، فإنه قد احتجَّ خلال الفعل، الذي كان واضحًا أنه *لم* يتم بالتراضي بينهما، وهذا هو السبب وراء رغبة السيد جيفتوس في استبعاد هذا الدليل".

استراح راثبيرن مرة أخرى في كرسيه، وحدق إلى مكان فوق خزائن الكتب على الجدار المقابل، ثم قام بتعديل كرسيه بعد دقيقة.

قال: "سأسمح بالفيديو. ولك مطلق الحرية يا جيمس في الطعن في مدى دقته في أثناء المحاكمة".

تنهدت يوكي بارتياح، ولكن جيفتوس انحنى إلى الأمام، وقال: "سيدي القاضي، سأتقدم بطلب لتغيير مكان المحاكمة".

كانت يوكي تخشي من هذا الأمر، وتقلق من حدوثه. إن تغيير مكان المحاكمة يعني أن المحاكمة ستتم خارج مدينة سان فرانسيسكو، وإذا كان مارك كريستوفر لا يزال يرغب في رفع الدعوى، فإنها عندئذ ستقرأ عن المحاكمة مثل أي شخص آخر في العالم. إنها تريد حقًّا أن تترافع في هذه القضية.

قال راثبيرن: "حقًّا يا جيمس؟ ما الذي يجعلني أقبل هذا الطلب؟".

فأجاب جيفتوس قائلًا: "لأن الصحافة تقوم بتغطية هذه القضية في كل مكان يا سيدي القاضي".

فتح جيفتوس حقيبته، وأخرج حافظة أوراق، ووضعها على طاولة القهوة، ثم قام هذا الداهية ببسط الأوراق.

قال جيفتوس: "لقد جمعت بعض المقالات، ومنشورات المدونات عن السيدة هيل التي شوّهت صورتها. إن الرأي العام قام بجلدها وتدميرها، ومن ثم فإننا لن نتمكن من إيجاد هيئة محلفين محايدة".

قال راثبيرن: "لتتفضل السيدة كاستيلانو!".

قالت يوكي: "سيدي القاضي، إذا لم تتمكن السيدة هيل من الحصول على محاكمة عادلة في سان فرانسيسكو، فأين يمكن أن تحصل على محاكمة عادلة إذن؟ وكما يعرف السيد جيفتوس تمام المعرفة، إذا خرجت القصة من هنا، فلن تحل؛ فالإنترنت لا يقتصر على هذه المدينة فحسب، والضوضاء التي تسبق المحاكمة ما هي إلا مجرد أخبار كاذبة. يتم تصوير السيدة هيل في بعض الأحيان بالشريرة، وكذلك السيد كريستوفر بالوغد. إنهما متعادلان تمامًا".

بدا راثبيرن متململًا، ومشتتًا إلى حد ما. هل سيقرر إرسال القضية إلى مكان آخر؟ أم أن شأنه سيكون شأن معظم القضاة، ويرغب في أن يترأس تلك

القضيــة التي ستصبح قضية رأي عام، بالإضافة إلــى كل الدعاية القيّمة التي قد تعود عليه من ورائها؟

عدَّل كرسيه، ووضع قدميه بقوة على الأرض، وقال: "حسنًا، ستظل القضية هنــا في هذه الولايــة القضائية. سيقــوم كلاكما بمساعدتي علــى اختيار هيئة محلفين لم تطلها الثرثرة. نستطيع جميعًا القيام بذلك".

ثم قال: "هل هناك شيء آخر؟".

ساد الصمت مدة خمس ثوان أو ست.

فقــال القاضــي ثانيــة: "ألا يوجد شــيء آخر؟ حسنًــا لا يوجــد. أراكم في المحكمة".

غــادر كل مــن يوكي وآرثر وجيمســ جيفتوس مكتب القاضــي معًا، وعندما وصلوا إلى الدرج، انحنى جيفتوس ليهمس في أذن يوكي.

قــال لهــا: "لقــد بــدأت مــن فــورك سيدتــي الصغيــرة. سأسحقــك. هل تسمعينني؟".

ابتعــدت يوكــي عنــه، وقالت له: "افعــل ما بوسعــك. هات كل مــا لديك يا جيمس، فقضيتنا مُحكمة. هل تسمعني؟".

فرد قائلًا: "رائع. بدأ التحدي إذن".

الفصل
35

عندما قاربت الساعة التاسعة في ليلة أحد ممطرة، سار مايكل جنوبًا، على طول القطاع الذي يتألف عرضه من أربع حارات في منطقة كولومبوس، ويتقاطع مع حي نورث بيتش.

كان الأسفلت زلقًا بفعل المطر والضباب، وقد شكَّل هالة على المصابيح الأمامية للسيارات، وعكس ضوء لافتات النيون الرائعة على جانبي الطريق المزدحم.

كان مايكل مضطربًا، وفي حالة انفعال. كان قد تناول عشاءه المكون من اللازانيا التي تم طهوها في الميكروويف على حوض المطبخ، ثم ذهب بعد ذلك إلى خزانته المليئة بملابس العمل، ومد يده إلى أحدث معطف لديه.

كان طول المعطف يصل إلى فخذيه، وكان لونه رماديًّا داكنًا، ويوجد سحَّاب في بطانته، وكان قد اشتراه من أحد المتاجر العديدة التي تبيع الملابس قديمة الطراز والمستعملة في جميع أنحاء المدينة. فتح أحد الأدراج، وأخرج القفازات الجلدية المستعملة، والمقص، وقبعته المنسوجة، ومسدسه.

قطع بطاقة السعر من المعطف، ووضع المسدس في جيبه الأيمن، وسحب القبعة والقفازات، ثم أغلق الدرج. نظر إلى نفسه في المرآة. بدا رجلًا عاديًّا تمامًا.

بعد مغادرة المنزل في حي راشين هيل، أمسك مايكل بالمظلة التي لا تزال رطبــة، وعبر الشــارع، ثم وضع شيكات نفقــة طليقته في صنــدوق البريد عند ناصية الشارع.

كان بإمكانه إرسال النقود إليها، لكن الشيك كان أفضل بالنسبة إليه؛ حيث ستضطر إلى فتحه، ومن ثم ستقرأ الكلمة *البذيئة* التي كتبها لها في الشيك في خانة الملحوظات، ومــن المؤكد أنها ستضطر إلى صرف هذا الشيك، ومن ثم سيرى صراف البنك أن هناك شخصًا يكرهها.

من جانبــه، كانت كتابة اسمها وملء الفراغات بيــده قد أجبراه على تذكر الطريقــة التي دُمِّــر بها زواجه، وكيفية انتهائه على عكــس رغبته؛ فشرد ذهنه فيمــا أدى إلى فقدان زوجته، وضيــاع كل آماله في الحياة السعيدة بعد الزواج؛ فقد توقفت حياته.

إن كل الطرق تؤدي "**إليها**"، كما هي الحال دائمًا. فقد كان يراها دائمًا هي المسئولــة عن علاقاتــه الفاشلة. ولكنه سيتعامل مــع خطاياها فيما بعد. وضع مظلته، واطمأن على مسدسه عبر جيب معطفه، وسار نحو منطقة كولومبوس.

كانــت ليلة مزدحمة تكتــظ فيها الأرصفــة والشوارع بحركة مــرور المشاة والمركبــات. ظل مايكل يسيــر في شارع جرينتش، وتوجه نحــو وسط المدينة. وفــي حي ماســون انتظر مرور الترام الذي يسير على خــط باول-ماسون الذي يتخذ طريقه المنحدر إلى الواجهة البحرية، ثم سار يمينًا في شارع كولومبوس نحو وسط حي نورث بيتش.

واصل طريقه مرورًا بنادي الكوندور، فكان مقهى توسكا على يساره، ومكتبة سيتــي لايتس على يمينــه، وكانت جميــع المتاجر والنــوادي والمقاهي مضاءة إضــاءة زاهية، وفــي داخلها يتواصــل الزبائن اجتماعيًّــا، ويتمتعون بخططهم البسيطة.

أناس أغبياء، أغراب. أخذ يقنع نفسه بأنــه لم ينزعج من بهجتهم التي لا مبرر لها، ويفكر فــي أسباب اختلافه عن الآخرين، بينما كان يثبت عينيه على أعلى ناطحــة السحاب ترانس-أمريكا بيراميد. كانــت أشبه بمنارة تحثه على التركيز.

غيَّــر مايكل وجهته إلى شارع كيرني عند مقهــى زوتروب، وهو يدندن لحنًا شائعًا، وفي تلك اللحظة **رآها**. كانت على بعد ثلاثين قدمًا أمامه فحسب، فقال

لنفسه إنها لا شك تتوجه نحو حي تندرلوين، حيث تحب الطفيليات والحشرات الضارة مثلها أن تتجمع.

كانت المرأة تحمل في كل يد من يديها حقيبة تسوق ثقيلة، وترتدي معطفًا يشبه العباءة يقي من المطر شفافًا وردي اللون، وتخفض رأسها لتجنب المطر المنهمر الذي يهطل بغزارة.

يا للسماء، إنه لا يطيقها.

وأخيرًا كانت الاحتمالات سانحة أمامه لأن يفعل شيئًا حيال ذلك.

الفصل 36

بـدا لمايـكل أنه كان على وشك أن يقتل هذه المرأة بإحداث ثقب في ظهرها من شدة تحديقه إليها.

إنــه يضعهــا نصب عينيــه، ويسير بتؤدة خلفهــا، وحينمــا راح يتساءل عن المــكان الذي ستؤول إليــه جولته المضنية خلفها، وعــن المكان الذي ستقضي فيه الليل، زادت المرأة من سرعتها، وهرولت على نحو أخرق عبر شارع كلاي، قبل أن يتحول ضوء الإشارة إلى اللون الأحمر.

اللعنة. اللعنة.

كان محاصــرًا فوق الرصيــف، حيث حالت حركة المــرور بينه وبينها. كان الرصيــف المقابل للشارع مسدودًا بجدار متحرك من المشاة يجرُّون أقدامهم أسفل مظلاتهم.

ثم غابت عن ناظريه.

كان واثقًا بأنه يستطيع اللحاق بها، إذا كان بإمكانه *رؤيتها*.

مسح مايكل مياه المطر عن عينيه بكمّه. كان *قريبًا* جدًّا. ربما لن يبلغ هذه الدرجة من القرب ثانية في أي وقت لاحق.

كان شارع كيرني أحادي الاتجاه، ومع ذلك راح ينظر يمينًا ويسارًا لإفراطه المعتــاد في الحذر، ثم انطلق من الرصيــف إلى الشارع، وهو يجري سريعًا من

خلال فجوة بين سيارتين. تفادى بشق الأنفس الاصطدام بسيارة رياضية حمراء ضغط سائقها على البوق ليعلمه بالضبط بمدى دنوه من الموت المحقق.

ولكن المجازفة قد آتت ثمارها؛ حيث أفلح في الوصول إلى الرصيف المقابل دون أن يلحق به أذى.

ولكن أين هي؟

أخذ يهرول إلى الأمام، ويشق طريقه بين المارة الذين يسيرون أزواجًا، ويتحول يمينًا إلى مسرح جيري، وهو يترنح حول مجموعة صاخبة من المخمورين يغادرون مقهى هوثورن؛ وهو ناد يعج بالزبائن.

كانت هناك منطقة فارغة وسط هذه الغابة من المظلات، فرآها مايكل من خلال تلك الفتحة تنحني أمام مبنى جيري ٧٧؛ لتعدل قلنسوة ردائها البلاستيكي، وتضع حقيبتيها أسفل قدميها.

استعاد إحدى الذكريات؛ يوم التخرج في الكلية. لم تكن موجودة، ولكن عندما ذهب لتناول العشاء مع بعض الأصدقاء، وجدها هناك تعبث في صندوق القمامة في الخارج، فشعر بالإهانة.

زادت سرعة نبضات قلبه. لقد حانت اللحظة الحاسمة إذن.

سار نحوها، وعندما كان قريبًا بما يكفي؛ ليقرأ اسم بيكنج *بازار* على إحدى حقيبتي التسوق الخاصتين بها، ناداها.

"مرحبًا، تخيلي أن نتقابل هنا".

رفعت المرأة بصرها.

أعطته ابتسامة حمقاء، ونظرة زائغة لا يستطيع الشخص رؤيتها بشكل واضح.

قالت: "مرحبًا أيها الوسيم. هل لديك بعض المال؟ إنني لم آكل اليوم".

كانت خيبة أمله رهيبة ومفاجئة. لم تكن المرأة الغريبة الماثلة أمام جدار مبنى المكتب التاريخي هي، ولا تشبهها في شيء. صرخ مايكل: "أوه، *اللعنة!*".

تغيَّرت نظرة المرأة الساذجة إلى نظرة ارتياب منه.

سألته: "هل أنت بخير؟".

رد في عنف قائلًا: "بخير".

وقف في هذه المنطقة الخالية من الرصيف والمتلألئة بقطرات المطر، التي سرعان ما سيملؤها المارة.

قال: "أنا بخير. لديَّ شيء لك".

رفع شمسيته بيده اليسرى، وسحب مسدسه باليمنى. كان يقف على مقربة من المرأة التي ترتدي الكثير من الملابس تحت الرداء البلاستيكي اللامع، فكان باستطاعته تقريبًا أن يحصي قطرات الماء على رموشها.

ثم أطلق النار على صدرها.

فقالت لاهثة: "ماذا؟".

قال: "*أكرهك* بشدة".

أطلق النار للمرة الثانية، وبينما كانت تتراجع نحو الجدار، أخذ الأكياس التي كانت معها، وبدأ المشي.

لم ينظر خلفه.

تلك العجوز الحثالة. لن يعرف أحد بموتها حتى الصباح. عبر مايكل شارع جيري، ومظلته تحجب وجهه، لكنه رأى رجلًا يمر عبر المطر مقبلًا نحو المرأة الميتة، وهو يتحدث في هاتف على أذنه.

كان يصيح في الهاتف قائلًا: "أرسلوا سيارة إسعاف إلى تقاطع شارع جيري وشارع جرانت. *أسرعوا*".

الفصل
37

وقف مايكل خارج حدود الحاجز الشرطي المحدد بشريط مكتوب عليه "ممنوع العبور"، وكان هناك رجل غير واضح المعالم يقف بين أناس غير واضحي المعالم تحت سماء الليل الملبدة بالغيوم، والأضواء الحمراء والزرقاء الساطعة تنبثق من سيارات الشرطة مخترقة الضباب.

لقد اعتبر نفسه قاتلاً محترفًا رائعًا، لكنه لم يتمكّن من تهدئة خفقان قلبه وعرقه الذي يتصبب في مفرق شعره، ويتسلل من تحت قبعته، ممتزجًا بقطرات المطر المتدفقة على وجهه.

نادرًا ما راوده هذا الشعور. إنه الخوف - خوف شديد يصل إلى حد الهلع.

كان يعلم أنه قد ارتكب خطأ، ولكنه لم يكن يعرف مدى فداحته. هل ستنجو المرأة؟ هل سيمكنها التعرف عليه؟ ما أمر الرجل الذي كان يتحدث في الهاتف؟

بعد إطلاق النار على المرأة، عبر مايكل الشارع متجنبًا حركة المرور، ومرَّ عبر الأزقة، ثم أخذ جولة حول ساحة يونيون. واختلط بالمشاة الآخرين، وعاد إلى الطريق العام، وتوقَّف على الرصيف، فوضع يديه على ركبتيه ليلتقط أنفاسه.

استأنـف مايكل سيره، فطاف طوافًا واسعًا حول مكان إطلاق النار، فسلك طريقًا من أحد طرفي شارع بوست متجهًا إلى كيرني، ثم إلى شارع ماركت، ثم عاد إلى شارع جرانت، وفي النهاية عاد مرة أخرى إلى شارع جيري.

كان قد تمالك أعصابه الآن.

تجمَّع حشد من الفضوليين في الجهة المقابلة من الشارع، خلف الشريط الذي وضعته الشرطة، وحال بينهم وبين مكان إطلاق النار.

اندمج مايكل مع الحشد الرمادي الباهت، متخذًا مكانه في نهاية صف مكون من ثلاثة أشخاص، سأل الرجل الذي أمامه: "ماذا حدث هناك؟".

فأجابه قائلًا: "لا أعرف. لا بد أن أحدهم قد مات".

كان هذا هو ما يتمناه مايكل.

حجبت سيارتا شرطة متوقفتان في مواجهة الحاجز رؤيته المرأة الميتة. ورأى رجال شرطة يتحدثون معًا، وسمع أصوات أجهزة اللاسلكي وهي تصيح، وأخيرًا أتت صيحة حادة، كان صوت صافرة إنذار سيارة الإسعاف مدويًا في الشارع، ووقفت بفرملة قوية على بعد ياردات قليلة فقط من مكان وقوف مايكل.

انفتحت أبواب سيارة الإسعاف، وقفز المسعفون من الخلف يحملون نقالة، وتحركوا بسرعة نحو المكان الذي رأى فيه مايكل هذه المرأة آخر مرة.

هل يعني وجود سيارة إسعاف أنها لا تزال على قيد الحياة؟

وعلى الرغم من الحشد المتزاحم حوله، واختبائه تحت مظلته، فقد شعر بأنه مكشوف. أراد أن يتسلل خلسة، ويذهب إلى المنزل، ويتفقد الأخبار عبر الإنترنت. وكان يتعيَّن عليه فعل ذلك، ولكن لم يكن منه إلا أن لزم مكانه. وانضم المزيد من الناس إلى الحشد، وخرج بعض رجال الشرطة من سياراتهم لكبح ذلك الحشد المتزايد.

قال أحد رجال الشرطة: "فليذهب الجميع إلى منازلهم؛ فهذا ليس مسرحًا للتسلية".

نظر مايكل خلف الشرطي، ورأى سيارة أخرى تصل، وهي سيارة شيفروليه رمادية. خرج منها شخصان. كانت تقود السيارة امرأة طويلة صففت شعرها الأشقر على هيئة ذيل حصان، وترتدي سترة مكتوبًا عليها قسم *شرطة سان فرانسيسكو*، وكان الرجل الذي يرافقها له الطول نفسه تقريبًا، ويرتدي سترة مماثلة.

لقد رأى رجال شرطة في مسارح جرائمه الأخرى، لكنه لم يرَ هذين الاثنين من قبل.

يبدو أن الشرطية في موقع مسئولية. سارت عبر صف سيارات الشرطة، وفي لمح البصر أُخلي هذا الصف.

رأى مايكل المسعفين يقفون بالقرب من الجثة، لكنهم لم يرفعوها بالنقالة، ولم يفعلوا أي شيء.

لأن تلك الحثالة قد ماتت.

غمرت الراحة قلبه، فطفا كقارب نجاة في بحر هائج.

شاهد الشرطية تخرج هاتفها من جيبها، فظن أنها ستلتقط صورًا للجثة قبل أن يأخذوها.

لكن الشرطية لم تفعل ذلك، بل عبرت الشارع نحو الحشد الواقف بعضه مع بعض خلف الشريط الأصفر. قلبت الهاتف بحيث كان طرفه في مواجهة الحشد، وقامت بتحريكه من اليسار إلى اليمين، ثم التقطت عدة لقطات بهاتفها.

شعر مايكل بأنها صوبت النيران إلى صدره، وأن قارب النجاة الذي كان يحمل قلبه قد فرغ هواؤه وغرق. رفعت الشرطية شارتها، وقالت للوقوف: "أنا الرقيب ليندسي بوكسر من قسم شرطة سان فرانسيسكو. هل رأى أحد ما حدث؟".

ارتدَّ مايكل على عقبيه، وابتعد عن الحشد؛ حيث أصابه شعوره بانفضاح أمره بالدوار. تبًّا لها، فلتذهب *إلى الجحيم*. تلك الشرطية الحمقاء التي التقطت صورته على حين غرة، وضمته إلى الحشد الواقف على مسافة ٣٠ قدمًا من الجثة لتبقى صورته مخلدة للأبد في هذا المكان.

كل النساء يسببن المتاعب، وتلك المرأة، تلك المرأة عينها، يبدو أنها تتقن فن المراوغة النسائية، لكنه قد كوَّن صورة ذهنية *عنها* عندما التقطت تلك الصور. إنها الرقيب ليندسي بوكسر – سيتذكر ذلك.

الجزء الثاني

الفصل
38

في رأي سيندي توماس، كانت الشائعات والقيل والقال، والأحاديث الجانبية المحمومة عن اغتصاب مارك كريستوفر المزعوم هي السبب في إثارة ساكني سان فرانسيسكو، وانقسامهم قبل الشروع في المحاكمة أيضًا.

ولكن في غضون ما يزيد قليلًا على ساعة، سيرفع الستار عن *محاكمة هيل*، وتلك التكهنات المنتشرة على الإنترنت ستنفيها أو تؤكدها الشهادات والأدلة الفعلية. اعتقدت سيندي أنها ستكون محظوظة إذا تمكنت من الحصول على أحد المقاعد القليلة المتاحة في قاعة محكمة القاضي راثبيرن.

أوقفت سيندي سيارتها في موقف السيارات في شارع براينت، وأخذت حقيبة الحاسوب الخاص بها، وعندما خرجت من سيارتها، تلقت لفحة قوية من هواء الصباح البارد، فأغلقت أزرار معطفها، وحصلت على تذكرتها من العامل، وسارعت نحو زاوية الشارع، وتوقفت لانتظار تغيير ضوء الإشارة.

وبينما كانت السيارات تنطلق أمامها، لاحظت سيندي شاحنات وسائل الإعلام الفضائية وهي تُزحِم المكان عند الرصيف، والمعدات الصحفية الموجودة على الرصيف أمام المقر. أكدت التغطية الإعلامية الواسعة للحدث المحلي ما كانت تشعر به منذ أسابيع بأن هناك موروثًا ثقافيًّا يُنتهك، وأن هذه القصة سيتسع نطاقها وتزداد أبعادها بشكل مدهش.

لـم تكن القضيـة المرفوعة ضد بريانا هيل الضجـة الإعلامية الأولى التي تثيرها سيندي، لكنها كانت الأولى التي لم تتضمن خطفًا أو خسارة في الأرواح. لقـد أدى الاعتداء علـى رجل ناضج ورياضي في أواخـر العشرينيات من عمره من قبـل مديرة إعلانات شابة وجذابة وزنها لا يتجاوز ١١٠ أرطال إلى انقسام المتابعين على مدوّنتها الخاصة بالجرائم.

كان نصـف المعلقين قد أكدوا بشـدة أن الرجل لا يمكن الاعتداء عليه من قبـل امرأة، بينما أصر النصف الآخر على أنه يمكن أن يتعرض رجل للاعتداء من قبل امرأة، والعامل الحاسم هو الموافقة.

كانت الموافقة صحيحة من الناحية القانونية.

لكن هل تستطيع يوكي إثبات دعواها؟

تغير ضوء الإشـارة، وبينما عبرت سيندي الشارع المكون من أربع حارات، واقتربت من الـدرج الأمامي الواسع، سحبت السلسلة التي تطوق رقبتها لإبراز بطاقتها الصحفية، حتى يتمكن رجال الأمن من رؤيتها.

شقـت طريقهـا خلال تجمـع الناس عنـد أسفل درج المحكمـة، وقد ظنت أن معظمهـم كانـوا يأملون فـي إلقاء نظرة علـى أحد الأطـراف الرئيسية في المحاكمـة: إمـا مارك كريستوفـر، أو بريانا هيـل، أو على أي مـن المحامين الذين سيترافعون في القضية، أو القاضي راثبيرن، الذي كان معروفًا بتعليقاته العفوية الجريئة.

كانت قاعة المحكمة نفسها لا تتسع سوى لخمسين شخصًا فقط في البهو، وبصفتهـا المراسـل الرئيسـي للجريمـة في صحيفـة *كرونيكل*، فقـد حصلت سينـدي على مقعد لها. واليوم مع اجتذاب المحاكمة الكثير من اهتمام وسائل الإعلام، فإن هذه المقاعد الثمينة ستنفد سريعًا بناء على أسبقية الحضور.

انضمـت سيندي لاهثة إلـى الطابور الذي امتد من الـدرج إلى داخل قاعة المحكمـة، وصعدت ببطء نحو منصة الأمن داخـل الأبواب. عندما وصلت إلى جهاز الكشف عن المعادن، وضعت حقيبة الحاسوب الخاصة بها فوق الطاولة، وأظهـرت بطاقتهـا الصحفية إلى الحارس. حرَّك الحارس الجهاز بمحاذاة

جسدهـا، وما إن ظهرت حقيبتهـا في نهاية الحزام الناقـل على الجهاز، حتى رفعتها فوق كتفها، وهرعت للحاق بالمصعد.

لم تتجاوز الساعة الثامنة والربع بعد. ولن تعقد جلسة المحكمة إلا في تمام التاسعة. كانت ستظل واقفة خارج باب قاعة المحكمة حتى يُفتح.

كان الحصول على مقعد في قاعة القاضي راثبيرن حينذاك هو أهم موعد في يومها.

الفصل 39

كانت قاعة المحكمة رقم ٢٣ عبارة عن غرفة مغطاة بألواح خشبية دون زخارف، بالإضافة إلى علمين يحيطان بشعار ولاية كاليفورنيا على الحائط الموجود خلف مقعد القاضي، واثنتين من الطاولات التي يجلس إليها المحامون في مواجهته، وثمانية صفوف من المقاعد الوثيرة ذات الأطر المعدنية خلف الحاجز، يفصل بينها ممر في المنتصف.

في الثامنة وخمس وأربعين دقيقة، كانت يوكي وآرثر بارون يجلسان إلى طاولة محامي الادعاء، وكانت يوكي غاية في التوتر. شعرت بأنها رياضية على وشك أن تخرج إلى الملعب قبل المباراة النهائية في مواجهة الأبطال حاملي اللقب، أو أنها أحد ممارسي رياضة القفز الحر، وأنها ستقفز نحو منحدر صخري في الهواء المفتوح، ولا ترتدي إلا بذلة مجنَّحة فحسب. هل ستساعدها بذلتها المجنحة في رحلة طيرانها؟ أم أن هناك رياحًا قاسيةً ستدفعها لترتطم بالصخور؟

بعدما وجدت يوكي أن عقارب الساعة المجاورة للباب الجانبي تقترب من التاسعة صباحًا، أخذت تفكر في تحضيرها هذه المحاكمة.

منذ توجيه الاتهام إلى بريانا هيل، قامت هي وآرثر بالتنقيب في تاريخ القضايا ذات الصلة بمثل تلك المحاكمات في كاليفورنيا. كانا قد أعدا شهودهما وقاما بتعديل حججهما. وكانت يوكي قد تدرَّبت على بيانها الافتتاحي

مع آرثر، حتى تمكنت من كل نقطة فيه دون الحاجة إلى الرجوع إلى ملاحظاتها؛ ومن ثم حينما يحين وقت إلقائه، ستتذكره عن ظهر قلب دون أن تبدو كأنها تقرأ من نص مكتوب.

كان الأسبوع المنصرم قد كُرِّس للاستجوابات التمهيدية.

وكان القاضي راثبيرن قد أوفى بوعده بالمساعدة على اختيار هيئة محلفين محايدة، وكان كلا المحاميين راضيًا إلى حد ما. وكما هي الحال دائمًا في اختيار المحلفين، فإن المحامين يقومون بتخمينات محسوبة، لكنهم غالبًا ما يُفاجأون بالقرارات التي يتخذها المحلفون.

لم يكن أحد يعرف ما ستفعله هيئة المحلفين، بينما كانت يوكي تعرف ذلك من خلال مشاهدة فيلم محاكمة أوه. جي. سيمبسون، عندما كانت في كلية الحقوق. لن تنسى أبدًا نظرة الذهول على وجه محامي الدفاع روبرت كارداشيان عندما لم تثبت الإدانة على موكله. لقد فاز فريقه، وثبتت براءة موكله، لكن كارداشيان كان مشدوهًا.

استيقظت يوكي قبل برادي في هذا الصباح، ارتدت بذلتها الحمراء، وأيقظت زوجها من أجل أن يتمنى لها حظًّا سعيدًا.

قالت له: "اليوم هو اليوم المشهود".

فقال لها: "كنت أتمنى أن أكون موجودًا. تبدين رائعة".

لم تكن يوكي تتوقع حقًّا أن يحضر برادي في أول يوم لها في المحاكمة، لكن ذلك كان سيروق لها إذا فعل. أخفت شعورها بالإحباط، وودعته، وبعد دقائق قادت سيارتها إلى مقر قيادة الشرطة.

كان آرثر في انتظارها داخل قاعة المحكمة رقم ٢٣، عندما استقرت يوكي في مقعدها أمام طاولة الادعاء، وألقت نظرة سريعة عبر الممر.

كان جيفتوس أمام طاولة الدفاع مع ماديسون بنسون مساعده الثاني. وكان يتحدث بهدوء إلى بريانا هيل، ولا شك في أنه كان يطمئنها بأن الأمور ستسير على ما يرام.

فقبل أن ينهار عالمها، كانت هيل على طريق النجاح في مجال الإعلانات. وكانت متأنقة اليوم كأنها لم تكن قد خرجت بكفالة، أو أنها موقوفة عن العمل؛ كأنها لا تزال مدرجة في قائمة رواتب المديرين التنفيذيين في شركة آد شوب. كانت بذلتها المكونة من سترة وتنورة من اللونين الأبيض والرمادي غاية في

الأناقـة، وكان شعرهـا الكستنائي المتموج منسدلًا علـى كتفيها؛ ما أضاف إلى مظهرها الشبابي للغاية مظهر الأبرياء أيضًا.

خلـف الحاجز، وراء ظهر يوكـي، كانت القاعة تعج بالحضـور الذين كانوا يتحدثـون ويضحكون في أثناء جلوسهم. وعلى عكـس محاكمات جرائم القتل، لـم يخيم على المكان جو من الكآبة أو الحزن، بل شعرت يوكي بجو من المرح؛ حيـث كان الحضور يشعرون بالإثارة والحماسة، كأنهم سيجدون حقائب هدايا صغيرة تحت مقاعدهم.

عندمـا نظرت يوكي إلـى القاعة للمرة الأخيرة، وقعـت عيناها على والدي مارك كريستوفر، ليلي وفريد كريستوفر، جالسين خلف الحاجز بصفين.

كمـا وجدت يوكي سيندي فـي الصف الأخير، وكانـت ليندسي تجلس إلى يمينها. شعرت يوكي بالامتنان الشديد لوجود صديقتيها هنا.

استرعـى آرثر انتباهها بدفعها بمرفقه، فالتفتـت يوكي بينما اتخذ حاجب المحكمة مكانه أمام مقعد القاضي، ثم قال: "فليقف الجميع".

نهض الحضور، والمحامـون، والمجني عليه، والمدعـى عليها جميعًا عند دخول القاضي راثبيرن من الباب خلف مقعده. واتحد القاضي مجلسه.

ثم أعلن حاجب المحكمة بدء الجلسة.

الفصل 40

كانت يوكي تشاهد القاضي، وهو يتحرك في كرسيه ليتخذ وضعية مريحة.

ضغط بإصبعه على الحاسوب، وتحدث إلى كاتبه قليلًا، ثم حيا هيئة المحلفين.

بعد توضيح مدى أهمية مسئولية هيئة المحلفين في إقامة العدل، وتقديم الشكر إليهم على ما يقدمون من خدمة، شرع القاضي في شرح القضية التي ستُقدم إليهم.

"يُعـرَّف قانون الاغتصاب في ولاية كاليفورنيـا بأنه حدوث اتصال جسدي دون رضاء أحد الطرفين، ويتم عن طريق التهديد أو الإكراه أو الاحتيال.

مـن الشائع التفكير في هذا الأمر باعتباره فعـلًا مشينًا يتم ارتكابه بالقوة البدنية، لكن هناك مواقف أخرى يمكن أن تؤدي أيضًا إلى الاتهام بالاغتصاب في ولايتنا.

فعندمـا تكـون المـرأة فاقدة الوعـي، ويمارسـ الرجل العلاقـة الجسدية معهـا؛ فهذا يعد اغتصابًـا، أو أن يخبر طبيب معالـج، أو طبيب نفسي مريضًا بأن ممارسـة العلاقة الجسدية معه أو معها سيعالجه من مرضه؛ فإن هذا يُعد اغتصابًا أيضًا".

واصـل راثبيـرن تقديم الشرح الواضـح والقوي للحضـور المستغرقين في الإنصـات، بقوله إنه إذا أوقف شرطي إحدى السيدات السائقات وأخبرها بأنه لن يحرر ضدها مخالفة إذا وافقت السائقة صاحبة السيارة على ممارسة هذه العلاقة معه، فهذا أيضًا يعد عملية اغتصاب.

قال راثبيرن: "الآن، عادة ما يُعتقد أن الرجال فقط هم من يمكنهم ارتكاب هــذه الجريمــة. هذا غير صحيح؛ فالمدعى عليه في هــذه القضية امرأة، وهي متهمة بإرغام رجل على هذا الفعل دون موافقته".

تنحنــح راثبيــرن قبــل أن يخبــر هيئــة المحلفيــن بأنه مــن واجبــه إرشاد المحلفيــن إلى العناصر التي تُعرف معنى المواقعــة، وسيقرؤها لهم من قانون العقوبات في كاليفورنيا.

قــام القاضي بسحب جهاز الحاسوب المحمول الخاصــ به، ثم قرأ قائلًا: "*المواقعة* هي التي يتم فيها اختراق الأعضاء لأحد الطرفين، ولو لم يتم بشكل كامل، أو إجبار أحد الطرفين على اختراق أعضاء الطرف الآخر".

أثــارت اللغــة المكتوب بها نص القانون خجل أحــد الحضور؛ فضحك بقوة مشعــلًا فتيل ضحــكات مكبوتة بين الحاضرين في الجــزء الخلفي من القاعة، حتــى إن واحدة من أعضاء هيئة المحلفين ابتسمت ابتسامة عريضة قبل وضع يديها على فمها.

عبس وجه راثبيــرن، وطرق بمطرقته بقوة، فكانت الطرقات أشبه بطلقات النار؛ فقد كان لها الوقع نفسه.

قــال راثبيرن بصوت عالٍ: "كفــى، فليُخرج ضباط المحكمــة الرجل الذي يرتدي ربطة عنق حمراء من الباب".

قــدَّم الرجل ذو الربطــة الحمراء، الذي صار وجهه باللــون نفسه من شدة خجلــه، اعتــذاره إلى القاضي، لكنــه تجاهله. وبعدما خرج مصــدر التشويش، وأغلقت الأبواب، خاطب القاضي الحضور قائلًا:

"أي شخــص لا يستطيــع الجلوســ بهــدوء فــي هــذه القاعــة، ولا يستطيع السيطــرة على انفعالاته، يرجى منه المغــادرة الآن. وبالمثل، فإن أي عضو من أعضــاء هيئــة المحلفين لديه أفكار أخــرى بشأن العمل في قضيــة تتعلق بهذا الأمر، فليخبرني بها الآن".

انتظر راثبيرن.

وأصبح الحضور في حالة من الصمت والسكون، أما هيئة المحلفين، فبدت كجسد توقف قلبه عن الخفقان.

لــم يساور يوكي الشــك في أن القاضــي راثبيرن يرسي أســس القانون في محكمته.

الفصل
41

انتظر القاضي راثبيرن إلى أن عمَّ الصمت القاعة بشكل تام، ثم تنحنح، وبعد أن وضع مطرقته، وجَّه انتباهه ثانية إلى المحلفين والأعضاء المناوبين في مقصورة المحلفين.

قال: "هذا هو جوهر الموضوع. من أجل إثبات أن المدعى عليها قد ارتكبت هذه الجريمة، يجب على الادعاء العام أن يثبت أن السيدة هيل قد تسببت في إجبار مارك كريستوفر على هذا الأمر، وإن كان بقدر ضئيل، وأن السيد كريستوفر لم يوافق على هذا الفعل. وعلى وجه التحديد، يجب أن يثبت الادعاء العام أن السيدة هيل قد أتمت هذا الفعل بالقوة، أو العنف، أو الإكراه، أو التهديد".

زفرت يوكي، بينما استأنف راثبيرن شرحه مهمات ومسئوليات هيئة المحلفين. وفي هذه المرة لم يضحك أو يتحرك أي فرد في قاعة المحكمة رقم ٢٣.

قال راثبيرن: "سأقوم بتعريف بعض المصطلحات".

أخذ القاضي يسرد المصطلحات ويعرِّفها قائلًا: "إذا كان الضحية خائفًا بشكل معقول من أن يتعرض للأذى، فإن موافقته لم تكن بكامل حريته".

وأضاف: "إذا كانت السيدة هيل والسيد كريستوفر تربطهما علاقة فيما مضى، فهذا في حد ذاته لا يشكل موافقة.

إذن، ما تعريف الموافقة بالتحديد؟

الموافقة تعني أن الشخص تصرف بحرية وطواعية وفهم طبيعة الفعل. ويجب على الادعاء العام أن يثبت *بما لا يدع مجالًا للشك* أن السيدة هيل *لم* تعتقد بشكل منطقي أن السيد كريستوفر قد وافق على هذا الفعل.

"إذا لم تتحمل هيئة الادعاء العام عبء إثبات هذا الأمر، فيتعين على هيئة المحلفين إذن أن تعلن براءة المدعى عليها".

ألقت يوكي نظرة إلى جيمس جيفتوس، فوجدته مسرورًا على أقل توصيف.

أخبر راثبيرن الحضور ثانية بالحفاظ على هدوء القاعة، وبعد ذلك أدار مقعده، حتى أصبح في مواجهة يوكي مباشرة.

انحنى مرة أخرى في مقعده، فأصدر المقعد صريرًا، وعندما قال: "السيدة كاستيلانو، هل هيئة الادعاء العام مستعدة للإدلاء ببيانها الافتتاحي؟"، شعرت يوكي باندفاع الأدرينالين في جسمها، وكان يروق لها ذلك.

قالت: "أجل سيدي القاضي. الادعاء العام مستعد".

الفصل
42

حرَّكت يوكي كرسيها إلى الخلف، ودارت حول الطاولة إلى المنصة الموجودة في منتصف مقصورة المحامين، التي تواجه منصة هيئة المحلفين.

عدَّلـت مكبر الصوت المعلـق بالمنصة، وحيَّت المحلفيـن، وقدمت نفسها ومساعدها آرثر.

التقطت يوكي أنفاسها عندما شعرت بأن الفرصة مواتية أمامها، واستهلت حديثها بالأحداث التي أدَّت بالمتهمة إلى المحاكمة.

قالـت يوكي: "لقد ارتكبـت المدعى عليها بريانا هيـل جريمة الاغتصاب. إنها قد لا تبدو مغتصبة، أو مجرمة، ولكن هذا هو وضعها *بالضبط*.

كان كل مـن المدعـى عليها ومـارك كريستوفر يعملان فـي وكالة إعلانات تسمـى آد شـوب. كانـت السيدة هيـل رئيسة قسـم الإنتاج الإعلامـي، والسيد كريستوفـر مرءوسًـا لهـا. بدآ التعـارف والخروج لتنـاول العشاء معًـا مرة في الأسبوع، خلال بضعة أشهر، وكثيرًا ما كانا يقضيان الليل معًا".

وتابعت يوكي قائلة: "في ليلة الحادي عشر من أكتوبر، كانت المدعى عليها والسيـد كريستوفر يتناولان العشاء في مطعم يدعى باناسيا، وبعد ذلك أمضيَا الوقت معًـا في الكافيتريا، يتحدثـان ويشربان. ووفقًا لفاتـورة الكافيتريا التي تم قبولهـا مسبقًا ضمن الأدلة، فإن المدعى عليها قد احتست ثلاث كئوس من الشراب، بينما احتسى السيد كريستوفر خمس كئوس.

سيخبركـم السيـد كريستوفر بأنهما قد عادا إلى شقتـه في منتصف الليل تقريبًـا، وهـو المـكان الـذي إذا تطـورت الأمور فيه حسـب عادتهمـا، فإنهما يمارسان العلاقة الجسدية، ثم يخلدان إلى النوم. وفي الصباح تذهب المدعى عليها إلى المنزل لتغيير ملابسها، ثم يذهب كلاهما إلى العمل بشكل منفصل.

وإليكـم الآن الجزء بالـغ الأهمية في هذا الحادث؛ وهـو أن المدعى عليها اعتـادت حمل مسدسٍ مسجل من طـراز سميث ويسـون، عيـار ٣٨ ملليمترًا، فـي حقيبتها لحماية نفسها. وسـوف تشاهدون وتسمعون الأدلـة التي تثبت أن المدعـى عليها كانت تحمل هـذا المسدس في حوزتها في تلـك الليلة التي وقع فيها الحادث".

وفـي هذه المرحلـة من المحاكمة، كان المحلفون غيـر ملتزمين بالنتيجة؛ لأنهم لـم يسمعوا القصة، ولذلك كان على يوكـي إشراكهم وإخبارهم وتقديم رؤية واضحة عن كيفية وقوع مارك كريستوفر ضحية للمدعى عليها.

إن وجود مسدس في حوزة بريانا هيل قد وضعها في موقف سيئ.

وانطلاقًا من تلك اللحظة، ستبدأ يوكي استعراض المشهد بالشكل الذي لا يجعـل المحلفين يسمعون القصة فحسب، بـل يتصورونها أيضًا، ويشعرون بما فعلتـه المدعـى عليها بالشخص الضحية؛ وكيف تسببـت بريانا هيل في تغيير مسار حياته.

الفصل 43

كانت يوكي ترتدي حذاءً ذا كعب، فأصبح طولها خمس أقدام وبوصتين، لكنها كانت تسيطر على القاعة ببذلتها ذات اللون الأحمر الصارخ. نزلت عن المنصة، ثم اتخذت مكانها على بعد عشر أقدام من هيئة المحلفين، وحينها بدأت تقود المحلفين مباشرة إلى محور قضيتها.

قالت يوكي: "في الحادي عشر من أكتوبر، بعد قضاء أمسيتهما في الخارج، فتح مارك كريستوفر باب شقته، واتبعته المدعى عليها إلى الداخل. بدَّل ملابسه في غرفة المعيشة، وبعد استخدام المرحاض، ونتيجة لتأثير ما تناوله على العشاء مع الكثير من الشراب، ذهب إلى غرفة النوم، وانكب بوجهه على الفراش.

بعد ذلك استيقظ؛ لأن المدعى عليها نادت اسمه بحدة، فالتفت، ورآها تحمل مسدسًا موجهًا مباشرةً إلى وجهه، وتقول له إنها تريد منه اتباع الأوامر. وحينذاك اعتقد السيد كريستوفر أنها تمزح فحسب.

أخبر المتهمة بأنه *منهك القوى*، وأنه لا يقوى على القيام بذلك، ولا يرغب فيه، وأنه بحاجة إلى النوم، فماذا فعلت المدعى عليها إذن؟ فتحت خزانة السيد كريستوفر، وأخرجت مجموعة من أربطة العنق، وطالبته بربط رجليه في حافة السرير، *وإلا ستطلق النار عليه*".

واصلت يوكي سردها، وهي تسير ببطء أمام مقصورة المحلفين؛ لتأخذ وقتها للنظر في وجه كل عضو من أعضاء هيئة المحلفين.

ثم استطردت كلامها.

"قال لها السيد كريستوفر: "إنك تتصرفين *بسخافة*. بريانا، تعالي إلى الفراش"، لكن هذا لم يحدث، بل استهزأت المدعى عليها بالسيد كريستوفر، وأخبرته بأنها سوف تفعل ما يحلو لها معه، فطلب منها السيد كريستوفر مرة أخرى أن "تكف عن ذلك"، وقال لها: "توقفي يا بريانا".

لكنها لم تتوقف، بل لوَّحت مهددة بمسدسها في اتجاهه، وطلبت منه مرة أخرى ربط كاحليه إلى حافة السرير. كان السيد كريستوفر يعرف أن المدعى عليها ثملة، وربما أصابها ضرب من *الجنون* أيضًا. وأدرك أن المسدس كان مليئًا بالطلقات، وربما تنطلق رصاصة منه عن طريق *الخطأ*".

أضافت: "إن المدعى عليها لم تتراجع عما قالته، بل كانت مشوشة الذهن بشكل كامل، وعند هذه اللحظة انتقل السيد كريستوفر من مرحلة الاستياء إلى الانزعاج، ثم أصيب بالذعر. كانت من الممكن أن تطلق هذه المرأة المجنونة الرصاص حقًّا، *وهذا* -أيها السيدات والسادة- هو ما ورد بشكل فوري إلى عقل الضحية.

كان السيد كريستوفر يحاول إقناع نفسه بعدم الذعر، بل إنه حاول في الواقع أن يهدِّئها، فقال لها: "يا إلهي! بريانا، ما الذي أصابك؟ هل أنتِ بخير؟ إنك تخيفينني! أرجوكِ ضعي المسدس جانبًا".

وعندئذ، صرخت المدعى عليها في وجهه قائلةً: "*افعل ما آمرك به أيها الكلب الحقير*"".

توقفت يوكي، ورأت أعضاء هيئة المحلفين ينظرون في حالة من الذهول التام.

ثم استطردت: "أدرك السيد كريستوفر أن المدعى عليها لم تكن تمزح، فأخذ يرتجف، وبينما كان يقيد كاحليه، طرحت المتهمة مطلبها الثاني؛ حيث طلبت منه أن يربط معصمه الأيسر برأس السرير.

وبعدمـــا أدرك أن تلك اللحظات قد تكون هـي الأخيرة في حياته، مد السيد كريستوفـر ذراعه إلى الطاولة المجاورة للسرير" -مثلت يوكي هذا التصرف- "وضغط خلسة على زر التسجيل في ساعة المنبه، التي هي في الواقع عبارة عن كاميـرا تجسسـ خفية؛ حيث فكر في أنه إذا قامت المدعـى عليها بقتله، فعلى الأقل ستكون الشرطة قادرة على العثور على قاتله".

ثـم أردفت: "لـم يتوقف هذا الهلع، بل إن المدعى عليهـا قامت بتقييد يده اليمنـى في رأس السرير بعد أن قام هو بنفسـه بتقييد يده اليسرى، تاركة إياه ممددًا، متباعد الساقين، على ظهره على السرير.

كان يحدق إلى فوهة المسدس.

أناشدكم أن تتخيلوا كيف كان شعوره".

الفصل 44

لـم تُبعـد يوكـي عينيها عن هيئة المحلفيـن منذ أن بدأت بيانهـا الافتتاحي، ولن تفعل الآن، وكذلك لم يُبعد أعضاء هيئة المحلفين عيونهم *عنها*.

كانت ترغب في أن يبقى الأمر على هذا النحو.

قالت: "وعنـد هذه المرحلة، وضعت المدعى عليهـا المسدس، ثم تقدمت إلـى السيـد كريستوفر الذي كان مكبلًا فـي السرير، وعاجـزًا تمامًا. وحاولت التأثير عليه بشكل كامل، لكنها لم تتوقف عند هذا الحد.

على الرغـم من أن السيد كريستوفر قد ناشدها التوقف قبل أن تفعل شيئًا ستنـدم عليه في المستقبل، فإن المدعى عليها لم تستجب لتوسلاته، بل قامت بالسيطرة عليه، ونجحت في إقامة علاقة كاملة معه دون موافقته".

توقفت يوكي لتمنحهم الفرصة لاستيعاب قصتها، ثم سألت بأسلوب منمق: "ما الذي حدث بعد ذلك إذن؟

قبل نفاد مساحة مسجل الفيديو، نرى كلا الطرفين نائمًا. وسوف يخبركم السيـد كريستوفـر بأنـه عندما استيقظ فـي الصباح، وجـد أن المدعى عليها قـد غادرت، وكان معصماه غير مقيدين، فقام بفـك كاحليه. وعلى الرغم من أنـه كان مرتعـدًا إلى أقصى حد، فإنه ذهب إلـى العمل، وهنالك تجنب كل من الطرفين الآخر بكل الطرق الممكنة".

أضافت يوكي: "ما الذي كانت تفكر فيه المدعى عليها؟ ربما لن نعرف أبدًا، لكن الضحية سيظل يتساءل بقية حياته.

من جانبه، سيدلي كريستوفر في شهادته بأنه كان يشعر بالذل، وأنه كان قلقًا من عدة أمور؛ حيث كان يتساءل عما سيحدث لو أن المدعى عليها أصبحت حاملًا؟ هل هو المسئول إذن؟ وما الضرر الذي سيعود عليه في وظيفته؟ مَن هو الآن؛ هل هو رجل اعتدت عليه امرأة كان يهتم بأمرها، حين كان واضحًا له من تصرفاتها أنها لا تهتم به على الإطلاق؟

مرت الأيام، والسيد كريستوفر تراوده الكوابيس والأحلام المزعجة، ويعاني اكتئابًا مدمرًا، فأهمل عمله، وامتنع عن التواصل الاجتماعي مع أصدقائه. وقد استغرق الأمر منه أسبوعين حتى يستوعبه بشكل تام، ويعبر عن غضبه بشأن ما جرى له".

قالت يوكي للمحلفين: "إنه يدرك الآن أنه تعرض للاغتصاب، وأنه قد تم الاعتداء عليه، ويشعر بالخجل جراء ذلك. إنه يلوم نفسه لعدم معرفته على الإطلاق حقيقة المرأة التي كان يلتقيها. ومثلما يعاني ضحايا مثل هذه الجرائم في أغلب الأحيان، فإن الألم لا يتلاشى بمرور الأيام، بل إن الأمر في الواقع يزداد سوءًا.

بعد أسبوعين من الاعتداء، ذهب السيد كريستوفر إلى الشرطة. وخلال الأيام القليلة التي تلت ذلك، تم إجراء مقابلة مع بريانا هيل، واتهامها بالاغتصاب".

تركت يوكي كلمة "اغتصاب" يتردد صداها في قاعة المحكمة التي يعم الصمت أرجاءها.

ثم أخبرت هيئة المحلفين بالشهود الذين سيدلون بشهاداتهم أمام النيابة: ضابط الشرطة، وخبير شرائط الفيديو، والعالم النفسي المتخصص في العلاقات البشرية، وبول ييتس، وهو رجل آخر كان يلتقي المدعى عليها.

ثم بدأت إنهاء بيانها الافتتاحي قائلةً: "كما سنقدم إليكم أيضًا التسجيل غير المنقَّح الذي قدمه السيد كريستوفر عن هذا الاعتداء، وسوف ترون بأنفسكم ما حدث له في ليلة الحادي عشر من أكتوبر.

الآن، قد يقول البعض: "إنها إذن جعلته يمارس هذه الأفعال معها تحت تهديد السلاح. يا له من أمر جلل. لكنهما فعلا ذلك من قبل".

ولكن الأمر خطير".

أضافت يوكي: "رفض مارك كريستوفر ذلك. وكما أخبركم القاضي راثبيرن، فإن إجبار شخص ما وتهديده، بشكل يبعث الخوف في نفس ذلك الشخص من تعرضه للأذى، وإجباره على ممارسة تلك العلاقة مع شخص دون *موافقته* يعتبر جناية. وستشاهدون أن السيد كريستوفر لم يوافق، وأن السيدة هيل تعرف بوضوح أنه لم يوافق.

بل أخذت ما أرادت من أجل إشباع رغباتها، دون أي اعتبار للسيد كريستوفر على الإطلاق.

وبعد أن يدلى شهودنا بشهاداتهم، وبعد الاطلاع على الأدلة، فإن هيئة الادعاء تطالب بالنظر إلى المدعى عليها بريانا هيل باعتبارها مذنبة، ومعاقبتها على تلك الجريمة".

الفصل 45

ابتعدت يوكي عن مقصورة هيئة المحلِّفين الذين غمرتهم مشاعر انفعالية بالغة. لقد قدمت أفضل بيان افتتاحي في حياتها، وليست نادمة على أي شيء فيه، ولا ترغب في الإعادة. لقد أبلت بلاءً حسنًا.

وبمجرد أن عادت إلى مكانها أمام طاولة المحامين، قال القاضي راثبيرن: "السيد جيفتوس، هل الدفاع مستعد لتقديم بيانه الافتتاحي؟".

وقف جيمس جيفتوس، وهو ينظر نظرة قاطعة وحادة كالسكين، ثم رد على القاضي قائلًا: "لا يا سيدي القاضي. إننا نحتفظ بالحق في الإدلاء ببياننا في وقت لاحق".

قال القاضي راثبيرن: "حسنًا إذن. السيدة كاستيلانو، من فضلك قدمي شاهدك الأول".

فوجئت يوكي بقرار جيفتوس؛ حيث إنه بذلك قد ترك روايتها عن قصة مارك كريستوفر المتعلقة بتلك الليلة المشئومة تسيطر على عقل هيئة المحلفين بلا منازع، حتى يرتب هو أوراق قضيته. عادة ما يُعتبر هذا التصرف خطوة خطيرة، بل متهورة، لكن جيفتوس ليس متهورًا، وحتمًا لديه خطة، فما هي إذن؟

قال القاضي: "السيدة كاستيلانو".

فـردت قائلـةً: "نعم يا سيـادة القاضـي. إن هيئة الادعاء تدعـو الشُّرطية فيليس تشيس إلى الدخول".

فتـح حاجب المحكمة الباب الخشبي الثقيل في الجزء الأمامي من القاعة، ودخلـت الشُّرطية تشيسـ التي كانت ترتدي سروالاً كاكـي اللون وسترة زرقاء، وكان شعرهـا أشقـر متموجًا، وسارت عبر الممر. أقسمـت اليمين على منصة الشهود، وبعد أن أخذت مقعدها اقتربت منها يوكي.

كان لـدى يوكي شعور طيب إزاء هذه الشرطية التي تعمل في قسم الجرائم الجنسية منذ المرة الأولى التي التقتها فيها. كانت مهنية وواثقة بنفسها بشكل تام، فكانت خير شاهد إذن.

أوضحت يوكي للحضور المعلومات الأولية عن تشيس؛ مكان عملها، وموعد تلقيها مكالمة مارك كريستوفر التي أبلغ فيها عن تعرضه للاعتداء.

قالت يوكي: "من فضلك أكملي".

فقالت: "دعوت أنا وشريكي الضابط آل مارتينيز السيد كريستوفر للحضور إلى مركز الشرطة لأخذ أقواله".

وطرحـت يوكـي علـى الشرطيـة مجموعـة مـن الأسئلـة عـن المقابلـة، وأجابتهـا تشيسـ بأنها لاحظت كدمات كانت توشـك أن تتلاشى على معصمي السيـد كريستوفـر وكاحليـه، كانـت أشبـه بعلامـات تقييـد. وقد تـم التقاط صـور لتلك الكدمات، وبعـد ذلك رافقت تشيسـ ومارتينيز السيـد كريستوفر إلـى شقتـه، حيـث أراهما الساعـة التي كانت أيضًـا عبارة عن جهـاز تسجيل منخفض التقنية.

أوضحت يوكـي للشرطية تشيس خلال شهادتها بـأن المسجل والفيديو قد تمت مراجعتهما من قبل التقنيين في قسم رجال الشرطة في سان فرانسيسكو، وبأنه تم إحضار السيدة هيل للاستجواب.

قالت تشيسـ: "أنكرت المدعى عليها وقوع جريمة الاغتصاب، بل قالت إن العلاقة حدثـت بينهما بالتراضي. لقد أرينا مكتب المدعي العام التسجيل، ثم ألقينـا القبض على السيدة هيـل، وتحفَّظنا على مسدسها من طراز سميث آند ويسون ٣٨ ملليمترًا".

وضعـت بريانا هيل ذراعيها مطويتين على طاولة الدفاع، وخفضت رأسها، وبدأت تنتحب في هدوء.

عرضت يوكي صور كدمات مارك كريستوفر الباهتة على تشيس التي قالت: "أجل، لقد التقطت هذه الصور".

مررت يوكي الصور إلى رئيس هيئة المحلفين، وبعد إدراجها ضمن الأدلة، شكرت الشرطية تشيس على شهادتها.

قالت يوكي لجيمس جيفتوس: "يمكنك أن تسأل الشاهدة".

كان جيفتوس يلف ذراعه حول كتفي موكلته التي ترتجف من البكاء، فتحدث من مقعده قائلًا: "لا توجد أسئلة".

بالطبع لم تكن لدى جيفتوس أسئلة؛ فقد كانت شهادة تشيس غير قابلة للشك. كانت يوكي تفكر في شاهدها التالي، عندما قرر راثبيرن أخذ فترة استراحة.

فقال: "سوف نستأنف المحاكمة في الساعة الثانية. ممنوع التأخير".

الفصل
46

كانـت ذراع جيمسـ جيفتوس لا تـزال ملتفة حول كتفي بريانـا هيل في أثناء مغادرتهما قاعة المحكمة معًا.

شعـرت يوكي وهي تسير مـع آرثر خلفهما على مسافـة قصيرة منهما، بأن بريانــا هيـل مثيرة للشفقة، كما لـو أن قلبها قد تحطم، كانــت يوكي على يقين بذلك. كانت تفكر في أنها ربما كانت في حالة مضطربة عندما قررت اغتصاب مــارك كريستوفـر، وأنها لم تكن تتخيل أن الأمر سيــؤول إلى ذلك؛ إنها ستمثل لمحاكمة ستكون معرضة فيها للخطر بكل ما تحمله الكلمة من معنى، حيث من الممكن أن تُسجن مدة تصل إلى ثماني سنوات.

هزت يوكي رأسها في أسى، وهي تسير مع آرثر على طول الممر المرصوف بالرخام.

سألها آرثر: "ما خطبك؟".

قالت يوكي: "أشعر بالأسى من أجل بريانا. لا تخبر أحدًا بذلك".

قــال آرثر: "ثقي بي. لن أخبــر أحدًا، ومع كامل احترامــي لتعاطفك معها، فإنني أرى أنها لا تستحقه. يوكي، إنكِ الآن الصوت المعبر عن جرائم الاعتداء ضد الرجال، وأنا شخصيًّا ممتن لذلك".

قالت يوكي: "أشكرك يا آرثر".

قال آرثـر إنه سيتوجه إلى المرحاض، ثم سيلتقيهـا في الردهة. وأخرجت يوكـي هاتفهـا للاتصال بباريـزي، عندما وجـدت جيمس جيفتوسـ فجأةً في وجهها.

فقال لها: "يوكي".

ردت: "جيمس".

قال: "إن بيانك الافتتاحي كان أحمق بعض الشيء، لكنه لم يكن فظيعًا".

قالت: "في الحقيقة بدت هيئة المحلفين غاية في التأثر".

فـرد قائـلاً: "لا ترفعي سقـف أحلامك، لقـد رأيتك تخسريـن الكثير من القضايـا التـي كان ينبغي أن تفوزي بهـا، مثل قضية السفـاح ألفريد برينكلي، الـذي حصل على البراءة، والقاتل جوني مون، الذي حصل على البراءة اللعينة هو أيضًا، ثم أحدث تلك القضايا هي قضية ذلك السفاح الذي كان من الطراز المتميز؛ حيث كان يدافع عن نفسه بحجج أقوى من حججك. لقد كنت حاضرًا، ورأيته يطعن على قضيتك بمنتهى السهولة، على الرغم من أنه لم يكن محاميًا كذلك، وثمة أناس كثيرون كانوا سيمتهنون مهنة أخرى بعد هذه الكوارث".

هاجمتـه يوكي قائلة: "ألم تسأم مـن نفسك يا جيمس؟ ألا تود الذهاب إلى المنزل للاستحمام؟ لأنك قذر حقًّا".

كانـت على بعد عشر ياردات من المصعد، وعلى وشك التحرك، واضطرت إلـى أن تشـق سبيلها عبـر مجموعات مـن المحامين وعاملـي المحاكم الذين يعوقـون حركة السير في الممـر، بينما كانت تحاول صـد هجمات جيمس على معنوياتها. وفي هذه الأثناء كان يسير معها.

قال جيفتوس: "سأكون صادقًا معك يا يوكي".

قالت: "إنني واثقة بذلك".

فقال لها: "إن ضعفك يتجلى عندما تكونين بصدد توجيه الضربة النافذة، إنـك لا تقوين على النزال حتـى اللحظة الأخيرة، بل تنبطحيـن أرضًا وتعلنين الاستسلام".

تبًّا له، فكيف يرى حقيقتها إلى هذا الحد؟

لازمهـا هذا الأحمق العدواني طـوال طريقها إلى المصعد، فقالت له، وهي تحاول صده: "قل ما يحلو لك، وفكر فيما تشاء".

قال لها: "ماذا عساني أن أقول أكثر من ذلك؟ أعتقد أنك فتاة لطيفة، لكنك فاشلة".

خرجت بريانا هيل من المرحاض إلى الممر. نادت جيفتوس، فرد عليها قائلاً: "إنني آتٍ"، ثم قال ليوكي: "ينبغي لك حقًّا العودة إلى مكتب المحاماة التطوعي. ما اسمه؟ رابطة الدفاع؟".

توقفت يوكي عن السير، وتوقف جيفتوس أيضًا. وقد أعجزها عن الكلام.

حدقت إليه قائلة: "يبدو لي أن بياني الافتتاحي قد أفقدك صوابك يا جيمس. إنك تنهار الآن، وأنا من *سأسدد* الضربة النافذة".

فقال لها: "بالتأكيد، ستفعلين هذا. انتبهي كي لا تجرحي نفسك".

ثم ضحك عندما استدار وعاد إلى موكلته.

الفصل
47

استجوب آرثر بارون شاهد الإثبات التالي فرانك بيلوت، المتخصص في تكنولوجيا المعلومات في قسم شرطة سان فرانسيسكو، الذي أفاد بأن تسجيل الفيديو لم يتم التلاعب به.

لم تكن لدى جيمس جيفتوس أية أسئلة ليوجهها إلى بيلوت، كما أنه لم يوجه أية أسئلة إلى شاهد الادعاء التالي؛ وهو طبيب نفسي محنك، ومؤلف لديه إنجازات مرموقة في الآثار النفسية للاغتصاب على الضحية.

ثم دعت يوكي بول بيتس إلى المنصة. كان بيتس يرتعش، ويتصبب عرقًا منذ اللحظة الأولى، وكان في حالة من الفوضى إلى حد كبير.

وفي رده على أسئلة يوكي، أجاب بيتس بأنه كان يعمل في وكالة آد شوب مؤلف إعلانات، وعندما قام فريقه الإبداعي بتصوير إعلان تجاري، كانت بريانا هيل باعتبارها رئيسًا للإنتاج هي المسئولة عنه.

طرحت يوكي سؤالًا عليه: "هل سبق أن كانت لك علاقة اجتماعية بالمدعى عليها؟".

قال بيتس: "لن أسميها علاقة، فقد خرجنا معًا مرة واحدة فحسب".

قالت يوكي: "من فضلك أخبر المحكمة بهذا اللقاء يا سيد بيتس".

تنهـد، ثم قال: "لقد اصطحبـت بريانا إلى مطعم صيني بعد انتهاء العمل. لـم يكـن مكانًا فاخـرًا. شعرت بأنها معجبـة بي، ولم نكن بعيديـن عن شقتي. سألتها: "هل ترغبين في المجيء إلى منزلي وقضاء بعض الوقت معًا؟" ظننت أنها ستقول: "مستحيل"، لكنها قالت: "بكل تأكيد"".

"رجاء، أكمل حديثك".

قـال ييتس: "بدأنا على أريكتي، لكنني شعـرت بأن كل شيء يحدث بسرعة كبيـرة، فلم أكـن أعرفها جيدًا. بـدأت أفكر فيما تعنيـه ممارسة علاقة معها، وكيـف سيمكننـي التعامل معها في المكتـب. كان رأسي يعج بالأفـكار. لم أكن أعتقـد أن بمقدوري فعـل ذلك إذا حاولت؛ لذلك ربت علـى ظهرها، وأخبرتها قائلًا: "آسف، لا أقصد الإهانة أو أي شيء من هذا القبيل، ولكنَّ لديَّ اجتماعًا في الصباح الباكر"".

"وكيف تقبَّلت هذا؟".

فأجـاب قائلاً: "جُنَّ جنونهـا، ووثبت من الأريكة في نوبـة غضب، وعندما رفعـت بصري إليهـا، وجدتها قـد أخرجت مسدسهـا من حقيبتهـا، ثم ألقت حقيبتها، وأرتني يدها الأخرى، وقد كانت تقبضها على هذا النحو".

صاح جيفتوس قائلًا: "هل لي بكلمة سيادة القاضي".

قال راثبيرن ملوحًا إليهما من مقعد القاضي: "اقتربا".

عندما كان الفريقـان القانونيان يقفان أمامه، قال جيفتوس بنبرة يتخللها غضب، يحاول تحجيمه بشق الأنفس: "أيها القاضي *راثبيرن*، إن ذكر أدلة على جريمة لم يتم توجيه الاتهام بها أمر مجحف، ولا يجوز السماح به".

فقال القاضـي: "السيدة كاستيلانو؟".

قالـت: "سيـدي القاضـي، إن عـدم ذهابه إلـى الشرطة كان مـن منطلق الخـوف من أن تطوله يدا المدعى عليها بالأذى، ولكن شهادته بشأن المسدس قـد أوضحت لكم نمط الإيذاء الذي تنتهجه في حياتها. ولهيئة المحلفين الحق في سماع ما سيقوله الشاهد".

سأل راثبيرن: "هل استجوبت الشاهد سيد جيفتوس؟".

فقال جيفتوس: "لم يكن متجاوبًا".

قال القاضي: "حسنًا، أرى أن المسألة تتعلق بقيمة شهادة الشاهد، وسأسمح بإدلائه بشهادته أيها السيد جيفتوس. إنها مقبولة، ويمكنك أن تستجوبه ثانيةً لتختبر قيمتها".

عندما عاد جيمس جيفتوس إلى طاولة المحامين، كان وجهه مضطربًا.

ظلت يوكي واقفة بالقرب من مقصورة الشهود، وقد أبقت ابتهاجها طي الكتمان. لقد فازت بنقطة بالغة القيمة؛ وهي قبول شهادة بول بيتس، لكنها رأت أيضًا أنه كان متوترًا للغاية. بدا في هذه اللحظة كما لو أنه يود الفرار من باب الخروج، فسألته عما إذا كان في حاجة إلى أخذ استراحة قصيرة.

فقال لها: "لا، أنا بخير".

أومأت يوكي برأسها، وسألته: "هل تتذكر ما كنت تشعر به عندما وجهت المدعى عليها مسدسها إليك؟".

قال بيتس: "ذعر. ذعر شديد. كان أكثر شيء مخيف تعرضت له في حياتي بأسرها، لقد تجمدت في مكاني، فكنت أسمع ما تقوله بصعوبة؛ حيث أصبح ذهني مشوشًا للغاية. كنت أفكر في الاستغاثة بالهاتف، أو الهروب عبر الباب، أو أن أنهال على وجهها بقبضتي. هل تريد تخويفي فحسب، أم أنها مريضة نفسية بشكل كامل؟ سحقًا، لم أكن أعرف ماذا أفعل. طلبت مني خلع سروالي، وبالطبع كان ذلك في تلك اللحظة هو أفضل شيء أفعله".

سألته يوكي: "وهل خلعت سروالك يا سيد بيتس؟".

فرد قائلًا: "هويت به على الأرض".

سألته يوكي: "ماذا قالت لك المدعى عليها يا سيد بيتس؟".

"قالت شيئًا من قبيل ستفعل ما أمليه عليك الآن"، ثم فتحت يدها وأرتني حبتين من المنشطات. طلبت مني ابتلاع الحبوب؛ فقلت لها: "بالطبع، سأفعل"، وبينما كانت تمد يدها، انتهزت الفرصة، وأطحت بمسدسها فسقط أرضًا. عندما انحنت لتلتقطه، قمت برفع سروالي وركضت خارج الباب".

سألته يوكي: "وماذا حدث بعد ذلك؟".

فاستطرد قائلًا: "نزلت إلى الطابق السفلي، وبقيت فيه، حتى اعتقدت أن الوضع آمن للخروج".

واصلت يوكي طرح أسئلتها قائلة: "بول، هل المرأة التي اعتدت عليك موجودة في قاعة المحكمة؟".

قال: "نعم".

قالت له: "من فضلك، أشر إليها لتريها إلى هيئة المحلفين".

نظر بيتس إلى طاولة الدفاع للمرة الأولى منذ أن اعتلى المنصة، ثم أشار إلى بريانا هيل.

قالت يوكي: "يرجى أن يُدون في محضر الجلسة أن الشاهد قد أشار إلى المدعى عليها".

قال القاضي: "سيُدون ذلك".

قالت يوكي: "أشكرك يا سيد بيتس"، ثم التفتت إلى جيفتوس قائلة: "اسأل الشاهد إن شئت".

الفصل
48

وقف جيفتوس، وأغلق أزرار سترته. وأبقى عينيه على بول ييتس، بينما كان يعبر أرضية قاعة المحكمة الخشبية اللامعة. حيَّاه، ثم بدأ طرح أسئلة تمهيدية عن عمله كمؤلف إعلانات.

وصف ييتس وظيفته قائلًا: "أكتب الإعلانات، والحملات الدعائية، المطبوعة والمتلفزة وما إلى ذلك".

سأله جيفتوس: "هل تقوم بأنواع أخرى من الكتابة بخلاف الإعلانات؟".

فاستفسر ييتس قائلًا: "هل تعني لحسابي الخاص؟".

قال جيفتوس: "بالضبط. هل تكتب الشعر؟ أقصد أي نوع من أنواع الكتابة الإبداعية".

فأجاب ييتس قائلًا: "كتبت بعض السيناريوهات على سبيل التجربة".

قال جيفتوس: "إذن، إنك تكتب أدبًا قصصيًّا. وتدعو نفسك -بل يصفك العديد من الأشخاص في الواقع بأنك شخص مبدع- أليس كذلك؟".

قال ييتس: "لم أبع أيًّا من كتاباتي".

فقال جيفتوس: "حسنًا. ربما سيتغير حظك يا سيد ييتس، فها قد أطلعتنا على الأحداث التي وقعت في شقتك، والتي وصفتها من فورك، وقد قلت إنك أنت والسيدة هيل كنتما متجاوبين في البداية، وأنك قد أوقفت هذا".

قال بيتس مؤكدًا: "هذا صحيح".

وقف جيفتوس بالقرب من الشاهد دون أن يحجب الرؤية عن هيئة المحلفين، ثم قال: "وشهادتك بأنها أخرجت مسدسًا، وأنك كنت مذعورًا، هل هي صحيحة؟".

استقام بيتس في جلسته، وأجاب قائلًا: "أجل".

سأله جيفتوس: "هل حدث ذلك حقًّا يا سيد بيتس، أم أنك قمت بتأليف هذا فور سماعك القصة الخرافية التي انتشرت عن السيد كريستوفر؟".

فقال بيتس نافيًا ذلك: "لا يا سيدي على الإطلاق".

قال جيفتوس: "هل هذه القصة هي إحدى أفكارك الإبداعية؟ هل تقوم بتجربتها من أجل روايتك التالية؟".

قفزت يوكي على قدميها: "أعترض. إن المحامي يضايق الشاهد".

قال راثبيرن: "اعتراض مقبول، لا تفعل ذلك يا سيد جيفتوس. هل تفهمني؟".

قال جيفتوس برباطة جأش: "أعتذر يا سيدي القاضي. سأعيد الصياغة، هل صحيح أن السيدة هيل قد صوبت مسدسها في وجهك؟".

قال بيتس: "بكل تأكيد".

عاد جيفتوس إلى طاولته. ثم سلمته مساعدته السيدة بينسون مظروفًا مغلقًا، فذهب به جيفتوس ثانية إلى منصة الشهود.

ثم قال: "قلت إنك كنت خائفًا من هذا المسدس يا سيد بيتس، هل هذا صحيح؟".

أجاب بيتس: "أجل".

قال جيفتوس: "لا بد أنك كنت تحدق إليه طوال الوقت الذي كان موجهًا فيه إليك، أؤكد أنك ستقول إن شكل هذا المسدس مطبوع في ذاكرتك، أليس كذلك؟".

قال بيتس: "أعتقد ذلك".

سأل جيفتوس: "ما نوع المسدس؟".

فأجاب قائلاً: "طراز سميث آند ويسون عيار ٣٨ ملم".

قال جيفتوس: "جيد جدًّا، إن نوع المسدس الذي تحمله السيدة هيل معروف، أليس كذلك؟".

قال بيتس: "أعتقد".

قال جيفتوس: "سيد بيتس، ما سأفعله هو أنني سأريك صورًا لمسدسات مختلفة. يرجى الإشارة إلى المسدس من طراز سميث آند ويسون عيار ٣٨؛ ذلك النوع الذي روَّعتك به السيدة هيل".

بدأ جيفتوس في إلقاء صور مقاس ٨×١٠ على منصة الشهود، واحدة تلو الأخرى وهو يسأله: "أيشبه هذا؟ ماذا عن هذا يا سيد بيتس؟ هل كان مثل هذا؟ أو هذا؟".

شاهدت يوكي جيفتوس وهو يُجهد بيتس كأنه كلب يلقي له عظامًا. "هل هذا هو؟ أم هذا؟ أم هذا؟".

هز بول بيتس رأسه قائلًا: "لا أعرف. ربما. لا أعتقد ذلك. لا".

التقط جيفتوس الصورة الأخيرة للمسدس الذي نفاه بيتس وقلبها.

ثم قال له: "هل يمكنك قراءة الملاحظة على ظهر هذه الصورة من فضلك؟".

قال بيتس: "هذا ليس منصفًا".

قال جيفتوس للقاضي: "سيدي القاضي؟".

"سيقرأ الشاهد التعليق المكتوب".

نظر بيتس إلى أسفل، ثم حوَّل عينيه مرة أخرى إلى جيمس جيفتوس، وقال: "مكتوب أنه من طراز سميث آند ويسون عيار ٣٨ ملم".

جمع جيفتوس الصور معًا، وسلَّمها إلى يوكي، وقال لها: "فليسجل المحضر أن الشاهد قد أخفق في التعرف على المسدس من النوع الذي شهد بأنه تم استخدامه في لقائه المخيف مع المدعى عليها".

نظرت يوكي في الصور، ثم أعادتها إلى جيفتوس، الذي أدرجها ضمن الأدلة. وبينما كانت يوكي تظن أن جيفتوس سيقول إنه ليست لديه أسئلة أخرى، التفت إلى بيتس، وقال له: "هناك شيء آخر يا سيد بيتس. عندما قررت الإفصاح عن هذه القصة، هل درست القوانين جيدًا أولًا؟ هل تفهم أن شهادة الزور جريمة؟".

اعترضت يوكي، وبدا بول بيتس كأنه قد تلقى لكمة في وجهه.

قال راثبيرن: "اعتراض مقبول، وسيتم شطب ذلك من محضر الجلسة".

قـال جيفتوس: "أتراجع عن سؤالي، لقد أنهيـت استجوابى هذا الشاهد"، ثم أدار ظهره وعاد مرة أخرى إلى طاولة المحامين، وعندما جلس، أمسك بيد المدعى عليها".

قال القاضي راثبيرن: "سيد بيتس، يمكنك الانصراف".

الفصل
49

مـرت اثنتـا عشرة ساعة منذ أن لقيت امرأةٌ غيـر مسلحة في منتصف العمر مصرعها، بعدما تم إطلاق النار عليها في شارع جيري دون سبب واضح.

فـي ذلك الصباح، كنت أفكر أنا وكونكليـن في الضحية، عندما كنا نجلس إلـى مكتبينا اللذين يقابل أحدهمـا الآخر؛ حيث كنا نحاول معرفة *السبب* فيما يحدث؛ لعلنا نتوصل إلى *الفاعل*.

ما سبب حدوث ذلك؟ إنها لم تتعرض للسرقة، ولم تكن تخوض عراكًا، لقد قُتِلت ببساطة من مسافة قريبة.

فمن الذي فعل ذلك؟

لم يكن لدينا أي شهود، ولا أدلة جنائية، ولا دافع، ولا شريط فيديو، فضلًا عـن أنها ليست قضيتنا، ولكن كانت لدينا مخبرتنا السرية ميلي كوشينج؛ التي تعرف الكثير من المعلومات السرية، وكان من دواعي سروري العمل معها.

كانت ميلي قد اتصلت بي الليلة الماضية في غضون دقائق بعد وقوع جريمة القتل، وكان اتصالها هو سبب ذهابي أنا وشريكي إلى هناك ليلًا.

قالـت ميلي: "إنـه النمط المعتاد يـا ليندسي. حكمٌ آخـر بالإعدام. كانت القتيلـة بـلا مأوى، وكانـت تتردد على ميـدان يونيون"، ثم قالـت ميلي قبل أن تجهش بالبكاء: "هناك شخص يحاول إبادتنا".

سألتها: "ميلي، ما الاسم الأخير للقتيلة؟".

أجابت ميلي: "لا أعرف".

ثم أغلقت الهاتف.

ارتديت ملابسي استعدادًا للذهاب إلى العمل: مسدسي، وسترةً مقاومةً للعوامل الجوية، وحذاءً متينًا. قبَّلت عائلتي وودعتها. كان كونكلين ينتظرني خارج شقته في المطر والظلام، وانطلقنا إلى البناية رقم ٧٧ بشارع جيري وأضواء السيارة مضاءة، مع تشغيل صفارة إنذار الشرطة.

قامت الوحدات الأولى التي وصلت إلى مسرح الجريمة بوضع سياج بشريط صغير، وتوليت أنا وكونكلين مسرح الجريمة، بينما كنا ننتظر أن تُبسط السجادة الحمراء لوصول موران وستيفينز، أو أي شخص يعمل في وحدة مكافحة جرائم القتل بالقسم المركزي.

عندما نفد صبري، اتصلت لا سلكيًّا بالإرسال المركزي للإبلاغ، وقلت: "لا يوجد محققون في مكان الحادث. السماء تمطر. يجب على وحدة التحقيق في مسرح الجريمة الوصول إلى هنا بأقصى سرعة".

انتظرنا فترة من الزمن وصلت إلى ساعتين وخمس عشرة دقيقة. وصلت سيارة الطبيب الشرعي، ووحدة التحقيق في موقع الجريمة المتنقلة؛ لأنني قد اتصلت بهما.

إنه إجراء أساسي لا بد أن يتم في مسرح الجريمة، وهو يتمثل في أن يقوم المحققون في جرائم القتل برؤية مسرح الجريمة قبل نقل الجثة؛ لذلك انتظرنا جميعًا. وعندما حضرا في النهاية، استقبلت جارث ستيفينز عند باب سيارته.

قلت له: "لقد التقطت صورًا للحشد، واتصلت بهيئة التحقيق في مسرح الجريمة".

قال: "أعتقد أنكِ ستفوزين بجائزة المرأة الخارقة هذا العام".

سألته: "ما خطبك؟".

فتح باب سيارته، فابتعدت عنه، ورأيته هو وموران ذاهبين إلى الجثة على مهل. إن مطلق النار قد اختفى منذ فترة طويلة، وكذلك الشهود. كان ستيفينز يشعر كأنه يملك وقتًا كثيرًا.

كنت في غاية الغضب والاستياء، وأنا أُقِلُّ كونكلين إلى المنزل، فظللت مستيقظة معظم الليل، ثم تفاقم غضبي إلى أن استبد بي التفكير في هذين الشرطيين اللعينين من القسم المركزي. وعندما استيقظت هذا الصباح، كنت

لا أزال أفكر في الأمر، فأصابني صداع شديد. تركت جو نائمًا على السرير، واهتممت بأمر أفضل طفلة في العالم كله؛ حتى أفاق جو من نومه.

ثم ابتلعت قرص أسبرين مع كافيين خالص، وهرولت من الباب الأمامي، مثل المرأة الخارقة.

وهكذا كنت في حالة من القلق الشديد، عندما جلست في مواجهة كونكلين في مكاتبنا القديمة رمادية اللون. ثم قمت بنقل الصور من هاتفي إلى الحاسوب، وأدرت شاشتي حتى يتمكن كونكلين من رؤية صورة ليلية كاملة للحشد الذي تكون من ثلاثة صفوف طويلة أمام مسرح الجريمة في شارع جيري.

كانت اللقطات التالية على جهازي للمرأة الميتة التي دعتها ميلي "لو"، والمعروفة حاليًّا باسم لو دو. كانت ملقاة أمام جدار من الطوب، وثمة ثقبان جراء إطلاق الرصاص في المعطف الواقي من المطر الذي كانت ترتديه، وتتلألأ عليه قطرات المطر.

عدت إلى اللقطات التي أخذتها للحشد.

قلت وأنا أنظر إلى وجوههم: "ربما شاهد أحدهم شيئًا ما، وسوف يدلي به".

قال كونكلين: "هل يمكن أن تقتربي بالصورة من الوجوه".

قمت بتقريبها على المتجمهرين الذين لم يظهر هاتفي سوى نصف تعابير وجوههم؛ حيث كانت الكثير من عيونهم مظللة بمظلاتهم أو أغطية المطر. أرسلت هذه الصور الباهتة إلى وحدة التحقيق في مسرح الجريمة الليلة الماضية، فربما يتوصل برنامج التعرف على الوجوه إلى أحد المجرمين المعروفين.

ألن يكون ذلك أمرًا مذهلًا؟

إذا عم السلام العالم، فسيكون هذا أمرًا مذهلًا أيضًا، لكنني لا أستطيع التحكم في ذلك.

قلت لشريكي: "سأذهب بهذا إلى برادي - مرة أخرى".

قال: "اسمعيني، في حال كنت تشكِّين في أمر ستيفينز وموران، فإنني أريدك أن تراقبيهما، وسأكون معك دومًا".

فقلت له: "لم يساورني الشك في ذلك ولو لحظة".

الفصل 50

نظرت عبر غرفة الشرطة، ومررت ببصري فوق رءوس رجال شرطة مكافحة جرائم القتل، حتى وقعت عيناي على مكتب برادي الزجاجي، الموجود في أحد الأركان. كان هناك زائر يجلس أمامه، وظهره إليَّ.

سألت كونكلين: "مَن الذي يجلس معه؟ تمهَّل، إنه جاكوبي. هذا شيء رائع أيضًا".

قال كونكلين: "لماذا لا تنتظرين حتى يرحل؟".

قلت له: "سأتحمل عواقب الأمر. لا أستطيع منع نفسي".

فقال كونكلين: "سآتي معك أيضًا".

فقلت له: "ربما عليك البقاء هنا تحسبًا لأي شيء".

قال كونكلين: "انتبهي لنفسك".

كنت أعرف تمامًا أن برادي لو تدخل في سلسلة جرائم القتل التي لم تُحل في القسم المركزي، فقد يحدث تنازع بين الإدارات قد يتسبب في إزعاجه.

أكره إثقال كاهل برادي بالضغوط، ولكن عليَّ فعل شيء حيال وضع غاية في السوء، بل يزداد سوءًا. كنت قد تخطيت الحدود بالفعل مع القسم المركزي، كما جرفت شريكي معي أيضًا لسبب وجيه.

لقد كان هناك سفاح مجنون يقتل الناس دون أن يعوقه أحد، ولم يبدُ أن هناك أحدًا يحرص على ردعه، أو مستعدًّا، أو قادرًا على ذلك.

كيف تفاقم التنازع بين الإدارات إلى *هذا الحد*؟

قطعت الممر الأوسط بيــن غرف التحقيق، وطرقت باب برادي الزجاجي. لــم أنتظر دعوة إلى الدخول. وقف جاكوبي عندما دخلت إلى المكتب الصغير، وقال: "مرحبًا يا بوكسر. كيف حالك؟ إنني سأغادر في الحال".

قلت له: "انتظر من فضلك، أريد التحدث إليكما".

جلس جاكوبي ثانيةً. كنت أحمل له الكثير من مشاعر التقدير؛ فقد أمضينا سنــوات كثيرة في العمل في قســم المراقبة معًا، ومرت علينــا ليلة كدنا نفارق الحيــاة فيها جــراء الجروح التــي أصابتنــا من الأعيــرة النارية التــي أطلقت علينــا في أحــد الأزقة، وكانت هناك أيام يعمل فيها تحــت إشرافي، ثم تبادلنا المناصــب، فصرت أنا مَــن أعمل تحت إشرافه. وتذكرت يومًــا مشمسًا رائعًا، عندما حل محل والدي وسلَّمني إلى جو يوم زفافي.

كانــت مشاعــري نحو برادي قويــة أيضًا. فقد كنا نقف فــي أحلك الظروف جنبًا إلى جنب، وشهدت شجاعته المعهودة ودوره القيادي القوي مرات عديدة. وعندما لم نكن في الخدمة معًا، كان زوجًا ليوكي، وصديقي العزيز.

ولكن فــي هذا الوضع الذي تسببت في حدوثه، فــإن الأمر يتعلق بالتسلسل القيادي، وكنت أنا الحلقة الأدنى في هذا التسلسل بين ثلاثتنا.

أخــذت المقعد الأقرب إلى الباب، وقلت: "أعتذر لإفساد اجتماعكما، ولكن وقعت جريمة أخرى قُتل فيها أحد المشردين في الليلة الماضية".

قال جاكوبي: "تلك المرأة التي قُتلت في شارع جيري، ما الذي تعرفينه عن هذا الأمر؟".

تنهد برادي، وعاد في مقعده إلى الوراء.

قال جاكوبي: "تكلمي يا بوكسر. أخبريه".

قلت: "دعني أسترجع بعض الأمور أيها القائد جاكوبي".

استهللــت كلامــي بميلــي كوشينــج؛ التــي نادتني خــارج المقر منــذ بضعة أسابيع؛ لتخبرني بمقتل أحد المشردين قرب ساحة والتون، ثم أردفت بخلاصة مقتضبة عن إطلاق النار على مشرد آخر على رصيف ٤٥.

"استغرق الأمر من محققي القسم المركزي ستيفينز وموران ما يقرب من ساعتيــن للوصول. خلال ذلك الوقت، كان المــارة قد أفسدوا مسرح الجريمة، واختفــى الشهود. تفقــدت المكان، ولم أجد أي مشتبه به فــي ساحة والتون، أو

رصيـف ٤٥. وتعتقد مخبرتي السرية أن هنـاك قاتلًا محترفًا يقتل المشردين. وأنا أتفق معها".

قال جاكوبي: "هل هي بلا مأوى أيضًا؟".

قلت: "هذا صحيح"، واستأنفت كلامي.

"ذهبت أنا وكونكلين إلى مكان الحادث في شارع جيري، وتولينا المسئولية مثلما حدث من قبل".

ثـم قلت لجاكوبـي: "أيها القائد، إنـه نمط معتاد من جرائـم القتل؛ وتلك هـي جريمة القتـل الثالثة للمشردين التـي علمنا بها، وتقـول مخبرتي السرية إن هنـاك الكثير من جرائم القتل ستحـدث حتمًا. إنها تقول إن رجال الشرطة يصلون إلى مسرح الجريمة متأخرين بعدما يتم إفساده، وإن الشهود والمشتبه بهـم يرحلون فجأةً دون أي أثر. ففي رأيي أن هذا القاتل تتوافر له كل الظروف لينجو بفعلته دومًا في كل مرة".

ثـم أخذت نفسًـا عميقًا. كان جاكوبـي ينظر إليَّ بمـودة، بينما كان برادي منزعجًا، وأظهر ذلك.

سألني برادي: "بوكسر. هل انتهت القصة؟".

قلت له :"تلك هي الرواية المختصرة للأحداث".

قـال برادي: "لن أذهب إلـى الملازم ليفانت لأشتكي له مـن أن رجاله قد حضـروا إلى مكان الحادث بعد ساعتين مـن وقوعه. لا جدوى من إبلاغه. أثق بذلك".

قال جاكوبي: "هل هذا ما تريدين القيام به يا بوكسر؛ الذهاب إلى ليفانت؟ مـاذا لو تذمر ليفانت، واشتكى إلـى برادي من تدخُّلك في مواقع الجرائم التي تخصه؟ ماذا سيكون مآل ذلك؟".

ثم قلت بصوت أعلى مما كنت أقصد: "يجب أن نفعل *شيئًا*" .

قال برادي: "يا إلهي!".

قـال جاكوبـي: "انسي الأمر يا ليندسي. أعلم أن هـذا هو ما لا ترغبين في سماعه، ولكن أصغي إلى نفسك. إن ليفانت سيضفي طابعًا سياسيًّا على الأمر، وسيبدو على هذا النحو بالتأكيد".

سألته: "هل تمزح يا جاكوبي؟ هل تعتقد أن *لي* توجهًا سياسيًّا؟ أنا؟".

فرد قائلًا: "لا، ولكني أقول لك كيف *سيبدو الأمر*".

وعندئذ لم أستطع تمالك نفسي، فقلت له: "إذن، فإنك تقول إنني ينبغي لي أن أنسى هذا الأمر، وألا أتدخل فيما لا يعنيني؟".

قال جاكوبي: "أعتذر لقسوتنا عليكِ على هذا النحو، ولكننا *أصدقاؤك*. فكري فيما سيقوله ويفعله ليفانت".

ثم نهض وقال لبرادي: "هذه هي ليندسي عندما يسيطر العناد عليها"، ثم التفت إليَّ قائلًا: "لا أقصد أن أزيد الطين بلة، ولكنك تبدين شاحبة الوجه، فهل أنتِ بخير؟".

نظرت إليه بغضب، وقلت: "أشعر بأنني في حالة رائعة لعينة، ألا يمكنك رؤية ذلك؟"، ثم أخذت نفسًا عميقًا، وقلت له: "سأقدم بلاغًا إلى قسم الشئون الداخلية".

كانت مساعدة فريقنا بريندا فريجوسي خارج باب برادي؛ إما للاطلاع على ما يحدث، وإما لإبلاغ برادي ببعض الأخبار، وفي كلتا الحالتين كنت أعترض سبيل جاكوبي إذا أراد الخروج. وهممت بمغادرة المكتب، ولكن لم يحاول أحد أن يمنعني.

الفصل
51

بعد ساعات من النقاش الحاد مع برادي وجاكوبي، التقيت أنا وكونكلين وميلي كوشينج في حجرة الاستجواب رقم ٢؛ فقد كانت هي العامل الرئيسي والوحيد في جرائم القتل الثلاث. كان كونكلين يلتقي بها للمرة الأولى، وقد أعطاها عن نفسه الانطباع الصحيح، فقدم إليها كعكة مُحلَّاة بالعنب البري، كانت موجودة في غرفة الاستراحة، وأعد لها القهوة بالطريقة التي تفضلها، وضبط جهاز تكييف الغرفة وفق درجة الحرارة المفضلة لديها.

ابتسمت ميلي في وجهه؛ حيث أطربها الاهتمام الذي شعرت به، ثم أجابت عن أسئلته.

قالت: "لديَّ ابنان بالغان، ولم تسر حياتي كما هو مخطط لها بالضبط، ولكنني لا أتذمر. كنت أقدم المساعدة إلى بعض الملاجئ، وكانت تساعدني أيضًا. لقد قابلت لو في ملجأ كولومبوس أفينيو".

بدت ميلي في حال جيدة؛ فقد كان شعرها الأشقر الذي تخلله الشيب منفوشًا، وكانت سترتها عالية الياقة، وكنزتها وسروالها نظيفين.

أحطت مخبرتنا السرية علمًا بأن هذا اللقاء سيُسجل من أجل إثباته، وأنني وكونكلين نقاتل من أجل إقحام أنفسنا في قضية خارج نطاق ولايتنا القضائية.

قـال كونكليـن: "سيكـون مـن المفيـد بشـكل أكبر لـو عرفنـا المزيد من المعلومـات عن لو، مثل تحركاتها قبل مقتلهـا. إن أول شيء يجب أن نعرفه هو إن كان هنـاك شخصـ يحمـل ضغينة لهـا، أو إن كانت قد شهـدت على إحدى الجرائم".

قالت ميلي: "إنك تعلم أنني أريد تقديم المساعدة، ولكنني إذا بدأت بطرح الكثير من الأسئلة...".

لم تكن مضطرة إلى إنهاء الجملة.

قال كونكلين: "فهمت. إننا لا نرغب في أن تعرضي نفسك للخطر".

كنـت أفكـر أنه لـو كانت هـذه قضيتنا؛ لكنـا أخذنا صورة لـو إلى ملاجئ المشردين، وتحرينا في الأرجاء كافة، وقمنا بمهمات المحققين.

كتمت تنهيـدة، ثم قلت: "ميلي، لقد التقطت صـورًا لحشد المتفرجين في شـارع جيري في الليلة الماضيـة. إنها مشوشة؛ لأن الإضاءة كانت قاتمة، ولكن هل يمكنك إلقاء نظرة على تلك الصور، ومعرفة إن كان أي شخص يبدو مألوفًا بالنسبة إليك؟".

نقَّبـت ميلي في حقيبتها، وأخرجـت نظارة القراءة الخاصة بها، ثم حرَّكتُ الصور ناحيتها، وبدأت الفحص الدقيق للحشد.

وبينما كانت مخبرتي منهمكة، كنت أدقق في أمرها.

بحثـت عن اسمها علـى الإنترنت، وفي قاعدة بياناتنـا، ولكن لم أعثر على شيء يتعلق بها؛ لا رخصة قيادة، أو عنوان، أو تصريح بالقبض عليها، وبالطبع فإنـه دون جهاز حاسوب، أو سيارة، أو منزل، أو سجل إجرامي، لن تكون لدينا معلومـات كافية عن حياتهـا. كانت قد أخبرَت ريتشي بـأن لديها أبناء بالغين، ولكنها لم تخبره عن المكان الذي يعيشون فيه الآن. إن اسم كوشينج ليس اسمًا شائعًا، ولكنه ليس فريدًا من نوعه أيضًا.

ربما لا يكون اسمها الحقيقي هو ميلي كوشينج.

قالـت: "لا أعـرف أي شخص فـي هذه الصـورة"، ثم وضعتها فـي أسفل مجموعـة الصور. رأيت نظرتها إلى الصـورة الثانية، وبدا لي أن عينيها تعلقتا بأحد الوجوه في الحشد.

فسألتها: "هل تعرفين شخصًا في تلك الصورة؟".

فأجابت قائلة: "لا، اعتقدت ذلك لوهلة، ولكن لا".

سألتها ثانية: "هل أنتِ واثقة بذلك؟".

فأجابت: "أجل. متأكدة تمامًا".

نظرت ميلي إلى ما تبقى من الصور، وأعادتها إليَّ، وهي تقول: "لا أرى الكثير من سكان الشوارع في هذا الحشد، فالجميع يرتدون ملابس جميلة، ومظلات، وقبعات. إنهم جميعًا مواطنون صالحون".

شكرنا ميلي، وعندما كان ريتش يوصلها إلى الخارج، سحبت الصورة الثانية من مجموعة الصور، تلك الصورة التي دفعت ميلي إلى إمعان النظر فيها. كان هذا الجزء من المتجمهرين يقف وراء الشريط، وكانوا عبارة عن ثلاثة صفوف طويلة. عددت أربعة عشر رجلًا وست نساء في الصورة، وكانوا جميعًا يرتدون قبعات أو أغطية واقية للرأس، أو يحملون مظلات.

حدقت النظر إلى كل وجه من الوجوه، فما الذي كنت أبحث عنه؟ تعبير عن الشعور بالذنب؟ ابتسامة مجنون؟ أو ربما ينشط أحد تلك الوجوه ذاكرتي. رأيت كل هؤلاء الناس في الحياة الحقيقية. هل قال أحدهم، أو فعل أي شيء، يمكن أن ألاحظه في ذلك الوقت، ولكنني غفلت عنه؟

ثم بدا شيء ما.

كان أحد أولئك الرجال في الحشد لافتًا للنظر. كان في الصف الخلفي في نهايته، يرتدي قبعة سوداء منسوجة، وعلى ملامحه أمارات الغضب.

يمكن تبرير ملامحه المنزعجة بأنها كانت بسبب حدوث إطلاق نار، أو ربما لم يرق له ضوء هاتفي في وجهه، أو ربما تكون المظلة الموجودة إلى جانبه تقطر ماء على رقبته، أو ربما يكون أي شيء آخر، مثل وجود رجال شرطة في مسرح جريمته.

حفظت ملامحه، وكذلك التسعة عشر شخصًا الموجودين في الصورة في أثناء انتظارنا الطبيب الشرعي ليرى مجموعة الصور كلها التي ربما تحتوي على ستين شخصًا من خلال تطبيقات التعرف على الوجوه.

ومن ثم، فإن التدقيق في الوجوه هو ما بوسعي فعله الآن.

الفصل 52

عند عودتي إلى مكتبي، كان تشارلي كلابر على الخط.

كلابـر هو رئيس معمل الطـب الشرعي لدينا، وهو شرطـي سابق في قسم شرطة لوس أنجلوس، وكنز حقيقي في إنفاذ القانون.

لم يحدث تبادل أية عبارات للتحية، ولم تكن هناك حاجة إلى ذلك.

قـال: "لقد فحصت الحمض النووي الموجود على المعطف الذي عثر عليه كونكلين في القمامة بالقرب من رصيف ٤٥".

قلت له: "حسنًا، وما النتائج إذن؟".

فأجـاب قائـلًا: "يوجد حمض نـووي عليه. هـذا مفهوم. إنمـا هو معطف مستعمـل، فقد ارتداه العديد من النـاسـ، أو ربما ناموا وهم يرتدونه، ما يجعل الاختبارات لا طائل من ورائها؛ مثل ملاءة سرير في فندق رخيص".

قلت: "يا إلهي!".

قال كلابر: "ننتقل إلى الأمر التالي، لم تُوصِّلنا محاولة التعرف على الوجوه إلى معرفة هوية أي من الوجوه الموجودة في صور المتجمهرين يا بوكسر، لكنها كانت محاولة جيدة".

قلت: "أشكرك على تحطيم آمالي، ماذا عن الطلقات؟".

قال كلابر: "هذا أكثر إثارة للاهتمام. إن الثقوب التي وجدت في جثة لورا راسل تتطابق مـع الثقوب التي وجدت في جثة جيمي دولان المتوفى في منطقة سيدني جي. والتون منذ أربعة أسابيع".

فقلت: "ومن ثم، فإن قاتلهما واحد".

فقال: "تم استخدام السلاح ذاته، ولكن هذا دليل ضعيف".

دليـل ضعيف؛ لقد تطابقت الطلقات بعضها مع بعض، ولكنها لا تتطابق مع أي مسدسـ في السجلات. شكرت كلابر، وأخبرته بـأن هناك جثة جديدة في مكتـب الطب الشرعي لسيدة غير معروفة الهوية تحـت اسم جين دو، وأنه من المحتمل أن تصل بضع طلقات إلى المختبر اليوم.

كان عليَّ تنفيذ ذلك فحسب.

كان كونكلين يتحـدث على الهاتف مع ملجأ كولومبوس أفينيو. وأشرت إليه بأنـنـي ذاهبة إلى مكتب الطب الشرعي، ثـم غادرت. استخدمت سلم الطوارئ وصولاً إلى البهو، ثم خرجت من الباب الخلفي، وهرولت من الممر إلى المكتب، وفتحت الأبواب الزجاجية.

كان موظف الاستقبال جريجوري هو الأحدث في قائمة طويلة من الأشخاص الذيـن بلغ متوسط فترة عملهم خلف مكتب الاستقبال الخاص بكلير نحو ثلاثة أشهر، قبل أن تدفعهم كآبة تلك الوظيفة ومللها إلى البحث عن وظيفة أفضل.

بعـد لقائي بجريج في يومه الأول، توصلنا إلـى نقاط تفاهم بيننا. لم يمنع انشغال كلير مقابلتـي إياها قط، ولم يعد جريج يتعامل بشكل بيروقراطي عند رؤيتي.

قلت: "جريج، لا بد أن أرى كلير".

نظر إليَّ نحو أحد عشر شخصًا يجلسون في ساحة الاستقبال ما بين رجال شرطة ومساعدي الادعاء العام، وعائلة المتوفى، بعيون يملؤها الشر.

بصراحة لا أستطيع إلقاء اللوم عليهم.

قال جريج: "د. وشبورن على الهاتف".

قلت: "لن أستغرق من وقتها سوى دقيقة واحدة أو أقل".

ضغط جريج على الجرس الذي يصل إلى داخل معتكفها.

سحبـت المقبض، وسرت في الممـر الرمادي القصيـر، ووجدت كلير في مكتبها تتحدث في الهاتف. أشارت لي بالجلوس، فجلست.

أغلقت الخط بعد دقيقة، وأخرجت ملفًّا من درج المكتب.

"لـديَّ شـك كبير في أنكِ هنـا بشأن ضحية شارع جيـري، على الرغم من عدم وجود اسمك على ملف القضية".

فقلت: "كلامك صحيح، ماذا لديك؟".

"كمـا تعلميـن، لم تكن هناك هوية على جسد الضحيـة، وحتى الآن ليست هنـاك أيـة استفسارات عن ضحيـة تشبهها. لا يزال الأمر سابقًـا لأوانه، ربما يسـأل عنها شخص مـا في غضون عدة أيام، وهناك إمكانية لإبقائها هنا فترةً أطول قليلا".

فتحت كلير الملف، وقرأت لي النتائج التي توصلت إليها.

فقالـت: "طريقة الوفاة: القتل. سبب الوفـاة: طلقتان عيار ٩ ملم؛ توجهت إحداهمـا إلـى القلب، والأخرى إلـى الرئة اليسرى على بعـد بضع بوصات من الأولى. كان القاتل في مكان قريب. ويظهر البارود الموجود على معطف المطر الذي كانت ترتديه أن القاتل أو القاتلة لم يكن على مسافة أبعد من قدمين".

فكرت بصوت عالٍ، وأنا أقول: "أتساءل، هل كان يعرفها إذن؟".

"أظهر التقرير أنها كانت في حالة صحية سيئة؛ فقد كانت مصابة بتصلب الشرايين والكبد الدهنيـة ومرض السكري، ورئتاها مليئتان بالقطران. أعتقد أنها كانت في أواخـر الأربعينيات من عمرها، ولكنَّ أعضاءها تنم عن إهمالها صحتهـا، وعن عاداتهـا السيئة. على أية حـال. قُتلت بتصويـب الرصاص إلى قلبها".

سألتها: "ماذا كان في حقائب تسوُّقها؟".

فأجابت قائلة: "علب صودا، وبطانية متسخة، وملابس متسخة".

"إن كلابـر ينتظـر وصول الطلقـات. فإذا جـاء أي شخـص يبحث عنها، فاتصلي بي، اتفقنا؟".

فقالت: "سأفعل. هل أنتِ بخير يا ليندسي؟".

فأجبـت قائلةً: "لم أكن في حال أفضل من ذلك"، ثم انحنيت فوق مكتبها، وقبَّلت أعز صديقاتي.

الفصل
53

كنت قد وصلت مبكرًا قبل اجتماعي الذي سيبدأ في تمام الرابعة والنصف مع الملازم جوني هون من قسم الشئون الداخلية في الطابق الخامس. كنت أسمع به، لكنني لم أقابله من قبل، وقد كان قسم الشئون الداخلية مكانًا مبهمًا بالنسبة إليَّ، بل كان أكثر الأقسام سرية في قسم شرطة سان فرانسيسكو.

لم يحاول برادي أو جاكوبي منعي، وها أنذا الآن أسير دون توجيه على مسئوليتي الخاصة.

جلست في منطقة الاستقبال، ورحت أقلب في صفحات نسخة ملقاة من جريدة *كرونيكل* في محاولة مني لترتيب أفكاري المشتتة، فأدركت أمرًا؛ وهو أنه منذ أن أخبرني جاكوبي بأنني أبدو شاحبة وبشعة المظهر، وأنا أشعر بهذا الشعور أيضًا. ويثبت حزام خصري الفضفاض ذلك؛ حيث إنني قد فقدت بعض وزني، وإن كان جراب المسدس مضبوطًا على أضيق درجة، لكنني لا أزال أشعر بأنه فضفاض بشكل مزعج، كما أن الصداع الذي كنت أعانيه هذا الصباح قد عاد، ولكن بشكل مضاعف.

هل كنت أضع نفسي تحت ضغط كبير؟ هل أصبحت متوترة عصبيًّا؟

قبل أن أتمكن من اتباع هذه الفكرة، دخل الغرفة رجل ذو شعر رمادي، يبلغ الخمسين تقريبًا من عمره، ونادى اسمي.

فوقفت قائلةً: "هأنذا".

قال: "أنا جوني هون".

تصافحنا، واتبعت ملازم قسم الشئون الداخلية إلى مكتبه، وجلست على الكرسي المقابل له. كانت الغرفة خالية من أي طابع شخصي؛ فكانت حوائطها بيضاء، وبها مكتب خشبي بسيط، وبعض الشهادات المؤطرة على الحائط، ولا توجد صور أو أغراض شخصية.

كان الملازم شخصًا عمليًّا للغاية.

قال: "لقد تلقيت مكالمة هاتفية من الرئيس جاكوبي. لقد أثنى عليكِ ثناءً كبيرًا أيتها الرقيب".

فقلت له: "لقد مررنا بمعارك كثيرة معًا".

فقال: "لقد قال ذلك. لم يخبرني إلا بالقليل بشأن رغبتك في زيارة قسم الشئون الداخلية. لمَ لا تعرضين عليَّ المسألة كاملة؟".

كما أخبرته بأنني جئت لتقديم شكوى بشأن اثنين من محققي جرائم القتل في القسم المركزي، وقدمت إليه سردًا حرفيًّا تقريبًا لما أخبرت به جاكوبي وبرادي ذلك الصباح. كانت صاحبة المعلومات قد استرعت انتباهي إلى جرائم قتل الأشخاص المشردين التي لم يصل فيها كل من الرقيب ستيفينز والمحقق موران التابعين للقسم المركزي إلى حل، حيث بدا أنهما يعملان في قضاياهما دون أدنى ذرة من الاهتمام.

كما أخبرت هون بما أعرفه عن الشاعر المقتول في ميدان والتون، وعن تجربتي الشخصية مع ستيفينز وموران في مسرحي الجريمة في رصيف ٤٥، وشارع جيري.

قلت: "لقد أدرجت هنا كل ما عثرت عليه من معلومات أيها الملازم، ولديَّ تقرير ستيفينز عن الجرائم الثلاث، وكلها تقارير مبدئية. وقد جمعت أيضًا من هيئة الطب الشرعي التقارير التي قدمتها، وتقرير تشريح جثة لورا راسل ضحية رصيف ٤٥".

مددت يدي عبر المكتب، وسلمته ملفًّا.

سألني الملازم: "إذن، ما قولكِ بالضبط أيتها الرقيب؟ هل تعتقدين أن ستيفينز وموران يتقاعسان عن أداء عملهما؟".

فأجبت قائلة: "شيء من هذا القبيل. ربما يقومان فقط بالعمل ليتم تسجيله كساعات عمل إضافية. لا أدري، لكنني أعلم أنهما لا يبدوان متحمسين للقبض على القاتل المحترف الذي قد يقوم بتصفية بقية المشردين، ويخطط لمواصلة جرائمه".

أومأ هون برأسه، وقال: "هل لديك أي دليل على أن ستيفينز وموران يماطلان في عملهما، أو يحتالان على النظام، أو يرتكبان جريمة؟".

فقلت: "أيها الملازم، ما الدافع القانوني الذي يمكن أن يسمح بترك هذه الجرائم تحدث خلسة على هذا النحو؟".

فقال الملازم: "إذن، ما أسمعه هو أنه ليس لديك سوى نظرية غير مدعومة بأدلة كافية؛ فمن الممكن أنهما يبذلان جهدًا حثيثًا خلف الكواليس، وربما يكونان في إثر أحد المشبوهين، أو يتبعان أحد الخيوط الموصلة إليه، وأنتِ لا تعرفين ذلك، أليس كذلك؟".

قلت: "إنهما لا ينفكان يطالبانني بالابتعاد عن الأمر. لماذا؟ فلربما أكون قد رأيت شيئًا، ولربما يكون لديَّ رأي يعتد به".

"هل يمكن أن يشكًّا في وجود دافع سياسي؟ إن مقر القيادة يحاول إبعاد القسم المركزي عن العمل في التحقيقات الجنائية؟".

قلت: "ربما، لكنهما سيكونان مخطئين. إنني أهتم بجرائم القتل التي تقيَّد ضد مجهول، وأولي اهتمامًا بقاتل لم يتم القبض عليه".

فقال لي: "حسنًا، سوف أقبل ذلك، ولكن ماذا سيكون رد فعلك إذا ظهر ستيفينز وموران في مسرح جريمة وقعت في نطاق خدمتك؟".

فكرت في ذلك، ولم يرق لي الأمر.

قال هون: "أيتها الرقيب بوكسر، إنك تأخذين هذه القضية على محمل شخصي. إنني لا أعرف عنك سوى القليل، وهو أنك شرطية ذات كفاءة عالية؛ لذلك فلنحافظ على هذا الهدوء، ولندع الأمر يأخذ فترةً أطول قليلًا. سأتابع كل ما يحدث. وإذا قررت فتح تحقيق، فسأخبر رئيسك بذلك، وفي المقابل إذا عرفت شيئًا، فاتصلي بي وأبلغيني".

ثم قال وهو ينهض واقفًا: "لديَّ الآن اجتماع آخر. سأرافقك إلى الخارج".

شعـرت بأنه يتم طردي بشكل محرج مرة أخرى، فشكرت هون، وصافحته، وأخذت مخرج الطوارئ وصولاً إلى قسم مكافحة جرائم القتل.

كان كونكلين قد غادر.

فغادرت أنا أيضًا، وركبت سيارتي، وذهبت إلى المنزل.

كنــت لا أزال غارقة في التفكير، وظل عقلي مشغولاً بالمحادثات التي دارت بيني وبين هون وجاكوبي وبرادي، جميعها في آن واحد.

ولكن لم أصل من خلال تلك المحادثات في رأسي إلى أي شيء، تمامًا كما كانت الحال على أرض الواقع.

الفصل
54

لـم تتحدث يوكي إلى مارك كريستوفر منذ استجواب جيفتوس اللاذع لبول بيتس، وكان يساورها القلق. كيف يمكن لمارك الصمود أمام سياسة الأرض المحروقة التي ينتهجها جيفتوس.

اتصلت بمارك، واقترحت أن يلتقيا مرةً أخرى قبل الإدلاء بشهادته التالية، فقال: "فلنخرج لتناول العشاء. إنك تستحقين ذلك، وأُفضِّل إجراء هذه المحادثة مع تناول وجبة لحوم إيطالية".

كانت يوكي تنتظره بعد انتهاء العمل في مطعم مانشيني الإيطالي الشهير في الحي المالي. لم تذهب إلى هذا المكان من قبل، وها هي الآن تستمتع بأجواء المكان الرائعة من الخطوط الناعمة المرسومة على الجدران، والجدران المغطاة بالقرميد، والإضاءة غير المباشرة.

اتصل مارك ليقول إنه سيتأخر بسبب حركة المرور. فارتشفت يوكي الماء المثلج، وردت على البريد الإلكتروني، وعندما نظرت إلى الأعلى، كان النادل يوجه مارك إلى الطاولة. اعتذر عن تأخره، وانحنى لتحتيها، وجلس إلى جانبها.

دائمًا ما كان مارك يبدو أصغر سنًّا، لكنه بدا أصغر بشكل أكبر هذا المساء. كان يرتدي كنزة صوفية باللون الأزرق الفاتح تحت سترته، كان قد قص شعره من فوره، كما أكملت رموشه الطويلة مظهر براءة الشباب.

قـال في أثنـاء تناول الشـراب والمقبـلات: "لا أصدق أن هـذه المحاكمة حقيقيـة. الأمر أشبه بمشاهـدة فيلم عن حياة شخص آخـر؛ فالناس تتحدث عنـي، وعما حدث، وعما قلتـه وفعلته، على الإنترنت، والتلفـاز، وفي كل مكان. إن هـذا الشيء الشخصي للغاية الذي حدث معي أمر حقيقي، وفي الوقت ذاته يفوق الواقع".

فهمـت يوكي منظور مارك الداخلي والخارجي. فقـد تحول مسار مستقبله إلى محل نزاع بناءً على أحكام أناس غرباء. ربما تتم تبرئته، أو إذا أخذت هيئة المحلفين صف الدفاع، فسيتم اعتبار مارك كاذبًا بقية حياته.

قالـت لمارك: "لقد قرأت نسخـة المحضر، ما رأيك في شهادة بول بيتس، واعتراض جيفتوس عليها؟".

قـال مارك: "وجدت أن بول جدير بالتصديق، فقد استطعت رؤية الطريقة التي حدث بها ذلك. لقد كان خائفًا، ما دفعه إلى الجري. إنني أثني عليه لقذفه المسدس بعيدًا عن يد بريانا. ليتني فعلت ذلك...".

فسألته: "وماذا عن استجواب جيفتوس؟".

قـال مـارك: "حسنًـا، حسبما قرأت، كان يُعـد عذابًا خالصًـا لبول. كانت شهادتـه صادقة، ولكن عندما وصل الأمر إلى تحديد السلاح، تردد في كلامه. لا أعرف إن كان بإمكاني التعرف على مسدسها أيضًا أم لا".

قالـت يوكي: "لقد كانت خطوة ذكية من جانب الدفاع، لكنها لم تكن دليلًا دامغًا، ومع ذلك أدخلها جيفتوس في الاستجواب".

هـز مارك رأسه، ثم قال بتحدٍّ: "لن يستطيع جيفتوس مراوغتي، فأنا أعلم ما حدث جيدًا".

كان حـوارًا شجاعًا. هل كان يقصد ذلـك أم كان يشجع نفسه فحسب؟ لم تر يوكي يومًـا أمارات ضعف على ملامحه كالتي تراها الآن، لكنها كانت تشعر به، وأخـذت تتساءل مرة أخرى عن المشكلة التي تعانيها بريانا. هل هي وحش مفترسـ أظهـر وجهه القبيح للمـرة الأولى؟ أم أنها تشبه عـددًا لا يُحصى من الرجـال الذين يعتلون مناصـب عليا، فاستغلت منصبهـا التنفيذي في الوكالة لإقامة علاقات محظورة بمرءوسيها برضاهم أو بالتهديد؟!

سأل مارك بعد فترة طويلة من التوقف: "هل تعتقدين أن بريانا ستدلي بشهادتها؟".

قالت يوكي: "ليس من المستحسن بشكل عام وقوف المدعى عليها على المنصة، ولكن في هذه القضية أعتقد أنها يجب أن تتحدث إلى هيئة المحلفين. وإذا فعلت ذلك، فسأكون مستعدة لها".

لم يكن هناك سبب يدعوها لتخبر مارك بما كانت تفكر فيه. فبعد أن قدم مارك شهادته، فإن جيفتوس سيفعل ألعن الأشياء ليدمره.

الفصل
55

صمت مارك، وحدق إلى كأس الشراب أمامه.

تساءلت يوكي عما إذا كان قلقًا بشأن ما ستقوله بريانا على المنصة، لكنه كان على الأرجح قلقًا بشأن أدائه؛ حيث بدا الخوف على ملامحه.

مدت يدها، وربتت يده.

قالت: "لقد أديت أداء رائعًا في أثناء شهادتك أمام هيئة المحلفين الكبرى، وبمقدورك فعل هذا".

كانت قد قطعت شروده، ونظر إليها نظرة مباشرة تملؤها الثقة.

ثم قال لها: "أعلم. نحن نستطيع فعل ذلك".

كانت يوكي سعيدة؛ لأنها استطاعت إقناع ريد دوج بالسماح لها بخوض هذه القضية. فإذا فازت، فسيُبرأ مارك، وسيصير الرجال الذين تعرضوا لمثل هذه الجرائم أكثر حرية في الإفصاح عن ذلك، والسعي إلى تحقيق العدالة من خلال القضاء.

وصل العشاء، وكان لذيذًا. تناولت هي لحم صدر البط، بينما تناول هو لحم الأضلاع القصيرة. خرجت هي ومارك عن الموضوع، وللمرة الأولى لم يتحدثا عن خططهما بشأن المحاكمة.

أخبرته يوكي بالاستراحة التي أخذتها من مكتب المدعي العام، وبشعورها عند عودتها.

قالت بابتسامة: "كان شعورًا رائعًا".

وأسر لها أنه كان مرشحًا للحصول على وظيفة بريانا هيل.

فقال: "لقد قيل لي خارج نطاق الرسميات إن ذاك المنصب سيكون لي إذا أردته، لا أعتقد أن هذا سيبدو الأفضل بالنسبة إليَّ. سأنتقل على الأرجح إلى وكالة أخرى عند انتهاء الأمر، وربما أنتقل إلى بلد آخر".

تناول كل منهما كأسًا أخرى من الشراب، ولكن عندما جاء النادل ليدوِّن طلب الحلوى والقهوة، قالت يوكي: "لا، شكرًا".

طلب مارك فاتورة الحساب، وقالت يوكي: "هل أنت متأكد من رغبتك في ذلك يا مارك؟ يمكنني تحمُّل تكلفة هذا".

لكنه سلم بطاقته إلى النادل، وقال ليوكي: "سأوصلك إلى المنزل. اتفقنا؟".

قالت: "معي سيارة سأقودها".

فقال لها: "سأرافقك إذن إلى سيارتك".

كانت سيارة يوكي، التي من طراز أكيورا، متوقفةً في شارع كاليفورنيا. وظل مارك إلى جانب الشارع من ناحية الرصيف، وعندما رأيا السيارة، مد يده إلى كتفيها لتعديل ياقة معطفها.

نظرت يوكي إليه، ثم لف ذراعه حولها، وأدناها منه.

وقال: "ليس لديك أدنى فكرة عن مدى إعجابي بك".

اعترضت يوكي على فعله، ولكن مارك خفض وجهه، وكان على وشك تقبيلها، فأدت صدمتها وشعورها بالاستياء إلى دفعه بعيدًا، وهي تقول له: "احترس يا مارك. لا تفعل ذلك".

فك قبضته عنها، وحاول التعامل مع ما حدث ببساطة قائلًا: "آسف. لقد تحولت الآن إلى كتلة من المشاعر الفياضة. لم أستطع كبح جماح نفسي على الإطلاق".

قالت: "ما فعلته ليس بالأمر المحمود".

فكرر اعتذاره قائلًا: "أنا آسف حقًّا. لم أخطط لذلك. إنها مجرد لحظة اندفاع فحسب".

قالت: "يجب أن أعود إلى المنزل. سنتحدث غدًا".

تقدمت يوكي إلى الأمام، وفتحت سيارتها، وبعد أن ربطت حزام الأمان، أدارت المحرك. انطلقت في شارع كاليفورنيا دون النظر في المرآة الخلفية، وانعطفت إلى الشمال مباشرة نحو شارع سانسام.

تلك الدقائق الأخيرة مع مارك أربكتها بالفعل، وبدلت مشاعرها، ووجهة نظرها فيه، فأخذت تفكر في أن دعوته إلى الخروج لتناول العشاء بدلًا من الاجتماع في مكتبها كانت أمرًا مقصودًا؛ بمعنى أنه قد خطط لذلك في الواقع، أو حدث شيء من هذا القبيل.

إن صبيانية مارك وجاذبيته هما أدواته لإغواء النساء. كان من السهل تخيله شخصًا يتعرض للملاطفة، أو يقع ضحية اغتصاب. فكرت مرة أخرى في التسجيل الذي شاهدته مرات عديدة، ويبين أنه تعرض للانتهاك من قبل بريانا هيل، ولكن جيمس جيفتوس قال إن التسجيل بدأ عندما كانت الممارسة الحميمة بالفعل قيد الحدوث. كان رأيه في القضية، وفي رواية بريانا، هو أن مارك قد قام بتنظيم لعبة.

هل هذا صحيح؟ هل يعرف جيفتوس شيئًا لا تعرفه هي؟ هل هذا هو سبب تأجيل كلمته الافتتاحية حتى تعرض هي قضيتها؟

رن جرس هاتف يوكي. كان موضوعًا في حامل الأكواب فوق وحدة التخزين إلى جانبها.

التقطته.

قال مارك: "يوكي، أرجوكِ سامحيني، اتفقنا؟ لقد تعاملت معكِ بعدم لياقة، وأشعر بالإحراج. لن أفعل ذلك مرة أخرى".

فقالت يوكي: "حسنًا، مارك. غفرت لك كل شيء. طابت ليلتك".

أغلقت الهاتف وأعادته إلى حامل الأكواب، وكانت تلك هي المرة الأولى التي شعرت فيها يوكي بالاشمئزاز من مارك كريستوفر منذ أن تعرفت به، كأنها قد دخلت نفقًا مظلمًا، ثم غمرها ضوء ساطع.

وكأن هناك كارثة محققة تلوح في الأفق أمامها مباشرة.

الفصل
56

كان مايكل يتسكع على رصيف إمباركاديرو بالقرب من مبنى فيري لغرض ما، عندما رآها مصادفةً.

هل ستكون هي؟

لقد جانبه الصواب من قبل.

ثبَّت عينيه على ملامحها، فشعر بانقباض يسري من فخذه، ويرتفع سريعًا نحو خصره، وصولًا إلى حلقه.

كانت المرأة المتقدمة في السن يرافقها شاب أصغر سنًّا منحني المنكبين، كان مفعمًا بالحيوية، ويومئ ويلوح كثيرًا وهو يتحدث، وفي عينيه نظرة مدمن مخدرات يشعر بالانتشاء جراء تعاطي جرعة من المخدر.

ضحكت المرأة؛ حيث كانت تستمتع برفقته. كانت ترتدي ملابس مناسبة للسير وسط الضباب في ليلة باردة. كان معطفها قديمًا؛ لكنه بدا متماسكًا، وكانت تحمل حقيبة تتدلى من كتفها، وترتدي فوق رأسها قبعة صوفية واقية ذات درجات مختلفة من اللون الأخضر.

كان الاثنان غريبا الأطوار يتحركان، فكانا يمشيان في تؤدة. وقد ركز مايكل على مشيتها المتموجة المألوفة خلال مواصلتها السير هي ورفيقها اللعين بعيدًا عنه.

انتظر حتى صارت المسافة بينه وبينهما خمسًا وعشرين خطوة؛ أي مسافة سيارتيـن تقريبًـا، ثم تتبـع هذا الثنائـي وهمـا يتفحصان بعض المـارة حول مبنـى فيري، ويعبران الشارع، ثـم ينعطفان نحو شارع ميشن؛ وهو أحد الطرق الرئيسية في حي ساوث أوف ماركت.

كانـت حركـة المرور انسيابيـة بشكل كبير بعـد التاسعة مسـاءً. وقد هبَّت الريـاح عبـر الفتحات الضيقة بيـن المبانـي المكتبية؛ ما ذكَّر مايـكل بأجواء حـي وول ستريت، ولكن الفـارق أن هذا يطل على الخليج. دسَّ يديه في معطفه الجديد الذي ابتاعه من متجر الملابس المستعملة، وأمسك بمقبض المسدس بيده التي يرتدي فيها القفاز. شعر شعورًا طيبًا كأنه يصافح يد صديق.

توقفت المرأة ورفيقها على مسافة منه، وتعانقا تحت ضوء الشارع، قبل أن يعبر الشاب ذو الكتف المنحنية الشارع، وتواصل المرأة السير على طول شارع ميشن، عابرة شارع سبير. ثبَّت مايكل عينيه عليها، بينما كان يرقص على لحن اخترعه من إيقاع سيرها المتأني.

وبعـد ذلـك - كأنه كان قد تمنى أن تفعل تلـك المرأة ذلك - توقفت ومدت يدهـا إلـى حقيبتها، وراحـت تفتش في داخلهـا، ثم أخرجت شطيـرة ملفوفة. انشغلـت بمحاولة إزالة الغـلاف الملتصق بها، فاتضحـت ملامح جسدها في بريـق أضواء الشارع. لـم يكن يوجد أي شخص آخر على هـذا الرصيف. كانا وحدهما.

اقترب مايكل منها، ونادى اسمها. نظرت إلى أعلى، فرأته يخرج المسدس من جيبه ويصوبه نحوها.

نظرت إلى وجهه، وابتسمت دون خوف؛ ما أثار حفيظته.

ثم قالت له وهي تمسك بشطيرتها: "كنت أعلم أنه أنت".

قال مايكل: "حسنًا. مرة واحدة تكونين فيها على حق. هل تودين قول كلمة أخيرة؟".

قالت: "ليكن الله في عونك".

الفصل 57

شعر مايكل بأن مسدسه كان جزءًا لا يتجزأ من ذراعه.

ضغط على الزناد.

أصدر المسدس صوتًا، ونفذت الرصاصة إلى صدرها، ارتدت ذراعه بحركة بسيطة من أثر الاهتزاز؛ فسرت في جسده موجة من الإثارة كانت أكثر إشباعًا له مما شعر به في المرات الأخرى التي أطلق فيها النار من مسدسه.

شاهد كل ذلك، وحفظ كل حركة دقيقة في ذاكرته. صرخت، وأسقطت الشطيرة من يدها، وقرعت بيدها على صدرها. حبست أنفاسها، وحدقت إلى عينيه، فقرأ التعبير المرسوم على ملامح وجهها.

خيبة الأمل.

راق له ما رآه، فهذا ما كان يشعر به طوال حياته.

فقال: "إليك المزيد".

أطلق رصاصة أخرى، فهوت على جانبها، وقد تجمدت ملامح خيبة الأمل على وجهها. كانت مثالاً للحزن السرمدي، لكنها كانت لا تزال على قيد الحياة.

أخذت تلهث ورفعت عينيها إليه.

حاولت أن تتكلم، لكن ما من شيء يمكن أن يكون في غير محله بالنسبة إليه أكثر من كلماتها. لقد أخبرته عدة مرات بأن *ما تقوله ليس هو المهم، بل ما يهم هو ما* تفعله.

أطلق ثلاث طلقات أخرى إلى جسدها، وشاهدها وهي ترتجف، وتنتفض مع كل رصاصة، إلى أن أطلق الرصاصة الأخيرة في رأسها. استلقت في النهاية في سكون، وتوقفت عن الحركة على الرصيف. لقد فارقت الحياة. **ماتت.**

أراد أن يتوقف لحظة لأداء رقصة الحرب، وأن يصيح عاليًا من فيض ما يشعر به من راحة وسعادة، وأن يستمتع بالنشوة الخالصة لأفضل لحظة في حياته.

لكنه تعهد لنفسه في تلك الليلة، عندما كان واقفًا تحت المطر في شارع جيري، بينما كانت أبواق سيارات الشرطة تقترب، وهي تصدر أصواتًا عالية خلال توجهها إلى الجثة، بأنه لن يقترف أية أخطاء أخرى بعد الآن.

كان يعرف ما يجب عليه القيام به. جمع فوارغ الطلقات، وكان أحدها قد اقترب من البالوعة على الرصيف، ثم أحكم عليها قبضته، وسار سريعًا، فاجتاز مبنيين في الاتجاه الجنوبي الغربي، حتى مفترق الطرق مع شارع بيل. كانت هناك ساحة صغيرة مرصوفة بين مبنيين مكتبيين؛ وهي عبارة عن ساحة صغيرة بها مجموعة من الأشجار الصغيرة القائمة في أحواض خرسانية.

كان هناك شخصان يقفان في الساحة، رجل يجلس فوق حافة الحوض الخرساني منحني الرأس، وهو يتحدث في الهاتف، وامرأة تتكئ على جدار المبنى تدخن سيجارة، ربما كانت تنتظر شخصًا ما، أو ربما كانت غارقة في التفكير فحسب.

أبصر مايكل صندوق القمامة بين اثنين من الأحواض الخرسانية، فسار دون مبالاة تجاهه. استغرق الأمر بضع ثوانٍ فقط، لدس المعطف والقفازات في الكيس البلاستيكي الأسود الذي يبطّن صندوق القمامة، ونقل المسدس وفوارغ الطلقات إلى جيب السترة السوداء التي كان يرتديها تحت المعطف.

غادر الساحة، واختفى في ضباب شارع ميشن وظلاله.

يا لها من ليلة رائعة.

يا لها من ليلة لعينة رائعة.

إذا كان سيفتقدها؛ فإن ذلك يعود إلى أنه يجب أن يبحث الآن عن هدف آخر. وكانت لديه فكرة عمن سيكون هذا الهدف.

تلك الحمقاء التي التقطت صورته في شارع جيري.

الرقيب ليندسي بوكسر. إنه يتذكرها.

إنهـا مثل والدته التي كانت توبخه لشرب الحليب من العبوة الكرتون، وأخذ بعض العملات الورقية من محفظتها، وما يقرؤه من مجلات، وكانت تعنفه أمام أخته وجيرانه وأصدقائه.

إن الرقيـب بوكسـر قـد فعلـت الشـيء ذاته بفلاشـ كاميـرا هاتفها. لقد فضحته، وأثبتت وجوده في الشارع.

وعليها أن تدفع ثمن ذلك.

الفصل 58

بينما كانت غسَّالة الأطباق تُحدث جلبةً، والماء يتدفق فيها، كنت أطوي الملابس المغسولة أنا وجو فوق طاولة المطبخ.

كنت أتصرف تلقائيًّا دون تفكير؛ فكنت أرتب مجموعة متنوعة من القمصان والمناشف بعضها فوق بعض، لكنني كنت أفكر في أشياء أخرى؛ من بينها زهرية والدتي التي جذبتها جولي من فوق الطاولة، فحطمتها إلى شظايا لا يمكن إصلاحها، كما واصلت تذكر لقائي المحرج بهون في قسم الشئون الداخلية، ولكن ما زاد الأمر سوءًا هو شعوري بالوهن والصداع وبعض الغثيان؛ فقد اعتراني شعور عام بالإعياء صار من الصعب تجاهله.

وفجأة قال جو: "هل هذا هو كل شيء؟ ألم يثر ذلك دهشتك؟".

فاعتذرت له قائلة: "يا إلهي! عذرًا يا جو. رجاءً أعد ما قلته مرة أخرى؟".

قال: "تلقيت مكالمة من الرئيس الجديد لقسم مكافحة الإرهاب في ميناء سان فرانسيسكو".

قلت له: "يا له من أمر رائع! هل الأمر يتعلق بوظيفة؟".

قال جو: "أجل. هناك رجل جديد يدعى بنجامين رولنز؛ وهو جندي سابق في قوات مشاة البحرية. إنه يبحث عن ضابط محترف ونشط في تقييم

المخاطـر للعمل عن بُعـد، أو ضمن طاقم الموظفين. مـن المعروف أنه حقير نوعًا ما، ولكن أعتقد أنني سأحبه".

قلت: "هل هو حقير نوعًا ما، ولكنه رائع بطريقة أخرى؟".

قال جو: "صحيح، فالأمر لا يتعلق بالحب، بل بالمال".

قلت له: "مرحى للمال، مرحى للمال".

ابتهجَ جو، وضحكت أنا، ثم عدت إلى طي الملابس.

فـي الواقع، *كانت* هذه الأخبار الجديدة رائعـة. كان جو يتعافى بشكل جيد مـن جروحه. وعمـا قريب ستذهب جولي إلى روضــة الأطفال، وقد كان جو في حاجـة إلى وظيفة. وعلـى الرغم من أن أفكاري كانت مشتتــة، فإنني استطعت التركيز على ذلك.

قلت: "إذن، ما الخطوة التالية؟".

كان جـو يخبرني بالمقابلة التـي سيجريها مع مدير الأمـن رولنز الأسبوع المقبل، عندما رن جرس الهاتف.

كانـت ليلة أحد أيام منتصف الأسبوع، وهذا يعني بالنسبة إليَّ أنني كنت لا أزال قيد وقت الخدمة. أخرجت الهاتف من جيب سروالي الجينز، ونظرت إلى هوية المتصل. رآني جو، فحرَّك رأسه ليقول لي لا تجيبي.

فرددت على الهاتف قائلة: "برادي، ما الأمر؟".

دخل في الموضوع مباشرة.

فقـال: "قُتلت امرأة بلا مأوى بالرصاص في شارع ميشن قرب شارع سبير بالطريقـة ذاتها التـي قُتل بها الآخرون مـن مسافة قريبة للغايـة. لا يوجد أي شهـود، ولكـنَّ ثمة أمـرًا مختلفًا بعض الشـيء. لقد تم إطلاق النـار عليها في محيط منطقتنا.

قلت له: "أعد ذلك مرة أخرى".

فقـال: "تم إطـلاق النار عليها فـي الجانب *الجنوبي* من شـارع ميشن في محيط منطقة خدمتنا. تولي الأمر يا ليندسي، فأنت المحقق الرئيسي. اتصلي بكونكلين. وقد ترغبين في مقارنة الملاحظات مع ستيفينز".

سألته: "متى حدث ذلك؟".

فأجـاب قائلًا: "جاءت رسالة إخبارية من أحـد المارة منذ ثلاثين دقيقة، فجاءتني هذه الرسالة؛ لذا كوني على تواصل معي".

فقلت له: "برادي، تمهَّل. أحتاج إلى جميع الوحدات. أحتاج إلى كل شرطي يتنفس".

قال: "لكِ ما تريدين".

اعتبرت الأمر منتهيًا في ظل وجود برادي.

الفصل
59

كانت جريمة القتل الأخيرة التي وقعت في شارع ميشن تتطلب استجابة سريعة من المستوى الثالث، مع تشغيل الأضواء وصافرات الإنذار.

قمت بتشغيل كل ذلك، وفي أثناء القيادة خلال الضباب، كنت في غاية الغضب والإثارة.

ها هي ذي الفرصة.

سأحظى أخيرًا بفرصة للنيل من هذا القاتل المحترف. إن التحقيق في هذه الجريمة سيكون من الدرجة الأولى، وآمل أن ينتهي بالفاعل مرتديًا بذلة برتقالية والسجن المؤبد مدى الحياة دون فرصة لإطلاق سراحه.

بعد مرور اثنتين وعشرين دقيقة على مكالمة برادي، وصلت إلى مسرح الجريمة الذي كان مضاءً بشكل غريب بواسطة الأضواء والمصابيح الأمامية المخصصة للرؤية في الضباب لعشرات من سيارات الشرطة المصطفة عند الرصيف. أقامت الشرطة خطًّا مطوقًا للمنطقة، يغلق شارع ميشن في كلا الاتجاهين على بعد مبنيين من شارع بيل، مع وجود متاريس في الشوارع المتقاطعة.

كان هذا أكثر مما كنت أرغب. شكرًا لك يا برادي.

أوقفت سيارتي، وانحنيت أسفل الشريط، وطلبت من شرطي يرتدي الزي الرسمي أن يرشدني إلى أول ضابط وصل إلى مسرح الجريمة.

فقال لي: "إنه الرقيب ناردون. ها هو ذا يقف هناك عند الجثة".

كنت أعرف بوب ناردون. إنه شديد التدقيق، ويتمتع بخفة الظل. إنني سعيدة بوجوده في مسرح الجريمة. هتفت به فرفع يده، فاندفعت بين مجموعات الوحدات المتفرقة إلى حيث كان يقف إلى جوار الضحية.

وبوصفه أول ضابط استجاب للحادث، فقد كان مسئولًا عن فرض طوق أمني على الشارع، واحتجاز الشهود، ومنع المارة من إفساد المنطقة، وإحاطة المحققين علمًا بالملابسات.

قال ناردون: "الرقيب بوكسر؟ ما الذي أتى بكِ في ليلة كهذه؟".

قلت: "ما زلت في نوبة عملي. ما الذي توصلنا إليه؟".

فقال: "امرأة مسنة، خانها الحظ قبل أن يطلق شخص ما نحو ست طلقات على جسدها".

فسألته: "هل توجد لها هوية".

فقال: "أترين حزام حقيبتها؟ إن حقيبتها أسفل جثتها. يتحدث الضابط أنتوني مع الرجل الذي أبلغ بالحادث؛ وهو سائح جاء إلى المكان المناسب، ولكن في الوقت الخاطئ. لقد رأى الجثة من سيارته".

بعثت المصابيح الأمامية أعمدة من الضوء فوق الجثة. أضأت مصباحي، وأرشدني ناردون.

خطوت حول بركة الدماء التي تحيط بالضحية التي سقطت على جانبها. والتقطت صورًا بهاتفي الذي يقوم بدوره حتى وصول هيئة التحقيق في مسرح الجريمة بأضواء الهالوجين والعدسات الألمانية.

سمعت كونكلين ينادي اسمي، فالتفت لرؤيته، وهو يخرج من العتمة.

أخبرته بما أخبرني به ناردون. فانحنى فوق الجثة، ورفع القبعة الخضراء عن وجه السيدة الميتة.

قال: "يا إلهي!".

نظرت من فوق كتفه. ما رأيته كان بمنزلة صدمة قاسية على قلبي.

فقلت: "يا إلهي! *هذا مستحيل* يا ريتش".

قال: "الأفعال الجيدة حتمًا لا تمضي دون مقابل".

كان هذا الأمر خاطئًا. كيف تموت ميلي كوشينج، صاحبة الروح الطيبة الوديعة؟

كان علـيَّ أن أدنو منها لألقي نظرة من كثـب. كان وجهها وشعرها غارقين بالدمـاء. لقد تلقت طلقة واحدة في جبينهـا وأخريات في جسدها. كان القاتل واقفًا على مقربة منها. نظر إلى وجهها، ونظرت إلى وجهه، فظل يطلق طلقاته حتى تيقن من وفاتها.

كان هـذا القتـل مبالغًـا فيه؛ وهذا يعنـي أنه نابـع من الغضـب، أو بسبب شخصي، أو كلا الأمرين.

جـاءت ميلي إليَّ بسبب وقوع سلسلة مـن جرائم القتل التي ارتكبت دون أن يلاحظها أحد على الإطلاق. لقد شجعتها، وطلبت مساعدتها. والآن أقف أمام جثتها. إنني أشعر شعورًا كبيرًا بالأسى والذنب. هل قُتلت ميلي لأنها تعمل معي؟

سألت كونكلين: "هل هذا خطئي؟".

قـال كونكليـن: "كفي عن هذا. لا ذنب عليك يـا ليندسي. ها هي ذي وحدة التحقيق في مسرح الجريمة قد وصلت، فلنفسح لها المجال".

سمعت باب سيـارة يُفتح، فنظرت ورأيت تشارلي كلابر يخرج إلى الشارع. كنت سعيدة جدًّا؛ لأن رئيس الطب الشرعي وصديقي العزيز في دوام عمله.

قال لي كلابر: "كيف يكون كل منا في نوبة العمل الليلية؟".

قلـت له: "أعرف الضحية يا تشارلي. إنها ميلي كوشينج، مخبرتي السرية. ربما اكتشف القاتل هذا الأمر".

قـال كونكليـن: "أو ربما كان يبحث عن ضحية، وهي من صادفه في طريقه فحسب".

قلت: "بالتأكيد. ربما يكون هذا هو ما حدث".

لكنني كنت غير مقتنعة.

انحنيت إلى جوار جثة ميلي. إنني لا أتحدث عادة مع الموتى، لكن هذا كان استثناء، ولم أعر اهتمامًا إلى من يسمعني.

فقلت لها في أسى: "أنا آسفة يا ميلي. أعتذر عما حدث لكِ".

الفصل 60

كانت يوكي تسترخي فوق كرسي وثير أخضر اللون أمام التلفاز.

كانـت الساعـة قد تخطت التاسعـة. قال برادي قبل ساعتيـن إنه سيحضر الطعـام التايلاندي إلى المنزل لتناول العشاء. إذن أين هو الآن؟ لم يتصل. لم يُجب على هاتفه. هل كان يؤدي عملية ما؟ هل كان في لقاء مع إحدى صديقاته؟ أم أنه نسي أمر زوجته فحسب؟

كانـت جائعة، ويـزداد غضبها. زادت استحالة تصديقهـا أنه رجل "يحبها حتى الموت".

ذهبت يوكـي إلى المطبخ، ومزجت المايونيز بشطيرة جبن، ثم أكلتها عند المغسلـة. ثم عادت إلى غرفة المعيشة، وجلست فوق كرسيها مرة أخرى. مدت ساقيهـا فوق مسند القدمين، ثم عادت إلى جهاز الحاسوب المحمول الصغير. نظـرت إلى أدوات عملها الضرورية الأخرى؛ مـن الأقلام، واللواصق، والقهوة، والبسكويـت المملـح، وأداة لتخفيـف التوتـر، والهاتف، مصفوفة فـوق طاولة المصباح إلى يسارها.

كانـت تشاهد الأخبار في التلفاز بطرف عينيها، وبينما كانت تفرغ صندوق بريدها، اهتز هاتفها. مدت يدها للإمساك به، وأوقعت كوبها، فأغرقت القهوة بالحليب الطاولة سريعًا وانسكبت على سجادة والدتها القديمة.

صاحت يوكي: "*ناندا*"، وهي كلمة يابانية تعني "ما هذا بحق السماء؟"، ثم أمسكت الهاتف، وصرخت قائلة: "برادي؟" وهي تركض نحو المطبخ لتحضر منشفة صحون.

قال المتصل: "أنا مارك. لقد تم إطلاق النار عليَّ".

كانت تسمعه بصعوبة.

فقالت: "*ماذا؟* مارك؟ أين أنت؟".

فرد قائلًا: "*آه*، في سيارة إسعاف".

كانت تمسح القهوة، وهي تصيح ليعلو صوتها على صوت صفارات الإنذار في أذنها، قائلة: "أين حدث ذلك؟ ما حالتك؟".

فأجاب قائلًا: "على مسافة مبنيين من شقتي. كنت أعبر الشارع إلى محل التنظيف عندما سقطت تقريبًا. لم أسمع أي شيء".

كان صوته يتلاشى.

فصرخت قائلة: "مارك. مارك. هل يمكنك سماعي؟".

فقال: "*أتألم* حقًّا".

سألته يوكي: "أين أصبت في جسدك؟".

فقال مارك: "الفخذ اليمنى. قال المسعف إن الرصاصة دخلت وخرجت من الجانب الآخر. هذا ما يمكنك تسميته بحسن الحظ".

فقالت: "بالتأكيد. حمدًا لله أنك بخير".

قال: "كان الجو مظلمًا يا يوكي. لو كانت هذه الرصاصة قد ضربت شريان فخذي، لكنت ميتًا الآن. ربما ينبغي لي شراء تذكرة يانصيب"؛ قال جملته الأخيرة وهو يضحك.

بدا مارك في حالة هستيرية، لكن هدأت يوكي من صوتها قليلًا، وقالت: "إلى أين يأخذونك؟".

فأجاب قائلًا: "إلى مستشفى مترو. أليس كذلك؟".

سمعت صوت امرأة تقول: "نحن على بعد دقيقتين".

قال مارك: "سيقابلني والداي هناك".

قالت: "حسنًا. هذا ممتاز. مَن *فعل* ذلك يا مارك؟".

فرد قائلًا: "لا أعلم. لم أرَ أحدًا. كنت أمسك بالكثير من الملابس المغسولة. أوه! يا إلهي! ملابسي ...".

قالت يوكي: "مارك، تجنَّب المشكلات. عليك التحدث إلى الشرطة".

قال مارك: "أتعرفين؟ إنني خائف الآن".

قالت يوكي: "سيلتقي رجال الشرطة بك في المستشفى. أخبرهم بما تعرفه وبما تفكر فيه، واجعلهم يتصلوا بي، حسنًا؟ مارك؟ هل تسمعني؟".

فقال: "إنهم يطلبون مني أن أبعد هاتفي. آه! وداعًا".

ثم انقطع الخط.

وقفت يوكي في المدخل بين المطبخ وغرفة المعيشة، تحمل هاتفها، وتفكر فيما قاله لها مارك منذ لحظات. من أراد أن يقتل مارك؟ هل قامت بريانا هيل بمطاردته أو إطلاق النار عليه؟ هل بريانا تتسم بهذه الدرجة من الجنون؟

اتصلت يوكي باستخدام خاصية الاتصال السريع بمحققة الجرائم الجنسية الضابط فيليس تشيس. وضغطت على الزر، وانتظرت بفارغ الصبر أن ترد تشيس.

قالت: "فيليس، أنا يوكي. تم إطلاق النار على مارك كريستوفر ... لا، الأمر ليس كارثيًّا. هو في طريقه إلى مستشفى مترو. اطلبي من شخص ما أن يأخذ أقواله، وأحضري بريانا هيل، سوف ألتقيكِ في المقر".

الفصل
61

وقفت يوكي في غرفة المراقبة عاقدةً يديها على صدرها بإحكام، تراقب باهتمام استجواب بريانا هيل من خلال المرآة المزدوجة.

كانت غرفة المقابلة على الجانب الآخر من الزجاج بحجم خزانة، مؤثّثة بطاولة أمام جدار متسخ، وثلاثة كراسي من الألمونيوم، ذات ظهر مستقيم، كانت جميعها مشغولة.

وجلست المحققة فيليس تشيس، والمحقق آل مارتينيز من قسم الجرائم الجنسية، كل منهما أمام الآخر بزاوية مائلة، وكانت بريانا تجلس في مواجهتهما، أمام النافذة التي تغطيها المرآة، وكانت الكاميرا في زاوية السقف تسجل كل شيء.

بدت هيل واقعةً تحت ضغط عظيم. وكانت يوكي تعرف أنه قُبض عليها في شقتها بعد العودة من صالة الألعاب الرياضية. كانت ترتدي بنطالاً رياضيًّا رمادي اللون، وكان شعرها معقودًا فوق رأسها، ووجهها أحمر اللون من شدة البكاء.

كانت تشيس التي صادرت مسدسًا من حقيبة هيل الرياضية، تقول: "تعلمين أنه لا يجوز لكِ حيازة مسدس يا بريانا، ومن ثم فإنك في ورطة هنا. ما قولك؟".

قالت بريانا بغضب: "أتلقى رسائل كراهية، ومكالمات هاتفية شريرة، وتهديدات بالقتل. أعتقد أن هناك من يتبعني. ماذا عليَّ أن أفعل إذن؟".

قالت تشيس: "ابقي في المنزل. أغلقي بابك".

صرخت: "لا بد من أن أتناول الطعام. كنت أذهب في بعض الأحيان إلى مطعم في تقاطع شارعي دوبوس وسانشيز لتناول الحساء وشطيرة في وقت الغداء، ثم ذهبت إلى الصالة الرياضية الليلة في نحو الساعة الثامنة، وبقيت هناك مدة ساعة. ولا بد من أن هناك كاميرات في كل مكان، يمكنك أن تتفقديها بنفسك".

قال مارتينيز: "إذن كنتِ من الساعة الثامنة إلى التاسعة في صالة الألعاب الرياضية؟ تلك هي أقوالك؟".

فقالت بريانا: "أجل، شيء من هذا القبيل".

سألتها تشيس: "وأين كنتِ قبل أن تذهبي إلى صالة الألعاب الرياضية؟".

فأجابت قائلةً: "كنت في البيت، ويمكن للحارس أن يخبرك بموعد مغادرتي".

قال مارتينيز: "حسنًا بريانا. سنتحقق من حجتك، أو يمكنك أن توفري علينا الكثير من المتاعب. أعرف أن كريستوفر هذا شخص بائس ومزعج بالنسبة إليك، لذلك انظري، إنك لم تقتليه، فإذا كنت قد أطلقت النار عليه، فقد حان الوقت الآن للاعتراف بذلك. وأضمن لكِ، إن قلتِ الصراحة، أن تسير الأمور في صالحك بشكل أكبر".

فقالت: "لم أطلق النار عليه. أرسل مسدسي إلى .. إلى معملك، أو تشمّم رائحته، فلم تنطلق رصاصة منه منذ عامين".

قال مارتينيز، وهو يخرج كيسًا بلاستيكيًّا من جيب قميصه: "إنه هنا، ها هو اختبار بقايا البارود. سأقوم بوضع بعض المواد على يديك. إنه لن يؤلمك".

سألت هيل متشككة: "أنا لست مجبرة على الموافقة على ذلك، أليس كذلك؟! أريد المحامي الخاص بي، وأود الاتصال به الآن".

قال مارتينيز: "ستفعلين ذلك في غضون دقيقة، ولكن أريني يديك أولًا، وارفعي كفيك إلى أعلى".

فقالت: "وإذا رفضت؟".

قال: "يمكن أن نزج بكِ في زنزانة الاحتجاز الباردة مع أربع عشرة أو خمس عشرة سجينة غاضبة، إلى أن نحصل على أمر المحكمة".

تدخلت فيليس تشيس الحنون قائلةً: "بريانا، إن رفض إجراء اختبار فحص آثار البارود ينم عن أنكِ تخفين شيئًا؛ فإذا لم تكوني قد أطلقت النار عليه، فإن هذا سيبرئك. ألا تريدين ذلك؟!".

كانت يوكي تعلم أن بريانا لم تُبرَّأ بشكل كامل؛ إذ من الممكن أنها كانت ترتدي قفازًا، وتخلصت منه، وربما تكون قد غسلت يديها قبل أن يقبض عليها مارتينيز وتشيس.

سوف يقول المسدس الحقيقة.

قالت هيل، وهي تمد يدها: "حسنًا. تفضل ها هي ذي".

وضع مارتينيز القفازات الجلدية، وطبَّق الاختبار، ثم خرج من الحجرة تاركًا تشيس بمفردها مع هيل شديدة الاضطراب.

كانت تشيس تقول: "سوف تجرين مكالمة هاتفية في غضون وقت قصير يا بريانا. يجب علينا أولًا استئناف الاستجواب".

قالت بريانا: *"لم أطلق عليه النار!"*.

"لديك مسدس يا عزيزتي، وبه ذخيرة. لقد خالفت قواعد إطلاق سراحك".

قالت بريانا: "يا إلهي! لا! رجاء لا تعيدوني إلى السجن!".

فُتح باب غرفة الاستجواب، ودخل اثنان من رجال الشرطة.

قالت تشيس: "قفي يا بريانا. ضعي يديك خلف ظهرك".

شاهدت يوكي رجلي الشرطة يصفِّدان المرأة التي لن يكون لها أي مستقبل واعد بعد الآن".

كانت هيل تبكي، وهي تَنْقَاد إلى الخارج. وأدارت رأسها لتنظر إلى تشيس.

ثم قالت: "لماذا يحدث هذا لي؟ لا! صدقوني. إنه يلفق لي التهمة. لقد أوقع بي *ثانية*".

جاء مارتينيز إلى غرفة المراقبة وقال ليوكي: "سيدة كاستيلانو، إن اختبار فحص آثار الباورد سلبي. سنرسل المسدس وملابسها إلى المختبر لإجراء الفحص عليها".

"شكرًا مارتينيز. ما رأيك؟".

هز كتفيه قائلًا: "إنها في حالة مزرية، وأنا أشفق عليها، لكنني لا أثق بها".

فقلت له: "تحقق من أشرطة الأمن في المبنى الذي توجد به شقتها، وفي الصالة الرياضية. وتأكد إن كانت ستدعم حجتها أم لا".

اتصلت يوكي ببرادي، وكان الوقت بعد منتصف الليل، ورد عليها وهو في حالة من عدم التركيز.

سألته يوكي: "هل أنت نائم؟".

فقال: "كنت نائمًا. أين أنتِ؟".

فسألته: "هل تمانع في تسخين المكرونة؟".

فرد قائلًا: "المكرونة؟ يا إلهي! لقد نسيت".

فقالت مستاءة: "لا فائدة منك يا برادي. هل تعلم ذلك؟".

لقد قامت بتفقد المنتجات الموجودة في آلة البيع في الطابق الثاني، وأنفقت أربعة دولارات على طعام يمتلئ بالسكر والكربوهيدرات قبل أن تذهب إلى الطابق السفلي حيث سيارتها. ثم تحركت بالسيارة، وكانت في غاية الاستياء عندما وصلت إلى المنزل.

الفصل 62

هُرعت أنا وكونكلين إلى مكتب برادي دون دعوة منه، في صباح اليوم التالي لمقتل ميلي كوشينج.

لم يكن لحزني وشعوري بالمسئولية مكان في هذا الاجتماع؛ لذلك قدمت تقريري فحسب، بينما احتفظت بأفكاري الشخصية لنفسي. وانتهيت من تقديم تقريرنا بقولي: "إننا سنفحص اليوم ملاجئ المشردين فحصًا دقيقًا للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات عن ميلي، وأصدقائها، وأعدائها، وعاداتها. وسنبحث عن عائلتها، وما إلى ذلك".

ثم أضفت: "إننا في حاجة إلى المساعدة. يمكننا الاستعانة بناردون وأنتوني، وكذلك تشي وماكنيل، وأي متطوعين آخرين. لقد اتصلت بستيفينز كما اقترحت".

وافق برادي على طلب المساعدة، ثم قال: "كونكلين. أود التحدث إلى بوكسر على انفراد لحظةً".

عندما أصبحنا بمفردنا، قال: "لقد تلقيت مكالمة من هون".

شعرت ببعض الخوف، *ماذا سيحدث الآن؟* فأمسكت بذراعي مقعدي، وقلت: "حقًّا؟".

قال: "لقد قدم ستيفينز شكوى ضدك".

فقلت في اندهاش: "*ضدي*؟ ما الشكوى بالضبط؟".

فقــال: "التدخل في مســرح جريمته. تخطي التسلسل القيــادي. ستعرفين هذا بنفسك".

قلت: "كيف ذلك؟".

قال: "يعقد هون جلسة للنظــر في شكوى ستيفينز ضدك والعكس صحيح. بعد ذلك سيرسل هو واللجنة توصيتهما إلى الرئيس".

فسألته: "متى يفترض أن يحدث هذا؟".

فأجــاب قائلًا: "صباح يــوم الخميس. في قسم الشئــون الداخلية في تمام التاسعة".

فسألته: "هل تقصد غدًا؟".

فقال: "أخشى ذلك".

لــم أسمــع قط من قبل عــن جلســة استماع وجهًــا لوجه في قســم الشئون الداخليــة. لم أكن أعرف ما ينتظرني، ولكن مــا كنت أعرفه هو أنني قد وقفت في وجه ستيفينز من قبل، وسأفعلها مجددًا.

قال بــرادي: "سيحــدد جاكوبي الإجــراء التأديبــي، إن وجــد؛ لذلك فمن الممكــن إسقاط التهم، ومن الممكن حصرك في الأعمال المكتبية، أو إيقافك عــن العمــل، أما إن ثبــت أن ستيفينز يخرق القانون، فهــذا وضع آخر. وفي كل الأحوال... سيتضح كل شيء في النهاية".

ثم هزَّ رأسه.

كنــت أعرف مــا كان يفكر فيــه: *لقد أخبرتــك بذلك*. كنت أتمنــى لو أنني استمعت إليه.

قــال برادي في إشــارة إلى الملازم الشهير في القســم المركزي عن قسم جرائم القتل: "سيكون ليفانــت موجودًا، وأنا أيضًا. يحق لك الإنابة؛ لذلك إذا كنت تريدين محاميًا أو ممثلًا من النقابة، فعليك إجراء اتصالاتك".

كنــت قد خططــت للعمل في الأسبــوع التالي كاملًا على قضيــة مقتل ميلي كوشينــج. وسوف تتطلب أعمــال التحريات التنقل من مكان إلــى آخر، وسأبدأ مــن الصفر. لم أكن أعرف أيضًــا إن كان اسم مخبرتي ميلدريد أم ميليسنت، أم كان اسم ميلي كوشينج اسمًا مزيفًا من الأساس.

والآن، سيُقاطع التحقيق في هذه القضية بسبب جلسة قسم الشئون الداخلية.

سألت: "إذا اتخذ قسم الشئون الداخلية موقفًا ضدي، فماذا سيحدث لقضية كوشينج؟".

نظر إلى العديد من أكوام الأوراق العالية على مكتبه، ومد يديه قائلًا: "الأمر متروك للرئيس. والآن اتركيني مع كل هذا من فضلك".

فخرجت.

الفصل 63

كان الوقت هو الصباح الباكر في مولينا ري، وكان شعاع الشمس يخترق النوافذ المواجهة للجنوب.

في غضون ساعة، سأعرض قضيتي على رئيس لجنة من قسم الشئون الداخلية. كنت لا أزال في ثياب النوم. ودون علم جو، كنت أتقيأ في ذلك الصباح، وفي أثناء وقوفي في الحمام، قمت ببعض العمليات الحسابية الأولية، فأخذت أحسب الأيام والأسابيع منذ أن أقمت أنا وجو علاقة حميمة في فترة التبويض.

كانت حساباتي غير دقيقة.

ربما لم أنتبه في أحد الصباحات التي كنت غافية فيها، أو أخطأت في حساب فترة الطمث. كان من الواضح أنني ارتكبت خطأ بطريقة ما، وكنت حمقاء، أو بالأحرى؛ حمقاء حبلى.

ارتديت رداء جو فوق ملابس نومي، وذهبت إلى طاولة المطبخ، حيث أعد طبقًا من الخبز المحمص بالزبدة، وبرطمانًا من مربى التوت، وكوبًا من الشاي.

قال جو لي: "اجلسي يا ليندسي. كم بيضة تريدين؟".

فأجبت قائلة: "ولا واحدة. شكرًا. إنني متوترة بعض الشيء بشأن جلسة الاستماع".

ارتشفت الشاي، وقضمت قطعـة من طرف الخبز المحمص. وفكرت فيما إذا كان هنـاك وقت متاح للذهـاب إلى الصيدلية، وإحضار جهاز كشف الحمل المنزلي.

رأى جو أنني كنت شاردة الذهن.

فقال لي: "تحدثي معي".

فقلت له: "تحتاج مارثا إلى فحص شامل".

فقـال: "سأتصـل بالطبيب البيطري. مـا الذي يقلقك بشـأن مقابلة قسم الشئون الداخلية؟".

فأجبته قائلة: "لنواجه الأمر، إنني متوترة يا جو. سوف يحاول ستيفينز أن يدمِّرنـي، لكننـي أعرف ما رأيته. ونيتي طيبة، وإذا لـم يكن ذلك كافيًا، فماذا عساي أن أفعل إذن؟".

خرجـت جولي من غرفـة نومها، ودخلت غرفـة المعيشة الكبيـرة، ملوِّحة بذراعيها، وهي تصدر صوتًا أشبه بصوت الطائرة. تحفز جو، واستعد للتحرك من فوره إذا سقطت.

قال: "جوووليييي، تعالي إلى أبيكِ".

خفضـت جناحيها، وعدلت مسارها، وتوجهت الطائرة ذات الشعر المجعد إلى ركبتي والدها، وبعد أن صعدت إلى حضن جو، قلتُ له: "إذا وجدت اللجنة أننـي قد تجاوزت حدودي، فسيترك أمر تحديـد العقوبة لجاكوبي. لقد أنقذت حياته ذات مرة، لا تنسَ".

قـال جو وهو يمسك بيدي، ويشد عليها: "أعرف. ستبلين بلاءً حسنًا. إنني أثق بذلك. اتصلي بي عند انتهاء الأمر".

فرددت قائلة: "سأفعل".

نهضت وصافحته، وانحنيت لتقبيل ابنتي، وأنا أفكر كيف ستتأقلم مع كائن صغير في المنزل، سيستحوذ على انتباهي، وأفكر فيما سيحدث معي ومع جو؟ وكيف يمكن لطفل جديد أن يؤثر في وظيفة جو المنتظرة، وكذلك في وظيفتي؟ على افتراض أنني سأظل في وظيفتي.

غادرت الغرفة التي نستخدمها كمطبخ وغرفة طعام وغرفة معيشة، وذهبت إلـى خزانة غرفة النـوم. وأشعلت الضوء، وحدقت إلـى خزانة ملابسي. كانت مجموعـة كبيرة من القمصـان البيضاء ذات الأزرار معلقـة إلى جوار فستاني

الأحمر الطويل، واثنا عشر زوجًا من السراويل الزرقاء والسوداء والكاكي، وثلاث سترات زرقاء وأخرى رمادية في حقيبة مغسلة التنظيف الجاف، بالإضافة إلى زوج من السراويل من اللون الرمادي الداكن.

اخترت الرمادي.

وضعت مساحيق التجميل بيد شديدة الحذر، بل مرتعشة، ثم قدت سيارتي إلى شارع براينت ٨٥٠، ووصلت في الثامنة وأربعين دقيقة. ثم أوقفت سيارتي في الجهة المقابلة من الشارع، وراوغت السيارات لأعبر الشارع، فقد كانت الإشارة خضراء، ودخلت المقر، ومررت عبر حواجز الأمن دون أية عوائق.

نقلني المصعد إلى الطابق الخامس، ولم أكن قد التفت إلى أي شخص أعرفه. كان ذلك جيدًا بالنسبة إليَّ، فلم أكن في حالة مزاجية تسمح بإجراء محادثة مع أي شخص.

كنت قد تدربت على شكواي في عقلي، ولكن عندما انزلقت أبواب المصعد، وفُتحت في الطابق الخامس، صار عقلي خاويًا.

لم أعد أتذكر ولا حتى جملتي الافتتاحية.

الفصل 64

كانت الأبواب المزدوجة لغرفة جلسة الاستماع في قسم الشئون الداخلية مفتوحة، على مصراعيها، على البهو.

وما إن عبرت عتبة الغرفة، حتى استعدت قواي.

كانت الغرفة المطلية باللون الأبيض تخلو من أية زخارف. كانت أضواء السقف العلوية عبارة عن مصابيح من الفلورسنت. وكان كل من عَلَم ولاية كاليفورنيا وعلم الولايات المتحدة الأمريكية يلاصقان طاولة اللجنة الخشبية الطويلة في الجزء الأمامي من الغرفة.

وقف هون يتحدث إلى رجل لم أكن أعرفه.

وكانت هناك طاولتان مواجهتان في مقدمة الغرفة في منتصف الطريق إلى المدعين، وكانت كاتبة العدل جالسة في أحد الجوانب إلى طاولتها. ولم يكن ستيفينز، أو ممثل النقابة، أو برادي موجودين.

تم وضع صف من الكراسي القابلة للطي في الجزء الخلفي من الغرفة. نظرًا إلى السرية المعروف بها قسم الشئون الداخلية، فلم يكن هناك ركن خاص للصحافة، أو للفضوليين، أو لأية أطراف أخرى قد تهتم بهذا الأمر.

اهتز هاتفي.

مددت يدي إلى جيب سترتي، وتبينت هوية المتصل قبل الرد. كانت كارول هانا، ممثلة النقابة الخاصة بي. لقد أرسلت إليها بريدًا إلكترونيًّا، وتركت لها بضع رسائل، ولكنها لم تعاود الاتصال بي. كانت كارول محامية قوية ونشطة، وسيكون من الرائع أن تجلس إلى جانبي، ولو لم تتفوه بكلمة واحدة.

أخذت هاتفي إلى الجزء الخلفي من الغرفة، وتوجهت إلى إحدى الزوايا، ثم قلت مطمئنة لخصوصية كابينة الهاتف التي تخيلت أنني أقف بداخلها: "كارول؟ أين أنت؟".

"إن كنت مُصرة على معرفة مكاني، فأنا على متن سفينة بخارية تبعد نحو عشرة أميال من ساحل النرويج".

فقلت في اندهاش: "ماذا؟ مستحيل. هل هذا حقيقي؟".

فأجابت قائلة: "أجل. أتمنى أن أرى حيوان الرنة قبل أن ينقرض. ما زلنا في الليل هنا".

قلت: "يا إلهي! لا. أعني. هذا أمر جيد".

لكن الأمر كان سيئًا بالنسبة إليَّ، فقد تحطمت آمالي أمام ساحل النرويج المتجمد.

كان صوت كارول مشوشًا وهي تسألني: "إنك لم تقتلي أي شخص، أهذا صحيح يا ليندسي؟".

فأجبتها قائلةً: "أجل، لم أرتكب أية جرائم. حسنًا، باستثناء أنني أغضبت الرقيب ستيفينز أشد الغضب".

قالت كارول: "قرأت بريدك الإلكتروني، وأقول لكِ إنك قد فعلت الصواب، وهذا هو سبب وجود قسم الشئون الداخلية. كل ما عليكِ هو تذكر من أنتِ؛ فأنت شرطية *رائعة* تستحقين الكثير من الثناء. قولي الحقيقة كاملة، ولا تبكي".

فقلت ضاحكةً: "حسنًا. لا بكاء إذن؛ أرسلي تحياتي إلى رودولف وبليتزين والباقين".

شعرت بخيبة أمل؛ لأن كارول لن تكون هنا إلى جانبي لتؤازرني، لكن خوفي من البكاء أمامهم أقل من خوفي من تقيؤ فطوري. ودعت كل منا الأخرى،

وأغلقت الخط. ثم استدرت في اللحظة التي دخل فيها ستيفينز إلى الغرفة مع محاميه.

كان هذا الرجل الخسيس، الذي كان رفيقًا لوالدي في الماضي، يرتدي ألوانًا لطيفةً. وقد بدا أنيقًا على الرغم من بطنه الكبير إلى حد ما، وشعره الذي صفّفه على أحد جانبي رأسه؛ كان يبدو لطيف المظهر، كما أنه كان يتمتع بوجه صادق؛ تبًّا لذلك.

أما أنا، فعلى صعيد آخر، كنت أرتدي حذاءً باليًا، وكنت في حاجة إلى تصفيف شعري، كما كنت أشعر بالغثيان.

جلست إلى الطاولة اليمنى من طاولات أصحاب الشكاوى، وطويت يديَّ أمامي. وجلس ستيفينز ومحاميه إلى الطاولة الواقعة في الجانب المقابل من الممر. اتخذ كبار ضباط قسم الشئون الداخلية مقاعدهم في المقدمة. وجلس هون في المقعد الأوسط بين رجلين رُسمت على ملامحهما تعبيرات صارمة، ويرتديان سترتين وربطتي عنق.

جاء برادي من خلال المدخل وهو يرتدي زيه المعتاد المكون من الجينز بالكامل، لكنه كان يرتدي ربطة عنق. أومأ إليَّ، وأخذ مكانه في أحد الكراسي المطوية ورائي. كما فعل كريس ليفانت من وحدة مكافحة جرائم القتل في القسم المركزي مثلما فعل.

خيم الصمت على قاعة غرفة الاستماع، وتحدث هون قائلًا إن المحققين من فرقتي مكافحة جرائم القتل، قد قدم كل منهما شكاوى ضد الآخر. وقال إن كل صاحب شكوى سيتكلم، وستطرح اللجنة أسئلة إذا لزم الأمر، وبعد الجلسة سيخلصان إلى توصية سيتم إرسالها إلى الرئيس جاكوبي.

كان قلبي يخفق في تلك اللحظة، وكأنني أعدو. كان اجتماعي الذي لم يكن مخططًا له مع برادي وجاكوبي قبل ثلاثة أيام صعبًا، ولكنه كان آمنًا. وكان هون لطيفًا، وأوشك على الاقتناع بوجهة نظري عندما قابلته منفردًا، لكن كان هذا الحوار جادًّا؛ فلم تكن هناك مساحة للمناورة فيه، أو التراجع، أو الاختباء.

تذكّرت كلامي الذي تدربت عليه، وحمدًا لله، فقد تذكرت الجملة الأولى. كنت آمل أنه بمجرد أن أبدأ، أن تتكشف ملامح قصة جرائم القتل التي لم تُحل دون حدوث أية عوائق.

كان فمــي جافًّا، والأضواء اللامعــة تتلألأ أمام عينيَّ. شعرت بوجود برادي خلفي، وقد خلا وجهه من أية تعبيرات.

وقــد أخبرنــي بأن أســوأ سيناريو قد يحــدث في هذه القضية هــو اقتصار وظيفتي على الأعمال المكتبية، أو الإيقاف عن العمل مدة ثلاثين يومًا، لكنه لم يكــن على صواب فيما قاله؛ لأن أسوأ سيناريو هو شلال الخزي والإهانة الناتج عن توجيه تهمة إلى شرطي آخر، وخسارة المعركة أمامه.

الفصل
65

تحدث هون من مقعده في الجزء الأمامي من الغرفة.

فقال: "الرقيب بوكسر. إذا كنت مستعدةً، يمكنك البدء".

قلت: "شكرًا لك أيها الملازم. أَنا هنا اليوم ...".

فقاطعني قائلًا: "رجاءً، قفي أيتها الرقيب".

فاستجبت لطلبه. كانت أرجل مقعدي تصدر صوتًا عاليًا على الأرض، وتلاشت الغرفة حولي. وقفت ثابتةً أمام الطاولة، وركَّزت بصري المشوش على ملازم قسم الشئون الداخلية ذي الشعر الرمادي. وذكَّرت نفسي بكلمات كارول هانا. *أنت شرطية رائعة، هذا هو سبب وجود قسم الشئون الداخلية. لا تبكي.*

أخذتُ نفسًا، وبدأت كلامي مرة أخرى.

"قبل شهر تقريبًا، قصدتني امرأة مشردة اسمها ميلي كوشينج؛ لتخبرني بأن رجلًا هي تعرفه قد أُطلق عليه النار في الشارع. كان اسمه جيمي دولان، وقد كان شاعرًا وصديقًا لها، وأخبرتني بأن أشخاصًا آخرين ممن لا مأوى لهم قد قُتلوا بالقرب من الأماكن التي يتجمعون فيها غالبًا. وقد أخبرتني ميلي بأن الشرطة لا تأخذ هذه الجرائم على محمل الجد، وأنه لم يحدث أن تم اعتقال أو استجواب أي أحد. كانت خائفة على صديقاتها، وعلى من تعرفهم من المشردين، وطلبت مني المساعدة.

لـم أكن أعرفها، لكنها بدت مخلصـة وذات كفاءة ذهنية. لقد وعدتها بأن أبحث في جرائم القتل هذه. لم أكن أتوقع أنني سأتورط فيها، ولم أكن أتصور أنـه بعد أسابيع فقط من إمساك ميلي كوشينج بذراعي أمام السلالم الأمامية لهذا المبنى، أن تصبح هي نفسها ضحية".

أومأ هون. كنت أسير بوتيرة جيدة؛ لذلك واصلت كلامي.

ثـم أخبرت اللجنة بإطلاق النـار على لورا راسل على رصيف ٤٥، وبإطلاق النار بطريقة مماثلة على الضحية المجهولة في شارع جيري، التي سجلت باسم جيـن دو. ورسمـت مخططًا أوليًّـا لمسارح الجريمة الفاسـدة، وهذا ما جعلني العنصـر الأساسي، فـي الواقع، في هـذه القضايا، بينما كنـت أنتظر ساعات وصول الرقيب ستيفينز وشريكه، وذكرت أنه على الرغم من أنني قدمت نفسي إلى ستيفينز، فإنه لم يكن يريد مساعدتي.

"كان يقول لي في كل مرة: "لا تقلقي؛ فالأمر تحت السيطرة".

لقـد قدمت تقريـري، وبحثت في التقدم الذي تم إحـرازه في قضايا القتل هذه. وعلى حد علمي، لا يوجد مشتبه بهم، ولم يُقبض على أي شخص، ونظرًا إلـى أن مخبرتـي السرية قد قُتلت منذ نحو ٣٦ ساعـة في الجانب الجنوبي من شـارع ميشـن بالقرب من سبير، فأنـا وبشكل رسمي أعد عنصـرًا أساسيًّا في قضيتها".

قال هون: "قولي في جملة أو اثنتين، ما شكواك ضد الرقيب ستيفينز؟".

فقلـت: "إنه لـم يعمل على هـذه القضايـا بالسرعة المطلوبـة. ربما لو لم يكـن هؤلاء الضحايـا مشردين، أو إذا كان أفـراد عائلاتهم قد قدموا بلاغات بغيابهـم، لحظيـت تلك القضايا باهتمام أكبر، بل ربمـا بقيت تلك المرأة التي كانـت تقوم بواجبها المدني من خلال مجيئها إلـى الشرطة، على قيد الحياة، ولربما كان هذا القاتل المحترف رهن المحاكمة".

ثم قلت: "شكرًا"، ثم جلست.

سمعت هون يدعو ستيفينز، طالبًا منه التحدث.

لم تكن لديَّ أية فكرة عما يمكن توقعه، لكنني كنت متأكدة أنه لن يرسل لي بالقبلات عبر الممر.

الفصل
66

وقف الرقيب جارث ستيفينز، ووضع يديه في جيبيه، وابتسم.

بدا هادئًا، ورابط الجأش، وواثقًا، وكأنه لم تكن هناك جريمة قتل مروعة للغاية، أو أن هناك اتهامًا موجهًا ضده يزعجه ويعكر صفو مزاجه؛ كأنه لم تكن لديه أية مشكلات على الإطلاق.

قال: "أيها الملازم هون، السادة الأفاضل، يمكنني تلخيص المسألة بكاملها. أعمل أنا وشريكي إيفان موران في نوبة العمل الليلية في القسم المركزي، في وحدة مكافحة جرائم القتل. خلال الأشهر الستة الماضية، تم إطلاق النار على عدد من الأشخاص في بعض مناطق تجمع المشردين، مثلما صاغت الرقيب بوكسر الأمر. لقد عملنا في سبع قضايا من هذا النوع.

وفي أثناء استدعائنا إلى جرائم الشوارع تلك، كان يتم الاتصال بنا أيضًا للحضور إلى عمليات قتل تقوم بها العصابات، وجرائم قتل أسرية، وإطلاق النار في متاجر الشراب، وحوادث الاصطدام والهروب. وفي اليوم ذاته الذي وقعت فيه جريمة القتل في شارع جيري، كان قد تم استدعاؤنا إلى منزل أغرق فيه صبي في الخامسة من عمره شقيقته الرضيعة.

باختصار، لقد كنا مشغولين، وأنهينا ٧٠٪ من قضايانا، وهذا يعد مستوى عاليًا من الإنجاز بالنسبة إلى قسم الشرطة في سان فرانسيسكو. إننا لم نحرز تقدمًا مماثلًا في جرائم قتل المشردين، ولكن ذلك ليس لأننا كنا نائمين في

سياراتنا، ولكن لأن فريقنا فريق صغير، وأحيانًا يواجهنا عجز في الكوادر. كنا نصل إلى مسارح الجرائم بأسرع ما يمكننا، ونعمل في مسارح الجرائم على نحو احترافي.

لقد قدمت تقريري، بالإضافة إلى تقارير الضباط الأوائل الذين حضروا إلى مكان الحادث، وهيئة التحقيق في مسرح الجريمة، والطب الشرعي. وقد كان الملازم ليفانت مطلعًا على كل المستجدات في جميع القضايا، ولم يرني أنا أو شريكي متهاونين قط في أي منها.

إذا جاز لي ذلك، أود أن أطرح افتراضًا عن السبب في أن تدفع هذه السلسلة من الجرائم -التي من المحتمل أن يكون بعضها ذا صلة ببعض- الرقيب بوكسر إلى هذا الاتجاه".

قال هون: "أكمل".

قال ستيفينز: "حسنًا. كنت رئيسًا لقسم علم النفس عندما ذهبت إلى فوردهام. وبالترقي أصبحت ضابط شرطة في قسم شرطة سان فرانسيسكو. وفي تلك الأيام الأولى كنت صديقًا لمارتي والد الرقيب بوكسر، وكنت أعرف ليندسي عندما كانت طفلةً".

فقال هون: "هل يمكن أن نسرع وتيرة الكلام يا ستيفينز؟".

فقال: "أجل يا سيدي. إن الرقيب بوكسر لم تكن على وفاق مع والدها، ولم يكن ذلك مجرد شائعة، بل كان أمرًا معروفًا، وربما لديها أسباب وجيهة لذلك. وأيًّا كانت أسبابها، فقد صبت غضبها من مارتي بوكسر عليَّ. أظن أنها عندما تراني، تستشيط غضبًا فجأةً".

وقد كان ستيفينز صائبًا في قوله. إنني أستشيط غضبًا عند رؤيته، بل تغلي الدماء في عروقي من شدة الغضب.

قال هون: "حسنًا. أشكرك يا ستيفينز".

قال ستيفينز: "هناك شيء آخر. إنني أطالب بتحويل قضية كوشينج إلى القسم المركزي؛ فأنا وشريكي على دراية بهذه السلسلة من عمليات إطلاق النار، ومن ثم لدينا فرصة أفضل لإنهاء الكثير منها إذا حصلنا على جميع المعلومات".

فقال هون: "تم أخذ هذا في الاعتبار".

ثم جلس ستيفينز.

بطريقـة مـا انتهت الجلسة، وغـادرت الغرفة بكامل إرادتـي، واتجهت إلى غرفة الفرقة نزولًا على السلالم.

كان كونكلين موجودًا.

فسألني قائلًا: "كيف سارت الأمور؟".

قلت له: "ليست لديَّ أية فكرة على الإطلاق".

الفصل 67

عندما فتحت باب مطعم ماكبين، غمرتني ضوضاء زبائنه.

في معظم الأيام يذكّرني الضحك والضجيج الشديد بالأوقات الجيدة التي قضيتها في هذا المكان، ولكن ليس اليوم.

اليوم أنا في حاجة إلى رؤية كلير.

بحثت عنها على أمل أن تكون موجودة إلى الطاولة الصغيرة بالقرب من النافذة، ثم قامت النادلة بالنقر على كتفي، وأشارت إلى أحد الاتجاهات، فاتبعت أصبعها بعينيَّ. كانت كلير جالسة إلى طاولة في الخلف، يختبئ نصفها خلف المشرب.

اخترقت الحشد بقدميَّ وكتفيَّ، وشققت طريقي نحو أعز صديقاتي.

صاحت عندما رأتني: "إنني أتضور جوعًا".

لم يكن الطعام في قائمة اهتماماتي العشرين الأولى، ولكنني قلت: "فلنطلب إذن. ما الذي يجعلنا ننتظر؟".

ابتسمت كلير، ولوحت إلى النادلة، ثم صاغت طلبنا بأكثر الصيغ اختصارًا: "المعتاد"؛ أي البرجر الفاخر، وطلب مزدوج من البطاطس المقلية.

قالت النادلة: "أنصحكما بتناول تاكو السمك".

قالت كلير: "ربما في وقت آخر".

وضعت مرفقيها على الطاولة، وفعلت مثلها، فاتكأت كلتانا عليها؛ حتى يتسنى لنا التحدث دون أن نضطر إلى رفع صوتينا.

قالت كلير: "إذن، ما الحكم؟".

كانت تسأل عن قرار قسم الشئون الداخلية. فقد كانت تعرف أنني معرضة للخطر، فهل سأوقف عن العمل مدة شهر، أم سيحدث ما هو أسوأ؟ هل تم تجاهل شكوى الرقيب ستيفينز؟ مَن سيتعقب الشخص الذي قتل المشردين في مدينتنا؟

والآن عرفت الإجابات عن كل ما سبق. أخبرت كلير قائلة: "يقول برادي إن اللجنة أوصت بعدم اتخاذ أي إجراء".

سألت: "لن يُتخذ أي إجراء ضد أي شخص؟ هذا أمر رائع، أليس كذلك؟!".

فأجبت قائلةً: "نعم ولا. لن ينال ستيفينز عقوبة ولا أنا؛ لذا هذا يجعلني أشعر بأنني دمرت هذا الأمر برمته، ومن أجل ماذا؟ "عدم اتخاذ أي إجراء"؟".

قالت كلير: "حسنًا. فهمت الأمر، لكنك لست مخطئة. هذا هو ما آلت إليه الأمور؛ لذلك ابذلي قصارى جهدك في قضية كوشينج".

أفضل ما استطعت القيام به كان تحت ضغط كبير. لقد ضاع الوقت. القاتل كان شبحًا من نوعية فتاكة. إن القتلة المحترفين لديهم طرق عمل متميزة. فلدى البعض منهم نوع ضحية مفضل، أو طريقة قتل، أو موقع مفضل. ولدى البعض علامات فريدة؛ ما بين علامات تترك على الجثث، أو طرق التخلص منها، أو رسائل إلى الصحافة.

تتمثل طريقة عمل هذا القاتل في إطلاق النار على مشرد أعزل عاجز عن الدفاع عن نفسه من مسافة قريبة في الظلام، وفي مكان لا توجد به كاميرات مراقبة، ثم *فجأةً* يختفي القاتل دون أن يراه أحد.

إن هذا الشخص المريض نفسيًّا كان قريبًا جدًّا من ضحاياه؛ ومن ثم فإنهم لم يكونوا خائفين منه، فلم يصرخ أحد، أو يركض، أو يقاتل. ربما كان يعرفهم. ربما كان واحدًا منهم.

ولكن ما من دليل!

نحتاج إلى دليل، ولو كان دليلًا واحدًا: سواء أكان مقطع فيديو، أم بصمة، أم رصاصة مرتبطة بمسدس مسجل في قاعدة بياناتنا، أو إفادة شاهد، أو بلاغ من مجهول. لا بد أن أحدهم يعرف *شيئًا*.

لم أكن أعرف كيف أقبض على هذا الشبح، لكنني اضطررت إلى ذلك؛ فقاتل ميلي يجب ألا ينتصر.

الفصل
68

قالت كلير في محاولة لجذب انتباهي مرة أخرى إلى الحاضر: "مهلًا ... مهلا".

وضعت النادلة الأطباق أمامنا، قائلة: "طبقان مميزان، ومعهما كل الإضافات. هل هناك شيء آخر تودان أن أحضره لكما أيتها السيدتان؟".

قالت كلير، وهي تمسك بزجاجة الكاتشب: "شكرًا لك، هذا يكفي".

أخذت أحدق إلى البرجر والبطاطس المقلية، فكنت أراها وكأنها كائنات فضائية مقززة الشكل.

لاحظت كلير نفوري من الطعام، وقالت: "رويدك، ليندسي. ما خطبك؟ أنت فتاة ذات شهية مفتوحة دومًا، ولكن يبدو لي أنك قد فقدت بعض الوزن. ما وزنك الآن؟ هل أصبح مقاسك أربعة؟".

قلت، وأنا أمد يدي إلى حقيبتي، وأخرج كيسًا ورقيًّا أبيض، وأسلمه إلى كلير: "يجب أن أتحدث إليك عن هذا الأمر".

فسألتني، وهي تحدق إلى الكيس: "ما هذا؟ يا إلهي! أهذا حقيقي يا ليندسي؟!".

فقلت لها: "أحتاج إلى وجودك بجانبي".

فسألت: "هنا؟".

فقلـت لهـا: "لا يوجد مكان آخر أفضل من هنا يـا فراشتي. ولا أحد غيرك أود أن أكون معه".

قالت كلير مبتسمة: "وأنا أيضًا أحبك".

طلبـت مـن كلير أن تواصل تنـاول طعامها، وقضمت أنـا لقيمة صغيرة من طعامـي. عندما انتهينا من تناول كل ما في أطباقنا، ودفعنا الحساب، تخطينا أنـا وكلير آلـة السجائـر، والهاتـف القديـم المعلـق متوجهين إلـى مرحاض السيدات.

أخـذت جهاز كشف الحمـل المنزلي في إحدى حجيـرات الحمام. اهتزت يـدي وسقطت ورقة التعليمات، لكنني أديت الإجراء، وبعد ذلك أحضرت جهاز كشف الحمل الصغير إلى حيث كانت كلير تنتظرني.

قالت كلير: "ما النتيجة التي تنتظرينها؟ إيجابية أم سلبية؟".

قلت: *"مهما كان ما سيحدث، سيحدث"*.

هـذه الجملـة هي ختام أغنية فرنسيـة قديمة، اعتادت أمـي أن تغنيها لي. تخيلـت ملاييـن الأمهات، وهـن يغنينها إلى بناتهـن اللائي يتُقْـنَ إلى معرفة مستقبلهن.

انتظرت أنا وكلير ثلاثين ثانية، وأخذنا نحدق إلى جهاز الكشف عن الحمل.

قالت كلير وهي تفحص الجهاز: "انظري. لا يوجد سوى خط واحد، ستكون النتيجة سلبية".

لا بد أنني كنت أحبس أنفاسي؛ لأنني أخرجت زفيرًا طويلًا.

فسألتني: "هل أنتِ بخير يا ليندسي؟".

اتكأت إلى الحوض، وقلت: "لست مستعدة للحمل في الوقت الحالي يا كلير، ولكنَّ هناك *خطبًا* ما؛ فأنا أشعر بالإرهاق والاكتئاب والغيثان".

فسألتني: "منذ متى يحدث هذا؟".

فأجبت قائلة: "منذ الأسابيع القليلة الماضية".

وضعت يدها على جبهتي.

ثم قالت: "لا أشعر بأن حرارتك مرتفعة. متى ستزورين طبيبك؟".

قلت لها: "إنه مجرد إعياء. فقد كنت أعمل ليل نهار".

فقالت لي: "اتصلي بطبيبك يا ليندسي. أنا جادة فيما أقوله".

فقلت لها: "حسنًا".

فقالت: "اطلبي إجازة مرضية الآن. إنني آمرك بذلك؛ فأنا طبيبة".

اتصلت بغرفة الفرقة، وتركت رسائل لكونكلين وبرادي، ثم ذهبت إلى البيت، وتدثرت بالغطاء فوق السرير في الساعة الثانية بعد الظهر. أحدث جو وجولي ومارثا جلبة كبيرة حولي، فطمأنتهم، وحاولت تصفية ذهني.

غدًا. سأتصل بالطبيب غدًا.

ثم نمت.

الفصل 69

مـرَّ يومـان ونصـف اليـوم منـذ إطـلاق النـار علـى مـارك كريستوفـر، وكان القاضي راثبيرن قد وافق على التأجيل.

من المقرر أن يتم استئناف جلسة المحكمة بعد عشر دقائق من الآن.

جلست يوكي ومساعدها آرثر معًا على مقعد خارج قاعة المحكمة في انتظار وصول الشاهد الرئيسي.

قال مارك عندما تحدثت معه يوكي في الليلة الماضية: "أنا في حالة جيدة"، لكن نبرة صوته كانت مرتعشة. وكان لزامًا عليها أن تخبره بأنها لم يعد بوسعها تعطيل الإجراءات وقتًا أطول من ذلك.

إذا لم يحضر، فسيتعين عليها عرض الفيديو على هيئة المحلفين دونه؛ ما يقلل بشكل كبير من تأثيره.

قالت يوكي لمساعدها آرثر: "يقلقني عدم استجابته بالرد على الهاتف".

قال: "دعيني أتأكد منك أن ما فهمته كان صحيحًا. هل تم إطلاق النار عليه في فخذه؟ هل كانت طلقة واحدة فقط؟".

قالت: "أجل. طلقة واحدة اخترقت جسده".

فسألها: "ألم يتم تسليم الرصاصة؟".

قالت: "لا، حتى الآن".

قـال: "لذلك مـن الممكن أن تكون الطلقة قد أُطلقـت بشكل غير مقصود؛ فربما تكون طلقة عشوائية أطلقت من بعد شارعين".

فقالت: "أجل. هذا ممكن".

أضاف آرثر بعدما توقف فترة طويلة، قائلًا: "أو ربما كان لدى القاتل دافع؛ مثل تلك السفاحة التي يبلغ وزنها مائة رطل وترتدي بذلة أنيقة".

قالـت يوكـي: "إن السفاحـة لديهـا حجة غيـاب، ولا يوجد دليـل على أنها أطلقـت النـار عليه، وفي الواقـع لم تُطلق النـار من مسدسها مؤخـرًا، كما أن كاميرات الفيديو تدعم حجتها. وقد استطاع جيفتوس إقناع راثبيرن بخروجها مرة أخرى بكفالة، وتم إطلاق سراحها".

"ربما استأجرت شخصًا ليخيفه".

"حتى لا يشهد؟".

"لا أستبعد قيامها بذلك".

"وجهة نظر جيدة يا آرثر. لم تخطر ببالي".

فتح حاجب المحكمة أبواب القاعة.

قال آرثر: "هيا بنا. أود الجلوس في مقعد مناسب".

ابتسمـت يوكي. كان آرثر مرحًا، لكنه كان شديـد الذكاء أيضًا. إن ارتكاب جريمـة اغتصـاب، واستئجـار قاتـل مأجور، هما نوعـان مختلفـان تمامًا من الجرائم، ولكن لا يُستبعد أن يقوم شخص واحد بكليهما، فهل استأجرت بريانا قاتلًا لترهيب مارك؟ هل تعرض مارك في الواقع إلى الترهيب؟ ما نوع الشهادة التي سيقدمها اليوم؟

انضمت يوكي وآرثر إلى الحشد الداخل إلى قاعة المحكمة، وأخذا مكانهما إلى طاولتهما؛ بينما خطا جيفتوس خطوات واسعة نحو الممر الأوسط.

توقف إلى جانب مقعد يوكي.

قال: "خدعة متقنة أيتها المستشارة، لقد كتبت طلب الطعن بالفعل".

كان جيفتوس بالطبع غاضبًا من أن بريانا قد قُبض عليها، واحتُجزت طوال الليـل. إن هـذا الأمر قـد أضعف قواها، وثبـط همتها، وهذا يمكـن أن يجعلها شاهدًا ضعيفًا.

كانت يوكي حائرة بين قول: "لقد كان بحوزتها مسدس به ذخيرة يا رجل"، وأن تقـول: "افعـل ما يحلو لك أيهـا المحامي"، لكن جيفتوس كان على وشك

التحرك بالفعل. عبر مقصورة المحامين، وفتح الباب الجانبي المؤدي إلى الدرج الداخلي الذي يستخدمه موظفو المحكمة.

جاء مساعد جيفتوس من الباب برفقة بريانا هيل التي كانت ترتدي تنورة رمادية اللون، وسترة، وقلادة فضية.

وقد انطفأ بريق عينيها اللامعتين.

كانت هيل قد أخذت على الفور مقعدها بين محاميها، عندما دخل المحلفون إلى قاعة المحكمة، وشغلوا مقاعد مقصورة المحلفين. كانت القاعة صاخبة خلف يوكي بأصوات الحضور الذين كانوا يتحدثون، ويستقرون في مقاعدهم، ويضعون حقائب الحواسيب الخاصة بهم. بحثت يوكي عن مارك، لكنها لم تره، ولم تر والديه.

كان ذلك مثيرًا للقلق؛ فقد كانت الساعة التاسعة إلا خمس دقائق.

دخل القاضي راثبيرن من مدخله الخاص، وتوقفت الهمسات، ثم سمعت يوكي جلبة خلفها.

استدارت في مقعدها لترى حاجب المحكمة يحاول إغلاق الباب، فسمعت صوت رجل يتوسل، قائلًا: "لقد وصلنا هنا بأسرع ما يمكن، وله الحق في أن يكون حاضرًا".

تراجع حاجب المحكمة عن قراره، وفتح الباب. دخل مارك كريستوفر إلى قاعة المحكمة، وهو يعرج، متكئًا على عكازين بمساعدة والديه. فنهض رجل مسن في الممر ليعطي مارك مقعده. نظر مارك تجاه يوكي، فأومأت برأسها إليه، بينما كان يتخذ مقعدًا بشكل مربك في القاعة.

ومثل بريانا هيل، فقد غاب عن مارك مظهره الشبابي الآسر.

والآن بعد أن تعرض للإصابة الجسدية والصدمة النفسية، كان الستار على وشك أن يرفع عن مأساة حياته.

الفصل 70

كان القاضي راثبيرن جالسًا على مقعده.

جـال القاضي ببصره في أرجاء قاعة المحكمة، ثم طرق بمطرقته مرتين، ونقر على حاسوبه المحمول. وبعد تبادل بعض الكلمات مع كاتبه، قال: "السيدة كاستيلانو، يُرجى استدعاء شاهدك".

كانـت يوكي جاهزة، ولكن ما حال مارك؟ هل سيتحمل الألم والتوتر ويدلي بشهادته بنفسه على نحو محمود؟ أم أنه سينهار على منصة الشهود؟

يمكن أن يحدث كلا الأمرين.

كانت تشاهد مارك يستجمع قواه للوقوف على قدميه؛ ثم راح يعرج، وتحرك بيـن الحضور مثل طائر مائي طويل الأرجل، ذي جنـاح مكسور، عبر مقصورة المحامين بهذه الطريقة المحرجة، لافتًا انتباه كل فرد في قاعة المحكمة.

ربما سيثير شفقتهم أيضًا.

وبعـد أن أقسم مـارك على قول الحقيقـة الكاملة، رفع يـده على مقصورة الشهـود، وقـال: "شكـرًا"، ثم تخبـط بعكازه مفلتـًا إياه من قبضتـه، فارتطم بالأرض محدثًا جلبة قوية في أرجاء القاعة التي كان يعمها الصمت المطبق.

استعاد حاجب المحكمة العكاز، وسأل مارك عما إذا كان بخير.

قال: "بخير إلى حد ما".

كانت بداية درامية، فتمنت يوكي أن تجذب تعاطف هيئة المحلفين الذين سمعوا كثيرًا عن مارك، ولكنهم لم يروه على أرض الواقع.

نظرت يوكي إلى مارك، مثل أفراد هيئة المحلفين، كأنها تراه للمرة الأولى. كان لا يزال يبدو طالبًا جامعيًّا أصيب في إحدى مباريات كرة القدم. وبالإضافة إلى ساقه المصابة، كان يوجد خدش على وجنته بدءًا من الفك إلى منبت شعره، وكانت لديه بقع داكنة تحت عينيه.

عندما سقط في الشارع إثر إطلاق النار عليه، لا بد أنه هوى على وجهه بشكل عنيف.

أدارت يوكي الفيديو الذي يصور واقعة الاغتصاب الذي شاهدته عدة مرات، وسيتم عرضه خلال الساعة التالية أمام هيئة المحلفين، بينما يجلس مارك في مقصورة الشهود، تحت محط أنظار أفراد هيئة المحلفين الذين كانوا يقيِّمونه. عندما فكرت يوكي فيما تحمَّله مارك، شعرت بالأسف حياله، وتلاشى تشككها في مدى مصداقيته منذ أن حاول تقبيلها.

لقد تعرض مارك إلى الاغتصاب وإطلاق النار، ويتعين عليه الآن أن يبوح في غرفة يملؤها الغرباء بأنه كان مقيدًا في سريره، وتعرض إلى الاعتداء من قبل امرأة وزنها ١١٠ أرطال.

تركت يوكي مقعدها، وسارت إلى مكان يبعد نحو عشر أقدام من المنصة، وابتسمت إلى شاهدها.

قالت: "السيد كريستوفر، كيف حالك؟".

أصدر إشارة بيده توحي بأنه ليس في حال مثالية، ونجح في رسم ابتسامة واهنة على وجهه، وقال: "أنا بخير".

"يسرني سماع ذلك يا مارك، هل يناسبك أن أناديك بمارك؟".

"بالتأكيد".

"حسنًا يا مارك. هل بمقدورك إخبارنا بطبيعة إصابتك؟".

قال مارك: "تلقيت طلقة في فخذي".

"هل تعرف مَن أطلق النار؟".

"لم أرَ أي شخص؛ فقد كان الجو مظلمًا".

أدار عينيه إلى طاولة الدفاع، حيثما كنت تجلس بريانا هيل في صمت وثبات تنظر إليه. سواء أكانت عيناه تنظران إلى بريانا بشكل مقصود أم عفوي، فقد

كسب نقطة رائعة بل قوية؛ وهي أن بريانا هيل قد اغتصبته، فهل أطلقت النار عليه أيضًا؟".

سألته يوكي قائلة: "مارك، أخبرنا عن ليلة الحادي عشر من أكتوبر".

"من أين يجب أن أبدأ؟".

سألته يوكي مجموعة من الأسئلة التي تدربا عليها من قبل. أجاب بداية من ترك العمل في ذلك اليوم مع بريانا والذهاب إلى مطعم بالقرب من شقته كانا يتناولان فيه العشاء، وأن كليهما قد أفرط في الشراب في أثناء تناول الطعام وبعده.

سألته: "وماذا حدث بعد ذلك؟".

تنحنح مارك، وعندما تحدث مرة أخرى، بدا منكمشًا عند قوله: "هذا أمر غاية في الصعوبة، بل في الواقع هو أكثر الأمور إحراجًا التي تعرضت لها، فهو أمر يتجاوز الإهانة؛ حيث اضطررت إلى إخبار الشرطة به، وإخبارك، وكذلك السيد جيفتوس. وقد واجهت مشكلة في إخبار *الطبيب النفسي بذلك*".

هز رأسه وأمسك بعكازه؛ فظنت يوكي أنه قد يأخذها ويرحل.

بدأت يوكي تشعر بالقلق مرة أخرى. كان رأسها يعج بالأفكار؛ فماذا يمكن أن تفعل؟ هل تطلب مهلة؟ أم يجب أن تعلن انتهاء شهادة مارك وتقول: "لقد انتهيت من عملي هنا؟".

ولكنها قالت: "هل تحتاج إلى الراحة لحظة يا مارك؟".

فقال: "شكرًا، ولكن يجب عليَّ أن أنهي هذه المسألة".

الفصل
71

كان مـارك مستـاءً بشكل واضـح، ولكنه ظل في مقصورة الشهـود، وأشار إلى يوكي باستعداده لاستئناف شهادته.

فشجَّعته.

قالـت: "حسنًـا يـا مارك، فلنعُـد إلى اللحظـة التي كنت تشـرب فيها أنت والمدعى عليها في المطعم والكافيتريا. فأخبرنا بما حدث".

تنحنح مارك، ثم قال: "كانت بريانا متشبثة بي كثيرًا، وبعد العشاء اتخذت قـراري، وأخبرتهـا بأنني أفكر في ضـرورة التوقف عن مقابلـة كل منا الآخر، فغضبت لذلك كثيرًا".

لـم تستطـع يوكي إظهار ذلـك، لكنها كانـت تفكر، *ما هذا؟* مـا هذا الذي يقولـه؟ لم يخبرها مـارك بأنه حاول قطع علاقته ببريانـا. في الواقع، شهدت بريانا بأنها كانت تفكر في الانفصال *عنه*.

لماذا كان ينمِّق القصة؟

واصلـت يوكـي كأنها لـم تقع علـى مسامعهـا تلـك الأخبـار الجديدة من شاهدها، فقالت: "رجاءً استمر يا مارك".

فقـال مارك: "حسنًا، لقد حاولت أن أكـون عقلانيًّا معها، وتهدئتها، لكنها كانـت تبكي بشكل هستيـري. فقلت إن الوقت متأخر، وبـدأت طلب سيارة أوبر لهـا، ولكنهـا أصرت على أنها لا تريـد العودة إلى المنـزل بمفردها. واقترحتُ

مناقشـة هذا الأمر في الصباح، لكنهـا في الحقيقة كانت بحاجة إلى النوم في منزلي؛ لأنه الأقرب، ولأنها كانت ثملة للغاية".

قال مارك: "شعرت بشعور سيئ. لم أكن قد حذرتها من أنني أريد التوقف عن رؤيتها، ولم أستطع التخلي عنها على هذا النحو؛ لذلك وافقت، وذهبنا إلى شقتـي التـي تقع على بُعد مبنييـن. توقفت عن التفكير فيهـا، وبدلت ملابسي، وارتميـت علـى السرير. أمـا الشيء التالي الـذي أتذكره، فهـو أن بريانا كانت تناديني باسمي. رفعت بصـري، فوجدتها تحمل مسدسًا توجهه إليَّ، وتهددني بإطـلاق النار عليَّ إذا لم أمنحها -أعتذر عن لغتي- أفضل ما تريد في حياتها على الإطلاق".

كانت يوكي قد سمعت قصة مارك ثلاث مرات، إن لم يكن أربعًا، ولم يذكر قـط أن بريانا كانت في حالة هستيرية، كما أنه لم يستشهد بأية مطالب قالتها في الشريط. لماذا لم يقل ذلك بحق السماء؟

هل يقول الحقيقة الآن؟

لم يكن أمام يوكي خيار سوى أن تطلب من مارك الاستمرار، فقال: "كانت بريانـا في حالة غريبة جدًّا، لكن يدها كانت تقبض بقوة على المسدس. طلبت منهـا أن تكـف عن فعـل ذلك، لكنني كنـت خائفًا. إنها امرأة فـي غاية الحزم والقـوة، وأصبحت في ذلك الوقت تتصرف بجنـون، وتقول: "إذا كنت تريد أن تعيش، فمن الأفضل أن تثبت لي رجولتك ...".

هـز مارك رأسـه، وسالت الدموع على وجنتيه. قدم إليـه القاضي راثبيرن علبة مناديل ورقية.

بينما كان يكفكف دموعه، كانت يوكي تقول في نفسها: *ما هذا الذي يقوله؟* ربما كان مارك يحاول تعزيز قضيته، لكنه أضاف الكثير من التفاصيل الجديدة واللعينـة إلى قصته. لقد استجوبه جيمس جيفتوس من قبل، ومن شأنه الآن أن يفجر ثغرات كبيرة في شهادته.

أجـاب مارك أسئلة يوكي بذكره تفاصيل عـن ربطات العنق، واحتجاجاته، وشعوره بالرعب، وحقيقة أنه انتهز فرصة تسجيل هذه الجريمة.

قال: "مارست بريانا كل هذا معي ضد إرادتي. ظلت موجهةً المسدس إليَّ؛ حتى قيدت نفسي، وقامت ببعض الأشياء لإثارة غريزتي".

توقف عن الكلام، وتحولت عيناه اللتان حملتا نظرات تنم عن الشعور بالذعر نحو يوكي، ثم قال: "ثم قامت بالأمر؛ قامت بالاعتداء عليَّ".

قالت يوكي: "أشكرك سيد كريستوفر. رجاءً ابقَ جالسًا".

التفتت إلى القاضي وقالت: "سيدي القاضي. إننا مستعدون لرؤية التسجيل".

"استمري يا سيدة كاستيلانو. هل يمكن أن يطفئ أحد الأشخاص الأضواء؟".

الفصل 72

أعد آرثر بارون الفيديو، ووضع الكمبيوتر المحمول على حافة الطاولة، وعدل الشاشة لتكون في مواجهة هيئة المحلفين، ولكن قبل أن تحصل يوكي على فرصة لتقول "أدر الفيديو"، انتفض جيمس جيفتوس على قدميه، وقال بغضب: "سيدي القاضي. هل لنا أن نقترب؟".

أشار راثبيرن إلى المحامين ليأتوا إلى مقعد القاضي.

قال القاضي: "سيد جيفتوس، لقد أصدرت حكمي بالفعل، وشريط الفيديو ضمن الأدلة".

فقال جيمس: "سيدي القاضي راثبيرن، مع كل الاحترام الواجب لسيادتكم، لقد رأيتُ هذا التسجيل، وأنت لم تره".

فقال القاضي: "لنأخذه إلى مكتبي".

تبع المحامون القاضي من خلال بابه الخاص إلى خارج قاعة المحكمة، ودخلوا إلى مكتبه. وجلس القاضي على كرسي مكتبه، وتجمع المحامون الأربعة في الجزء الأمامي من المكتب.

قال جيفتوس: "سيدي القاضي، يراودني شعور قوي بأنه من خلال عرض هذا التسجيل، فإن الادعاء سيرتكب خطأً قضائيًّا يمس إقامة العدل".

قال راثبيرن: "كما قلت من قبل يا جيمس، وسأعيد على مسامعك مرة أخرى، ستكون لديك فرصة لدحض الفيديو، واستجواب الشاهد. ما الأمر الذي يتعذر عليَّ فهمه الآن؟".

احمر وجه جيفتوس خجلًا، وبرزت عروق رقبته، ثم قال: "سيدي القاضي، لا أعتقد أنك تعرف أن هذا التسجيل عبارة عن فيلم إباحي، وأنه يحتوي على مشاهد فاضحة، أو بشكل أكثر دقة؛ ممارسة علاقة إذلال.

كما قلت منذ البداية، إن هذا الفيديو مكيدة مدبرة. فقد سجله مارك كريستوفر بطريقة .... ".

فقال القاضي: "استخدام الحجة نفسها لن يغير من حكمي في شيء".

قال جيفتوس: "إن نحينا حجتي جانبًا، فإن مشاهدة هذا التصوير القاسي لهذا الفعل المشين يعد أمرًا جارحًا للمشاعر، ومؤذيًا إلى أقصى الحدود.

بمجرد أن ترى هيئة المحلفين ذلك، لن يكون هناك أمر خفي بعد الآن. كما سيراه الحضور والصحافة أيضًا، وعلى الرغم من أن بريانا بريئة تمامًا من هذه التهمة، فستتم إدانتها في محكمة الرأي العام، وسيلتصق بها هذا الحكم طوال حياتها".

ظنت يوكي أن جيفتوس يقدم حجة قوية لاستبعاد الفيديو، وكان ذلك مقلقًا للغاية، فبدون الفيديو، ستُعلق قضيتها بالكامل على شهادة مارك فحسب، ولم يكن جيفتوس قد بدأ بعد في إضعاف الثقة فيه.

واصل جيفتوس كلامه.

قال: "أنتقل مرة أخرى إلى استبعاد الفيديو. إنه تسجيل مؤذ وتشهيري، وسيكون سببًا في رفع دعوى مدنية كبيرة جدًّا ضد هيئة الادعاء العام لمدينة سان فرانسيسكو".

قال راثبيرن: "حسنًا يا سيد جيفتوس، لقد أوضحت وجهة نظرك. السيدة كاستيلانو؟".

قالت يوكي بحزم: "يا سيادة القاضي، إن الفيديو عبارة عن تسجيل للسيدة هيل، وهي تهدد باستخدام العنف، وتلوح بمسدسها مهددة، وتغتصب السيد كريستوفر. إنها أدلة لا تقبل الجدل، ومن ثم لا بد من أن تراه هيئة المحلفين، وإلا فلن تكون لديهم الحقائق الكاملة عن الجريمة".

استند راثبيرن إلى الخلف، وأخذ يفكر في الملاحظات، ثم عاد إلى جلسته المستقيمة في مقعده.

وقال: "جيمس، ما سأقوم به هو إخلاء قاعة المحكمة، ومن ثم فلن يرى المشاهدون بمن فيهم الصحافة هذا الشريط، بل ستقتصر رؤيته على هيئة المحلفين فحسب. أيعد هذا منصفًا بما يكفي؟".

تذمر جيفتوس، وزفر زفرة حارة، وبعد أن سار نحو النوافذ، عاد إلى المجموعة الموجودة حول مكتب راثبيرن.

ثم قال: "لا بأس. هيئة المحلفين فحسب دون وجود الحضور".

قال راثبيرن: "إذا وافقت السيدة كاستيلانو".

كانت يوكي جاهزة بإجابتها: "إن هذا مناسب لي يا سيدي القاضي".

قال جيفتوس: "إذا كنت لا تمانع سيدي القاضي، فهل تسمح بجلوس السيدة بينسون مع السيدة هيل خارج مكتبك في أثناء تشغيل السيدة كاستيلانو الفيديو".

قالت يوكي: "إن السيد كريستوفر يستطيع الانتظار في الردهة".

قال القاضي راثبيرن: "تم تجاوز العقبة. يمكن إذن عرض التسجيل".

الفصل 73

تم إخلاء قاعة المحكمة من الحضور والصحفيين.

وجلس ستة عشر رجلًا وامرأةً في مقصورة المحلفين، وهم يحدقون إلى يوكي، وهي تطلب من آرثر تشغيل تسجيل الفيديو.

كانت الأضواء خافتة، ولكنها كانت مضيئة بما يكفي لترى يوكي وجوه هيئة المحلفين الحازمة. وقد تم إخطار أعضائها في أثناء انتقائهم بأن الأدلة ستحتوي على فيديو فاضح صريح، وسئلوا إن كانوا راغبين وقادرين على مشاهدة مثل هذا التسجيل، فكانوا موضوعيين، وقال الاثنا عشر عضوًا من هيئة المحلفين -فضلًا عن الأربعة الآخرين- جميعهم: نعم.

وفي الواقع كان من الصعب على يوكي أن تشاهد هذا الفيديو مرة أخرى؛ لذلك تم توجيه الشاشة بعيدًا عنها. لكنها قد شاهدت هذا الفيديو الذي تبلغ مدته ١٠ دقائق عدة مرات، ويمكنها تخيُّل المحتوى في ذهنها.

في اللحظات الأولى من الفيديو، حجب جسد مارك منظر السرير بشكل جزئي، وهو يواجه الكاميرا المخفية، ويكافح بيده اليمنى لربط يده اليسرى برأس السرير.

سُمع صوت بريانا بوضوح.

بريانا: هذه العقدة ليست محكمة بما يكفي، اللعنة. فلتضبطها يا مارك، أيها الغبي الأبله.

مـارك: إنني *أعقدها*. أخفضي الســلاح، حسنًا؟ من فضلك يا بريانا، هذا الشيء يمكن أن يطلق رصاصة.

عرفت يوكي أن مارك قد شد العقدة الآن، ثم تدحرج على ظهره.

بريانـا: أمســك عمــود السرير الآخر بيــدك اليمنى. افعل مــا آمرك به يا مارك؛ وإلا *سأطلق* عليك النار، وسأرحل من هنا وأتركك تنزف حتى الموت.

لاحظت يوكــي انزعاجًا على وجوه هيئة المحلفين. كانــت السيدة مولوني، على سبيل المثال؛ وهي أم ثلاثة أطفال، ومدير تنفيذي في أحد البنوك، عابسة الوجه. وفي الجانب الآخر من الصف كان السيد كونيج؛ وهو مدرس رياضيات في مدرسة ثانوية في العشرينيات من عمره، قد تراجع في مقعده، وكان يغطي فمه بكلتا يديه.

كان مــارك يظهر على الشاشة، رغم ظلمة الغرفــة، وهو مستلقٍ عارٍ ممدد اليديــن، ومتباعد الساقين فوق السرير. كانــت بريانا هيل التي كانت في كامل ملابسهــا واقفة عنــد نهاية السريــر ممسكــة بالمسدس بكلتا يديهــا، وفوهته موجهة إلى مارك.

كانــت يوكي تعرف أن بريانــا في هذه المرحلة ستضــع المسدس على أحد الكراســي، وستمســك ربطة عنق وتلفها حول معصم مــارك، ثم تثبت معصمه على رأس السرير.

بريانا: ها نحن سنبدأ. لقد استحوذت عليك الآن.

ظهر في الفيديو أن مارك كان يتنفس بصوتٍ عالٍ، فهل يمكن أن يكون ذلك جراء شعوره بالذعر؟

مـارك: إنك تتجاوزين حدودك. لست متحمسًا لخوض هذا. إنني صرت لا أفهمك الآن.

تيقنت بريانا من إحكام كل الأربطة، ثم بدأت تتجرد من ملابسها.

شد مارك القيود، وأمكن سماعه وهو يقول: "هذا جنون. هذا خطأ. إن هذا لن يفلح يا بريانا".

فقالت: "سوف نتأكد من ذلك".

صعدت على السرير، ثم بدأت في الاعتداء عليه.

غطت سيدتان من هيئة المحلفين أعينهما بشكل جزئي، لكن لم يكن هناك أي سبيل لإغلاق أصوات كلا الطرفين، وهما يتنفسان، ويصدران أصواتًا صاخبة، كانت بريانا تقول: "قلها يا مارك. قل إنك تحب هذا، وإن هذا ما تريده".

استمرا على هذه الحال مدة خمس دقائق أخرى وبضع ثوانٍ.

أرادت يوكي الإمساك بجهاز التحكم، والنقر على زر التقديم السريع للفيديو. فنظر إليها آرثر نظرة استفسار، فحركت رأسها في رفض. وأخيرًا توقفت الأصوات.

كانت يوكي تعرف أن بريانا كانت قد تركت مارك، وسحبت البطانيات حول كتفيها، وغطت في النوم دون أن تفك قيوده، أو تتحدث إليه مرة أخرى.

قالت يوكي: "يا سيدي القاضي، إن كلا الطرفين قد نام حتى امتلأت بطاقة ذاكرة الكاميرا، وتوقفت عن التسجيل".

تمتم القاضي قائلًا: "يا إلهي!".

أغلق آرثر الحاسوب المحمول، وانتقل إلى الجزء الأمامي من الغرفة، وأشعل الأضواء.

شعرت يوكي بالانزعاج؛ لأن الضوء الخافت قد تبدل لضوء شديد السطوع داخل قاعة المحكمة، فنظرت إلى هيئة المحلفين، لكنها لم ترَ قط أعضاء هيئة محلفين مشتتين على هذا النحو من قبل.

حتى القاضي بدا على ملامحه الاضطراب؛ حيث أمسك علبة المناديل وتمخَّط.

قالت يوكي: "إن هيئة الدفاع تطالب بضم التسجيل إلى الأدلة يا سيادة القاضي".

قال القاضي: "تم ذلك. والآن، هذا هو الوقت المناسب لأخذ استراحة مدة نصف ساعة، ولنعُد في الحادية عشرة بالضبط".

ثم طرق بالمطرقة، وغادر قاعة المحكمة.

الفصل 74

خلال فترة الاستراحة التي بلغت مدتها نصف ساعة، ساعد آرثر مارك على الدخول إلى مرحاض الرجال، ثم جلس معه في الممر، وأثنى عليه بأنه قام بعمل رائع على المنصة. وقال بشكل عرضي: "لقد فاتني الجزء الذي كانت بريانا تقول فيه إنها تريد أفضل ما تريد في حياتها".

أجاب مارك: "كنت قد نسيته، لكنه عاد إلى ذاكرتي من فوري".

استفادت يوكي من الوقت للتفكير في الكلمات الأخيرة التي قالها مارك، فكان يساورها الشك فيما قاله. ابتاعت زجاجة مياه من الآلة ذاتية البيع، وعادت إلى طاولة الادعاء، بينما كان آرثر يساعد مارك على اعتلاء منصة الشهود.

انضم إليها آرثر، وأطلعها على محادثته القصيرة مع مارك. قال آرثر: "قال إنه قد استعاد الذاكرة بشكل مفاجئ"، فكان الأمر أشبه بمعجزة.

بعد لحظات عادت بريانا هيل وماديسون بينسون إلى طاولة الدفاع. كانت بريانا تومئ كأن ماديسون قد تبادلت معها على الفور حديثًا حنونًا مشجعًا.

ملأ الحضور القاعة، ولا شك في أنهم يتساءلون عما حدث، بحق السماء؛ لكي يدفع القاضي إلى إبعادهم، ثم دخلت هيئة المحلفين، وأخذت أماكنها في المقصورة، وقد كان لا يزال البعض منهم ممتعض الوجه، وكأن قنبلة قد انفجرت أمام وجوههم.

في الحادية عشرة بالضبط، اتخذ القاضي مجلسه، وقبل لحظة من إغلاق الأبـواب، جلس جيمسـ جيفتوس إلى طاولته. خمَّنت يوكـي أنه قد استغل فترة الاستراحة لشحذ قواه، وتهيئة نفسه لأهم استجواب في حياته المهنية.

كان ريـد دوج باريزي قد أخبر يوكي ذات مرة بأن الدعوى القضائية عبارة عن منافسة في فن الرواية، وأن أفضل رواية هي التي تفوز. سيتعين على جيمس جيفتوس بذل أكثر من قصارى جهده إن أراد دحض رواية الادعاء؛ حيث قدمت يوكي دليلًا تفوق فاعليته أية رواية مهترئة بسنوات ضوئية.

فقد *أثبتت* أن بريانا هيل قد هددت الضحية واغتصبته، وقد قدمت برهانًا على ذلك.

توقعت أن يحاول جيفتوس إقناع هيئة المحلفين بأن شريط الفيديو عرضة لتأويلات مختلفة، ولكن هل هو كذلك؟ إن هيئة المحلفين قد شاهدت الجريمة كأنها كانت داخل غرفة نوم مارك بالفعل، وتنظر إلى فوهة مسدس بريانا هيل.

قال القاضي: "إنك لا تزال تحت القسم. أتفهم ذلك؟".

أومأ مارك برأسه.

قال القاضي: "لا بد من أن يسمعك كاتب المحكمة. أتعد تلك الإيماءة موافقة؟".

فقال مارك: "نعم، أفهم أنني تحت القسم".

قال راثبيرن: "سيد جيفتوس، هل أنت مستعد لاستجواب الشاهد؟".

وقـف جيفتوسـ، وضبط ربطة عنقـه، وقال: "أود التقدم إلـى المنصة، يا سيدي القاضي".

لم يستطع القاضي راثبيرن إخفاء الضيق البادي على ملامحه.

قال: "اقترب".

نهضت يوكي وآرثر عن مقعديهما، والتقيا بجيفتوس وبينسون عند المنصة.

وضع القاضي راثبيرن يده علـى الميكروفون، وقال لجيمس جيفتوس: "قل ما تود قوله أيها المحامي".

فقال جيفتوس: "لقد كشفنا بعض الأدلة الجديدة فحسب".

فسأله القاضي: "هل اكتشفتها خلال فترة الاستراحة؟".

فأجاب جيمس قائلًا: "لقد وجدنا رسائل بريد صوتي من السيد كريستوفر إلى السيدة هيل بعد هذا الاغتصاب المزعوم".

تمتم القاضي راثبيرن قائلًا: "فلنذهب إلى مكتبي".

الفصل 75

سار المحامون الأربعة والقاضي إلى مكتب راثبيرن واجتمعوا فيه. وفي هذه المرة لم يجلس القاضي.

قال: "كيف ظهرت هذه الرسائل في هذه اللحظة فقط يا جيمس؟ أقتعني".

فقال جيمس: "سأقوم بذلك سيدي القاضي. بعد الحادث المذكور بدأ السيد كريستوفر في ملاحقة موكلتي. أراد أن يخرج معها، لكنها قد ضربت برغبته عرض الحائط، فبدأ مهاتفتها ومراسلتها بالبريد الإلكتروني والتهديد بابتزازها".

قالت يوكي: "أيها القاضي راثبيرن. هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها عن تهديدات بالابتزاز".

لم ينظر جيفتوس إليها، بل قال: "حتى الآن، لم تكن تلك التهديدات قد أُثبتت بالدليل. تجنبت بريانا كريستوفر، وامتنعت عن الرد على مكالماته وبريده الإلكتروني. وعندما ذهب إلى الشرطة، أعطت الإدارة في وكالة آد شوب بريانا إجازة غير مدفوعة الأجر، وهي لم تحذف الرسائل قط من هاتف مكتبها".

قال القاضي: "*حتى الآن*؟".

قال جيفتوس وهو مزهو بنفسه: "إننا تحدثنا معها في أثناء فترة الاستراحة، وسألناها إن كان هناك أي شيء يمكننا استخدامه لدحض هراء

السيد كريستوفر - أعتذر - أكاذيبه، فتذكرت أنه كانت هناك مكالمات لم ترد عليها على هاتف مكتبها. كانت محاولة شبه يائسة".

كانت ضربات قلب يوكي مسموعة تقريبًا؛ حيث كان القاضي يستمع إليه بجدية.

فقال: "واصل حديثك".

فاستطرد جيفتوس.

"لقد اتصلنا برقم مكتبها، ووصلنا إلى نظام البريد الصوتي. إنه ما زال يحتفظ برسائلها الجديدة التي لم تُحذف. كانت هناك ثلاث رسائل من السيد كريستوفر، لم يتجاوز طول كل منها ست ثوانٍ. كانت الرسالتان الأوليان عبارة "اتصلي بي وإلا"، أما التهديد الأخير فكان مشفرًا بطريقة أخرى".

أضاف جيمس جيفتوس: "لقد قمت بكتابة هذه الرسائل بخط اليد، كما قمنا أيضًا بتسجيل التوقيت الزمني للصوت. وبالطبع قد احتفظنا بالرسائل الأصلية على بريدها الصوتي في الشركة".

سلم جيفتوس إلى القاضي راثبيرن نسخته المكتوبة بالقلم للرسائل الهاتفية الثلاث، ومسجل جيب.

مرَّر القاضي راثبيرن النسخة المكتوبة إلى يوكي، وطلب من جيفتوس تشغيل المسجل.

فعل جيفتوس ذلك.

وكما قال، فقد أجريت جميع المكالمات في غضون أسبوع من الحادث، وكانت الجودة الفنية جيدة.

قالت يوكي: "سيدي القاضي، إن هذه المكالمات غامضة وغير واضحة".

قال راثبيرن: "أسمح باعتبارها ضمن الأدلة".

شعرت يوكي بالأرض تهتز تحت قدميها، لكنها تمالكت نفسها، وانتشلتها من الشعور بالغرق الرهيب. إنها لن تنهار، ولا يمكن لها أن تنهار.

اتبعت القاضي راثبيرن إلى قاعة المحكمة.

وعند عودتهم إلى طاولتهم، قال آرثر بصوت هامس حتى لا يتسنى لغيرها أن يسمعه: "لا داعي للقلق. لا تقلقي. لا تزالين تمتلكين زمام الأمور".

همست في نفسها: ستكون هناك روايتان متعارضتان، واحدة منهما هي التي ستكون صحيحة. فأي واحدة؟ وما الرواية التي ستصدقها هيئة المحلفين؟

الفصل
76

كان مارك كريستوفر يتململ في منصة الشهود، ويجول ببصره فوق رءوس ضباط المحكمة، ناظرًا إلى مكان جلوس والديه في القاعة.

قام القاضي راثبيرن بسحب كرسيه إلى المنصة، فظهر ليوكي أن الغضب قد بلغ منه مبلغه، بل إن المحلفين قد بدوا كأنهم على وشك الصراخ، قائلين: *هيا أنهوا الأمر.*

أما بالنسبة إلى جيمس جيفتوس، فكانت يوكي تعرف أنه قد وضع بصمته، وأعد عدته، وتأهب للانطلاق.

وقف جيفتوس حاملًا بعض الأوراق، وسار عبر الممر، وخاطب الشاهد.

قال: "سيد كريستوفر، لديَّ نسخة من شهادتك معي ومع شركائي. هل يمكنك قراءة الجزء المظلل بصوت عالٍ؟".

سلم جيفتوس الورقة إلى مارك الذي تصفح النص سريعًا، ثم بدأ قراءة ما يلي:

"جيمس جيفتوس: "ما الذي تحدثت فيه مع بريانا في كافيتريا المطعم قبل العودة إلى شقتك؟"، فأجبت قائلًا: "لا أتذكر ذلك حقًّا. كنت قد غدوت ثملًا للغاية، ولم أكن أريد سوى الذهاب إلى النوم"".

شكر جيفتوس مارك واستعاد الأوراق.

ثــم قال: "سيد كريستوفر، لقد شهدت بشيء مختلف تمامًا عما أقسمت به عند الإدلاء بشهادتك. لقد أخبرت هذه المحكمة بأنك قطعت علاقتك بالسيدة هيل في أثناء العشاء، وأنها كانت متشبثة بك وفي حالة هستيرية، وأنها أصرت على قضاء الليلة معك، حتى يتسنى لها إعادة النظر في المسألة في الصباح".

ثم أضاف: "هل لا تزال تلك هي شهادتك؟".

فأجاب مارك قائلًا: "هذا ما حدث. أقصد أجل".

فسألـه جيفتوس: "كيف ذلـك يا سيد كريستوفر؟ لقـد أدليت بتصريحين متعارضين؛ أحدهما في مكتبي، والآخر في هذه القاعة، أليس هذا صحيحًا؟".

قــال مــارك: "إنك تــدرك أن هــذه قضية معقدة، يــا سيــد جيفتوس. لقد تعرضت للاعتداء من قبل امرأة كنت أحمل لها مشاعر. لم يكن هذا بالموقف الهيــن قط؛ فما زلــت أحاول استيعاب أمر تغلُّبها علــيَّ، وسأظل أحاول معالجة هذا الأمر بقية حياتي ...".

"لقد قدمت شهادتين متعارضتين، نعم أم لا؟".

فقال مارك: "صدقني، هذا الأمر لا يجوز الرد عليه بنعم أو لا".

قــال جيفتوس: "سيــادة القاضي، أود الحصول علــى إذن بمعاملة الشاهد باعتباره يتصرف بعدوانية".

قــال راثبيرن: "تكلم يا سيد كريستوفر. أجب عــن الأسئلة. لا تفترض، ولا تبرر، ولا تختلق الأعذار. هل تفهمني؟".

فقال مارك: "أجل يا سيادة القاضي".

قال القاضي لمحامي الدفاع: "سيد جيفتوس، يرجى المضي قدمًا".

الفصل 77

دسّ جيمس جيفتوس يديه في جيبيه، وقال: "سيد كريستوفر. هل تود أن أعيد السؤال على مسامعك؟".

بدا مارك متضايقًا أكثر من كونه يشعر بالإحراج، وهو يقول: "أجل. فكرة سديدة".

قال جيفتوس: "لقد أدليت بشهادتين متضاربتين عما حدث بينك وبين السيدة هيل في المطعم، نعم أم لا؟".

قال كريستوفر: "كلتاهما صحيحة. لقد أجرينا حوارًا بسيطًا، وتصرفت هي بطريقة جنونية عندما حاولت قطع علاقتي بها".

قال جيفتوس: "في الواقع، *كلتا* القصتين ليست صحيحة، أليس كذلك؟ بينما كنتما تشربان معًا في هذه الكافيتريا، أخبرت السيدة هيل بأنك تريد تجربة لعبة غريبة معها، أليس كذلك؟".

قال مارك: "لا، لم أقل ذلك".

فقال جيفتوس: "أليس صحيحًا أنك أخبرتها بأنك تريدها أن تمثل مشهد اغتصاب، تهددك خلاله بمسدس، وتتظاهر فيه بأنك الضحية؟".

فقال مارك بشكل حازم: "لا، بكل تأكيد لا".

ثم استطرد جيفتوس قائلًا: "ألا تتمثل الحقيقة، يا سيد كريستوفر، في أنك اقترحت تمثيل هذا الدور مع وضع خطة في ذهنك *للإيقاع* بالسيدة هيل؟".

فقال مارك: "لا، مستحيل! هذا محض هراء".

فسأله جيمس: "دعني أطرح عليك هذا السؤال: هل تعلم أنه أمر غير قانوني أن تسجل لشخص أثناء ممارسته العلاقة دون علمه؟".

فقال مارك: "ظننت أنها *ستقتلني*".

فقال جيفتوس: "حقًّا؟ سيد كريستوفر، هل كنت تعلم أن السيدة هيل قد آل إليها ميراث ضخم؟".

فأجاب مارك قائلًا: "أجل أظن ذلك".

فتابع جيمس أسئلته بسرور قائلًا: "سيد كريستوفر، لقد اكتشفنا بعض الرسائل الصوتية منك إلى السيدة هيل، بقيت على هاتف مكتبها. هل يمكن أن تخبرنا إن كان هذا هو صوتك أم لا؟".

فسأل مارك: "هل تقول إنني أجريت هذه المكالمات؟".

حاولت يوكي أن تبعث إلى مارك بهذه الفكرة: *أجب عن الأسئلة في أقل عدد ممكن من الكلمات. إياك أن تقدم أي شيء إلى جيفتوس.*

قال جيفتوس: "سأشغلها الآن".

أمسك جهاز التسجيل الصغير، وضغط على الزر. وعند تشغيل كل رسالة، كان الصوت الآلي لنظام الهاتف يعلن عن التاريخ والوقت.

الرسالة الأولى: "بريانا، للمرة الأخيرة. اتصلي بي. أنا جاد".

الرسالة الثانية: "أنا مارك. لا تعبثي معي يا بريانا. اتصلي بي".

الرسالة الثالثة: "بريانا. لقد سئمت. إما أن تدفعي، وإما ستكون هناك مشكلات في المرور بسان فرانسيسكو".

أوقف جيفتوس المسجل، وقال لمارك: "هل هذا صوتك؟".

فأجاب مارك قائلًا: "أجل يبدو كأنه أنا".

فقال جيمس: "عندما قلت للسيدة هيل: "إما أن تدفعي، وإما ستكون هناك مشكلات في المرور"، فما الذي كنت تعنيه؟".

فأجاب مارك قائلًا: "إنها مجرد جملة عادية يستخدمها سكان فورت لي في ولاية نيوجيرسي في مثل تلك المواقف".

فقال جيمس: "أنا أفهم ما تشير إليه، لكن ماذا تقصد بكلمة "دفع"؟".

قال مارك: "لا أعرف. لقد قلت ذلك فحسب. كنت أحاول الوصول إليها، حتى يتسنى لي إنهاء ما فعلته معي".

قال جيفتوس: "سأسألك مرة أخرى، عندما اتصلت بالسيدة هيل في الأسبوع التالي لموعدكما المسائي وتركت هذه الرسالة التي تقول: "إما أن تدفعي، وإما ستكون هناك مشكلات في المرور بسان فرانسيسكو"، فقد كنت تدعم محاولة ابتزازك السيدة هيل، أليس كذلك؟ فقلت: "إما أن تدفعي أو سأعلن الفيديو على الملأ"؟".

قالت يوكي: "أعترض سيدي القاضي، لا يوجد دليل على وجود تهديد بالابتزاز".

قال راثبيرن: "تم رفض هذا الاعتراض. إنه ذو صلة، وأود سماع هذا يا سيد جيفتوس. اطرح سؤالك مرة أخرى".

قال جيمس: "سيد كريستوفر. هل كنت تبتز السيدة هيل؟".

قال مارك: "لا على الإطلاق؛ فالأمر بعيد كل البعد عن ذلك. كل ما كنت أريده هو التحدث إليها. كنت في حاجة إلى التحدث إليها. لقد اقترفت هذا معي - اغتصبتني وتركتني ملقى مثل حيوان مقتول على الطريق. كنت في حاجة إلى تفسير. كان يجب عليها الاعتذار. كنت في حاجة إلى شيء منها. وأنت أيها *الوغد*"، ثم التفت إلى جيفتوس قائلًا: "يجب أن تُمنع من مزاولة مهنة المحاماة لابتداعك هذا الهراء".

قال القاضي راثبيرن: "سيد كريستوفر، إنني أحذرك. إن صدرت منك أية انفعالات أخرى، فسأتهمك بازدراء المحكمة، وسأفرض عليك غرامة أيضًا. ستتغاضى هيئة المحلفين عن إهانة السيد كريستوفر للسيد جيفتوس، وسيقوم الكاتب بشطب تلك الكلمة من السجل".

قال جيفتوس: "شكرًا يا سيدي القاضي".

ثم قال للشاهد: "أعتقد أننا سنترك المجال أمام هيئة المحلفين لتقرير ما كنت تقصده عندما تركت رسالة لهذه السيدة الشابة الغنية -التي سجلت لها تسجيلًا لتساومها على فعل *أنت* مَن قمت بالتخطيط له- "ادفعي وإلا"".

وقفت يوكي على قدميها، وقالت: "إن هذا محل جدال يا سيادة القاضي".

فقال القاضي: "اعتراض مقبول".

قال جيفتوس: "سيدي القاضي، ليس عندي أي شيء آخر لهذا الشاهد في هذا الوقت، لكنني أحتفظ بالحق في استجوابه مرة أخرى".

سأل القاضي يوكي: "أتودين إعادة استجواب الشاهد سيدة كاستيلانو؟".

فقالت يوكي: "أجل يا سيدي القاضي".

اقتربت يوكي من الشاهد، وقالت: "مارك، أرجوك أخبر هيئة المحلفين بما ستجنيه من اتهام المدعى عليها بالاعتداء عليك".

مسح كريستوفر عينيه بظهر يده، وقال: "لا أريد مالها، أو لا أحتاج إليه، ولن أحتاج إليه أبدًا. أنا هنا للحصول على العدالة وراحة البال. يجب ألا تنجو مما فعلته بي".

فقالت يوكي: "شكرًا مارك. ليست لديَّ أية أسئلة أخرى".

قال راثبيرن لمارك كريستوفر إنه يستطيع المغادرة، فغادر الشاهد الرئيسي ليوكي قاعة المحكمة، وهو يتخبط، ويعرج بشكل كبير.

عندما أغلقت الأبواب خلفه، قالت يوكي للمحكمة: "قد فرغت هيئة الادعاء من القضية".

قال راثبيرن: "حسنًا. سيد جيفتوس، حان دور بيانك الافتتاحي".

الفصل 78

كان جيمس جيفتوس قد أخَّر الإدلاء ببيانه الافتتاحي إلى أن يفرغ الادعاء من عرض حجته.

عرفت يوكي أنه من الخطر ترك هيئة المحلفين تحت تأثير وجهة نظر الادعاء مدة أربعة أيام، ولكن جيمس كان ذكيًّا، ومخضرمًا في مهنة المحاماة، وذا باع طويل في القضاء، فضلًا عن أنه يتمتع بتاريخ رائع من الانتصارات، ولا ريب في أن لديه خطة، وأنه على وشك الكشف عنها.

في الدقائق القليلة المقبلة، سيبدأ تقديم دفاعه؛ حيث سيبذل قصارى جهده لنسف قضية الادعاء والاستحواذ على هيئة المحلفين في صف بريانا هيل.

شاهدت جيفتوس يعود إلى طاولته، ويعيد الأوراق والنصوص إلى الملف، ويتبادل النظرات مع موكلته، ويرد على ملاحظة قالها مساعده.

كانت يوكي سعيدة لوجود آرثر ليشهد ما يمكن أن يكون أهم الدروس في كيفية تقديم بيان افتتاحي.

سار جيفتوس إلى مقصورة المحامين، وواجه هيئة المحلفين، وبدأ يقول: "بريانا هيل هي الضحية هنا.

إن مارك كريستوفر كاذب، وما اتهاماته إلا محض افتراء، حتى شريط الفيديو الذي قدمته جهة الادعاء لا يعدو كونه إفكًا مبينًا، بل إنه في الواقع من إعداد السيد كريستوفر، الذي قام برسم المشهد وإخراجه وتحريره من

خـلال تشغيل جهـاز التسجيل بعد أن تم الاتفاق على لعـب الأدوار ومناقشة ما يجـب على كل طرف القيـام به. بهذه الطريقة، لن يـرى المشاهد سوى اللعبة المعروضـة؛ لأنــه دون مقدمة، سيكون مـن المفهوم أن هـذه الدراما المدبرة بشكل كامل حقيقية".

أضاف: "كما سمعتم، كان مـارك وبريانا زميلي عمل، وتكررت لقاءاتهما، وعندما فتُر لهيب الحب بقلب السيدة هيل، أخبرت مارك بأنها ترغب في إنهاء العلاقـة؛ ما أثار حفيظة السيد كريستوفـر. فتوصَّل إلى مخطط لإيذاء السيدة هيل. لماذا إذن؟ لأن موكلتي قد فقدت شغفها به، بينما كان هو مولعًا بها؛ وهي شابة جذابة وثرية ويافعة ترفضه.

لم يكن السيد كريستوفر غاضبًا فحسب، بل كان عازمًا على إيذائها ماديًّا، وتدمير سمعتها، والزج بها في السجن".

توقـف جيفتوس برهةً ليثيـر فضولهم، وعندما أصبح علـى يقين بأن هيئة المحلفين تتوق إلى أن يبدأ مجددًا، واصل كلامه.

فقـال: "فـي تلك الليلـة، عندما كانـا في كافيتريـا المطعم، أخبـر السيد كريستوفـر السيـدة هيل -وسوف تذكر لكـم ذلك- بأنه يريـد أن يؤدي مشهد اغتصاب يلعب هو فيه دور الضحية".

شـرع جيفتوس في تلخيـص رواية الدفاع عـن الجريمة لهيئـة المحلفين: "ظنت السيدة هيل أنها كانت تعرف السيد كريستوفر جيدًا، فخدعها اقتراحه؛ حيـث إنها لم تلعب مثل هــذه اللعبة من قبل. أخبرها بما يجـب أن تفعل، وكما اتفقا، أخذ يتظاهر بالاحتجاج على تقييدها إياه ومطالبتها إياه ببعض الأمور".

قـال جيفتوس: "وفي الصبـاح التالي لهذا اللقـاء الليلي، ذهبـت السيدة هيـل إلى مكتبها، وكان يراودها شعور بأنها قـد خانت نفسها بمجاراتها السيد كريستوفـر فـي لعبتـه تلك، لكنها لـم تكن لديها أيـة فكرة بأن تلـك اللعبة قد جعلتها على وشك الوقوع ضحية مخطط ابتزاز".

وتابـع جيفتوس: "طلب السيد كريستوفـر منها الخروج معـه مجددًا عدة مـرات، وعندما أبت الاستجابة لطلبه، ذهب إلى مكتبهـا، وأخبرها بأنه سجل اللعبة التي دارت بينهما، وطالبها بدفع مبلغ ٢٥٠ ألف دولار؛ وإلا سينشر مقطع الفيديو على شبكة الإنترنت.

أخبرتــه السيدة هيل بأن يغــرب عن وجهها، وكانت تلك هـــي اللحظة التي أخذ فيها السيد كريستوفر تسجيل الفيديو وذهب إلى الشرطة".

وأضــاف: "تم القبض على السيدة هيــل، واتهامها بجنـاية لم ترتكبها؛ لأن السيــد كريستوفر هو مــن دبَّر مخطط ابتزاز كلَّف موكلتــي وظيفتها وسمعتها، وهي الآن مضطرة إلى الدفاع عن نفسها أمام تلك الشهادة الزائفة لهذا الرجل الآثم والحاقد".

ثم اختتم، "رجاء. لا تَدعوه يفلت بفعلته".

الفصل
79

بـدت بريانا هيل ـالتي كانت ترتدي فستانًـا صوفيًا رماديًا داكن اللون يصل إلى حذائها- واهنة كهرة صغيرة مبتلة في أثناء اعتلائها منصة الشهود.

عرَّج جيفتوس بها على أحداث يوم الحادي عشر من أكتوبر، وتجاوبت معه من خلال روايتها المحادثة التي دارت في الكافيتريا التي قدم إليها فيها مارك فكرة لعبة الاغتصاب وما تلا ذلك.

سألها جيمس: "ما الذي كنتِ تفكرين فيه في اليوم التالي؟".

قالـت هيل: "شعـرت ... بالاشمئـزاز من نفســي. لم أستمتـع بتمثيل تلك اللعبة. كان مارك لا يزال يعمل تحت إشرافي؛ حيث كان لدينا عمل يتعين علينا القيــام به. طلبت منــه أن يجتمع مع الفريق الإبداعي بشــأن إعلان تجاري في شركـة كرونوس تمـت الموافقة عليه. قال: "بالتأكيد على الفور"؛ حيث إنه كان قـد عمل في إعلانـات تجارية أخرى في شركة كرونوس. إن الحساب الخاص بهـذه الشركـة كان ضخمًا، لكنه لم يتابـع هذه المرة، فطلبته منــه مرة ثانية، وقال مرة أخرى: "أجـل سأفعل"، وتجاهل الأمر؛ ما اضطرني إلى تعيين منتج آخر".

سأل جيمس: "ماذا كان رد فعل مارك على قرارك الإداري؟".

أجابـت هيـل قائلة: "لم يستجب علــى الإطلاق لفقدانه حســاب كرونوس، لكنــه اتصـل بي على هاتفــي بعد ثلاثة أيــام مما حدث في شقتــه، وطلب مني

الخـروج ثانية، لكنني رفضت طلبه، وقلـت له إن علاقتنا قد انتهت، وإنه إن لم يتوقف عما يفعله، ويلتزم بأداء عمله، فسأبلغ عنه الإدارة".

فسألها جيمس: "وماذا كان رده على ذلك".

قالت هيل: "سخر مني، وأخبرني بأنني لا أعرف حجم المشكلة".

سألها جيمس: "هل طلبت منه أن يشرح ما الذي يعنيه بذلك؟".

قالت هيل: "نعم، أتذكر ذلك. جاء مارك إلى مكتبي بعد العمل. كان يجلس علـى الأريكة، ويتحدث معـي من الجانب الآخر من الغرفة. قـال: "أنتِ نجمة، هـل تدركين ذلـك؟"، فقلت: "مـا الذي تتحدث عنـه يا مارك؟" كنـت أنتظر اتصـالًا من أحـد العملاء، فقال مـارك: "لقد شاهدت هـذا الفيديو لكِ الذي كنت تغتصبينني فيه، ويا له من عمل رائع، إنك فريدة من نوعك"".

خرجت كلماتها الأخيرة متقطعة.

قال جيفتوس: "هل تحتاجين إلى الراحة لحظة؟".

قالـت: "لا"، ثـم تنحنحت قائلـة: "وهكذا أخبرنـي بأنه قد سجـل لقاءنا الجسـدي، وأنه يريد منـي أن أودع في حساب عمولته مبلغ ٢٥٠٠٠٠ دولار، وإلا سينشر الفيديو على موقع يوتيوب، وفيسبوك، والمواقع الأخرى على الإنترنت".

تراجعت بريانا، وقد علت علامات السخط والغضب ملامحها، وفي الوقت نفسه أغلقت عينيها بإحكام، وتغضنت ملامحها. مدت يدها لتأخذ منديلًا من علبة المناديل الموجودة أمام القاضي، وغطت عينيها.

عندمـا تحـدث جيمس جيفتوسـ ثانيةً، بـدت موكلته في حالـة من الذعر والترنح.

ثـم سألهـا جيمس: "ومـاذا كان رد فعلك يـا بريانا على محاولـة الابتزاز تلك؟".

فأجابـت بريانا: "لقد رفضـت طلبه في المرة الأولى، فكيف يمكن أن يكون جـادًّا في ذلك؟ لكن كان من السهل على مارك إخفاء كاميرا؛ لأنه منتج أفلام محترف. كنت خائفة خوفًا شديدًا. قلت له إنه مجنون وكنت أقصد ذلك بشكل فعلي؛ حيث كانت تلك هي المرة الأولى التي كان فيها *مجنونًا* بالفعل".

سألها: "هل استدعيت الشرطة؟".

أجابت بريانا: "لا. كان لا يزال يستعصي على عقلي استيعاب أمر الابتزاز. كنت ساخطة بشأن الفيديو؛ فلم أكن أعرف أيضًا هل كان يقول الحقيقة أم لا".

أضافـت: "ثم جاء اتصال عميلي. طلبت منــه الانتظار، ووضعت يدي على السماعــة، وقلت شيئًا من قبيل: "لا مزيــد من التهديدات يا مارك. أخبرني إن كنت لا تزال ترغب في العمل في مجال الإنتاج أم لا".

ولكنــه غــادر، فأخذت أفكر في كـمِّ الكوارث التي ستنهال علــيَّ إذا طردته مــن العمل بسبب عصيانه. وهذا ما حدث بالفعل؛ فقد توقف عن أداء وظيفته، لكنه أخذ يضفي على الأمر طابع التحرش. كيف يمكنني أن أثبت غير ذلك؟".

سألها جيمس مستفسرًا: "هل أخبرت أي شخص بابتزاز مارك لك؟".

فأجابــت بريانا: "أخبرت أختــي أنجيلا في نهاية الأمــر. إنها محامية في مجــال العقــارات والشئــون الائتمانية، فقالت: "لــن يفعل ذلك أبــدًا. الابتزاز جناية"".

قال جيفتوس: "ماذا حدث بعد ذلك؟".

أجابت: "بدأت الشائعات تنتشر في الوكالة بأنني هددت مارك بمسدس به ذخيــر، وأنني قد اغتصبته، وأنه يمكن أن يثبت ذلك. لقد أنكرت ذلك بالطبع، وعقــدت اجتماعًا مــع الرئيس التنفيذي السيد كيلي؛ لأبلغــه بأمر مارك، ولكن قبــل أن أرى السيــد كيلي، أخــذ مارك الفيديــو إلى الشرطــة، وألقت الشرطة القبض عليَّ بسبب شيء كان يحلم به في أغوار عقله المريض".

الفصل
80

وجدت يوكي شهادة بريانا معقولةً ومقنعةً، لكنها حاولت رفض الاستماع إلى مشاعرها المتعاطفة مع السيدة الشابة، بل أخذت تفكر في الطريقة التي تجعل هيئة المحلفين لا تتعاطف معها.

اقتربت من الشاهدة.

قالت لها: "السيدة هيل، هل سمعت من قبل عن مصطلح *ندم المشتري*؟".

فقالت: "أجل".

قالت يوكي: "هذا يعني أن المشتري يشعر بالندم بعد الشراء. هل تتفقين معي في هذا التعريف؟".

أجابت: "أجل".

سألتها يوكي: "هل هذا ما حدث لك؟ لقد قررت اغتصاب مارك، وبعدها أدركت أنكِ ارتكبت خطأً فادحًا؟".

فقالت بريانا: "لقد ندمت على مجاراته في ذلك. هذا هو كل ما في الأمر".

كانت يوكي تحمل فكرة عن سلسلة من الأسئلة التي ستطرحها وتصل بها لنقطة معينة قبل أن يواجهها أي اعتراض. كان ذلك يستحق المحاولة، حتى لو صدَّها القاضي راثبيرن عن ذلك.

قالت: "سيدة هيل، بعد أن ألقت الشرطة القبض عليكِ بتهمة اغتصاب السيد كريستوفر، تم إطلاق سراحك بكفالة، أليس كذلك؟".

قالت بريانا: "بلى".

قالت يوكي: "ولكن قُبِضَ عليك مرة أخرى، أليس كذلك؟ لماذا؟".

نهض جيفتوس على قدميه، وصاح قائلًا: "اعتراض! ما أهمية ذلك؟!".

كانت يوكي تعرف أن عودة بريانا إلى السجن ليست لها علاقة بالاغتصاب، ولكنهـا ستثير أسئلة في أذهان هيئة المحلفيـن. *لماذا عادت إلى السجن؟ هل أطلقت النار على مارك كريستوفر؟*

قالت يوكي: "أسحب سؤالي يا سيادة القاضي".

قال راثبيرن: "إنك تتعدين حدودك يا سيدة كاستيلانو. كوني حذرة".

قالـت وهي تعتقد أنها قـد اتخذت قرارًا صائبًا: "عـذرًا سيدي القاضي"، فالأوقات العصيبة تتطلب اتخاذ تدابير مستميتة، ثم عادت إلى الشاهدة.

سألت بريانا: "السيدة هيل، أترين أن مواعدة شخص يعمل تحت إشرافك تعد مجازفة؟".

قالت بريانا: "عرفت ذلك الآن".

سألتها يوكي: "هل لكِ أن تخبرينا إن كانت لكِ علاقات أخرى داخل نطاق العمل؟".

صاح جيفتوس قائلًا: "اعتراض".

قال القاضي: "اعتراض مقبول".

قالت بريانا: "أرغب في الإجابة".

قال لها القاضي: "أنت تفهمين أن السؤال لا ينطبق على الدعوى المرفوعة ضدك. وبما أن محاميك كان يعترض بأعلى صوته ليقول ذلك، فإن أي شيء لا يتعلق بهذه القضية هو غير ذي صلة".

قالت بريانا: "إنني أفهم، ولكن أريد أن أضع الأمور في نصابها".

فقال القاضي: "إذن، تفضلي".

فقالت بريانا: "لا تعد المواعدة بين الزملاء أمرًا جللًا في مجال الإعلان. كنت أواعد أشخاصًا عملت معهم من قبل، لكنني لم أفعل أي شيء مع أي منهم مثلمـا فعلت مع مارك في تلك الليلة، وما كان عليَّ فعل ذلك مطلقًا. إنه أقنعني بذلـك، وقال لي إنه سيكون أمرًا ممتعًا، لكنه لـم يكن ممتعًا. ولم يكن جريمة، لكنه مدعاة للشعور بالندم".

وعنـد هذه النقطة، بدأت بريانـا تبكي، ولم تعد تقوى علـى التوقف. نادى القاضـي باسمها، ثم وقـف محاميها، وقـال: "سيدي القاضـي، أتسمح بمنح الشاهدة بضع لحظات؟".

وجدت يوكي نحيب هيل يدمي القلوب، ولكن هل سترى هيئة المحلفين أنها مقنعـة؟ إذا ضغطت عليها يوكي أكثر من ذلك، فإنهـا تجازف بإعطاء انطباع عنها بأنها تهاجمها.

قالت: "شكرًا سيدة هيل، ليست لديَّ أسئلة أخرى".

أخبـر راثبيـرن المدعى عليها بأنهـا تستطيع النزول عـن منصة الشهود، ودعا المحكمة إلى الاستراحة.

وقالت يوكي لآرثر في الردهة خارج القاعة: "لم يكن أمامي خيار آخر".

قال: "لم يؤذها ذلك في شيء، ربما كان ما قمتِ به سيساعدنا. وهي تبدو مضطربة على أية حال".

تفقَّـدت يوكي هاتفها، ووجـدت أن لديها عشرات المكالمـات الفائتة. كان أحدها من ريد دوج.

عاودت الاتصال به.

قال: "أطلعيني على المستجدات".

قالت: "أصبح لدى جيفتوس ثلاثة شهود متأهبين للشهادة؛ شقيقة بريانا، ورئيسهـا فـي الوكالة، وصديقهـا السابق قبل نحـو عام من علاقتهـا بمارك. وسوف يقول جميعهم إنها إنسانة رائعة".

فسألها قائلًا: "ألا تزال لدينا فرصة؟".

فأجابـت: "إننـي أرى أنهـا ساذجـة، وهو ماكر وحـذر. وسـواء أكان هذا الاغتصـاب فكرتها أم فكرته، فإنها لم تكن قط ندًّا كفؤًا له على الإطلاق. وفي الوضع الراهن الآن، هناك أسباب كثيرة للغاية تدعو إلى الشك فيه".

ثم أضافت: "يقول لي إحساسي إن هيئة المحلفين ستُعلق القضية".

قـال باريـزي: "يقول حدسـي إن عليـكِ تخصيص وقـت لمراجعة الحجة الختامية معي".

قالـت يوكي، وهي ترحب برأي باريزي: "سـوف أفعل"؛ لأنها تصدق قصة بريانا، وهذا ما أثار القلق في نفسها.

الفصل 81

كنت أنا وكونكلين في مكتبنا صباح يوم الاثنين عندما قال لي: "أتريدين الذهاب في جولة؟".

قلت: " تتحمس مارثا كثيرًا عندما أقول لها ذلك".

انفجر كونكلين ضاحكًا، ثم أمسك ببعض المفاتيح.

ثم قال: "هيا بنا. إننا ذاهبون في رحلة سرية في سيارة الشرطة".

كنت قد عدت من فوري بعد عطلة نهاية الأسبوع، من فترة الراحة التي قضيتها في السرير، وكنت أحتاج إليها حقًّا. كانت هناك مائة رسالة إلكترونية تنتظر في صندوق الوارد الخاص بي، وكان لديَّ مليون سؤال أود طرحه على كونكلين عن قضية القتل الجارية، وفنجان القهوة على مكتبي لم أمسسه.

إنني حقًّا في حاجة إلى العمل.

سعيت إلى معرفة ما يريدني شريكي أن أراه، لكنه حتى لم يعطني تلميحًا، فاستسلمت في النهاية.

سألته: "كم من الوقت سيستغرق ذلك؟".

فقال: "ثقي بي، ستحبين هذا. انهضي يا بوكسر".

تنهدتُ تنهيدة عميقة، وتجرعت نصف قهوتي، وارتديت سترتي، ثم قلت: "ما الذي ننتظره إذن؟".

نزلنـا السلالم إلى الردهة، ثم غادرنا من البـاب الخلفي، وهرعنا سريعًا إلـى طـول الطريـق المـؤدي إلى شـارع هارييـت، حيـث كانت سيـارة شرطة شيفروليـه رمادية متوقفة تحـت الجسر. تولى كونكلين القيـادة، واتجهنا نحو منطقة ميشن.

بينمـا كان جهاز اللاسلكي الخاص بالشرطة يصدر خشخشة، رفع شريكي مستوى صوته وبدأ يطلعني على المستجدات.

فقال: "لقد قضيت ظهيرة يوم الجمعة في ملجأ ميلي المفضل للمشردين".

رفعـت مؤشر جهـاز التدفئة، وخفَّضت صوت جهـاز الراديو، ثم قلت: "هل أفهم من ذلك أنك عرفت شيئًا مفيدًا؟".

قـال كونكليـن: "بالفعـل. كان اسـم ميلي قبل الـزواج هو رينـي ميليسنت كوشينـج. كانت متزوجة منذ ثلاثين عامًا بمحاسب يدعى رونالد دان".

فسألته قائلة: "متزوجة؟ يا إلهي، هل أبلغ أحد زوجها؟".

فأجـاب كونكلين قائـلًا: "توفي قبل خمسة عشر عامًا جـراء إصابته بنوبة قلبيـة. كانت قد أخبرتنا بأن لديها ابنين بالغيـن، لم نسأل عن اسميهما، لكن لديَّ عنوانًا".

فسألته: "عنوان من؟".

فقال لي: "سوف ترين".

مررنـا خلال القسـم التجاري ذي الأرضيـة المغطاة بالحصـى من شارع ميشـن الـذي يُفضي إلى المجمع السكني الذي يحمـل اسم يوريكا فالي. وهذه منطقة راقية محاطة بالبيـوت المصممة على الطراز الفيكتوري الجميل الذي تشتهر به مدينتنا.

كنت أشاهد المعالم التي نمر بها، بينما كنا في طريقنا إلى شارع كولينجود أعلـى التل، ثـم قام كونكلين بإيقـاف السيارة إلى جوار منـزل رمادي خشبي. كان لطيفًـا وبسيطًـا، وفـي حالة جيـدة، وبدا كأنـه قد بُني في فتـرة منتصف الستينيـات. كانت هنـاك سيارة من طراز كيا خضراء اللـون في الممر، عليها لاصق يحمل اسم بيركيلي على نافذتها الخلفية.

قلت: "من الذي يعيش هنا؟".

فقـال: "كان منزل ميلـي كوشينـج دان. أجـل، أعرف مـا ستقولينه، كانت تمتلك *منزلًا بالفعل*".

فقلت: "إنه منزل رائع أيضًا".

قال كونكلين: "تركه زوجها لها، بالإضافة إلى حفنة من الأموال، لم يُعرف قدرها، ولكنها كافية لتدخر منها".

قلت، وأنا في حالة من الانبهار: "أحسنت صنعًا يا شريكي".

فقال: "إليك ما تبقى من الأمر. وفقًا لما ذكره المسئول في الملجأ، فقد كانت ميلي تعمل متخصصة اجتماعية، وكثيرًا ما كانت تتظاهر بأنها مشردة لكسب الثقة، وكانت تعيش في الشارع ثلاثة أو أربعة أيام في الأسبوع، ثم تطور الأمر ليصبح طوال الأسبوع".

فسألته في اندهاش: "أليست طريقة غريبة لكسب الثقة؟".

فرد قائلًا: "أعتقد ذلك. هل أنتِ مستعدة يا بوكسر؟".

خرجنا من السيارة، وتوجهنا إلى الباب الأمامي. ثم ضغط كونكلين زر الجرس.

الفصل
82

فُتح الباب مسافة قدم تقريبًا، وظهرت فتاة في منتصف العشرينيات، وكان هذا كافيًا لنرى أنها كانت حافية القدمين، وترتدي سروال يوجا، وسترة فضفاضة. ظننت أنها تشبه ميلي بعض الشيء.

سألتنا قائلة: "هل أستطيع مساعدتكما؟".

أظهر كونكلين شاراتنا، وقدمنا إليها، ثم سألها: "هل تعرفين ميلي كوشينج؟".

قالت الفتاة: "أنا ابنتها، صوفي دان. ما الخطب؟ ماذا حدث لأمي؟".

قال كونكلين: "يؤسفني إخبارك بذلك، ولكن تم إطلاق النار على والدتك الأسبوع الماضي في شارع ميشن، وللأسف، لقيت مصرعها. واستغرق الأمر وقتًا طويلًا للعثور على عنوانها. نحن آسفون جدًّا".

"*ماتت؟*".

ابتعدت صوفي دان عن المدخل، وأخذت تصرخ قائلة: "لا، لا، لا. لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا. لا يمكن أن تكون قد ماتت. لا يمكن أبدًا".

انفتح الباب، ورافقنا ابنة ميلي المصدومة من خلال المدخل إلى غرفة الجلوس التي كانت تشتمل على مدفأة من القرميد، ورفوف كتب من الحائط إلى الحائط، ونافذة كبيرة تطل على منظر علوي للمدينة.

جابت أرجاء الغرفة، وهي لا تزال تصرخ مستنكرةً ما حدث.

ثـم قالت: "هذا ليس صحيحًـا. أنا لا أصدق هذا. كيـف حدث هذا؟"، ثم توقفـت، وقالت بشكل مباشر والدموع تسيـل على وجنتيها: "كنت آمل دائمًا أن تعود إليَّ والدتي ذات يوم. هل تفهمان؟".

وبعـد ذلك، أخذت صوفي دان تمسح وجهها بكـم سترتها، ثم انهارت على الكرسي.

عندمـا جلسنا أمامها، أخبرتُها مـرة أخرى بمدى حزننا، وبأننا كنا نعرف ميلي، وسبب معرفتنا بها.

قلـت: "آنسة دان، إنني فـي حيرة، وأود أن أعرف لمـاذا كانت أمك تعيش كأنها كانت بلا مأوى".

نهضـت صوفـي، وذرعـت الغرفة جيئـة وذهابًا مـرة أخرى، وفـي النهاية استجمعـت أفكارهـا وكلماتها بما يكفـي لتأكيد ما عرفه كونكليـن في الملجأ، ويتمثل في أن حياة ميلي في الشارع قد بدأت بعد وفاة زوجها. وفي الوقت الذي كانت فيه صوفي في سن المراهقة، كانت ميلي تقضي وقتًا في الشارع أكثر من الوقت الذي تقضيه في المنزل.

قالـت لنا ابنة ميلي: "لم أرها منذ أكثر من عـام، لكن عندما تحدثنا آخر مرة، بـدت *سعيدة*. كانت تحب الناس، فكانت تقول إنها تود إعطاء أي شخص آخر ما تملكه من مال، ومن ثم لا أستطيع أن أتخيل كذلك وجود شخص يمكن أن يحمل لها أية ضغينة، ولكن أعلم مثلما تعلمون تمامًا أن كثيرًا من الناس في الشوارع يعانون أمراضًا نفسية، وربما تكون والدتي واحدة منهم".

ذهبت إلى رف كتب، وعادت إلى كرسيها مع صورة ذات إطار، تم التقاطها أمام هذه المدفأة.

ألقيـت نظرة خاطفة على عائلـة مكونة من أربعة أفـراد: أم وأب وطفلين. عائلة عادية تمامًا.

سألها كونكلين: "صوفي، هل ظل أخوك على اتصال بأمك؟".

فأجابـت قائلة: "مايكل؟ يـكاد لا يتواصل معي. بعـد أن انتقل من المنزل، تـزوج، وطلق، وصار يعيش حياة بسيطة هادئة. لـم تحضر أمي حفل الزفاف، ومنذ ذلك الحين لم يعد يذكرها قط".

قال ريتش: "سنحتاج إلى التحدث معه".

بدأت صوفي تبكي مرة أخرى. اعتذرت، وغادرت الغرفة، وعادت بعد دقيقة ومعها مناديل ومفكرة لاصقة.

قالت: "ها هو رقمه. أتمنى لكما حظًّا موفقًا في الحصول على أية معلومة منه؛ حيث إن مايكل شخص انطوائي بشكل كبير".

سألت صوفي عن الموعد الذي يمكنها فيه رؤية والدتها. فأعطيتها المعلومات، بالإضافة إلى بطاقتي، ثم ودعناها.

اتصل كونكلين بمايكل دان من السيارة، ورد عليه من الاتصال الأول. ووافق على مقابلتنا في مقر قيادة الشرطة.

الفصل
83

بعد ثلاث ساعات من لقائنا مع صوفي دان، كنت أنا وكونكلين جالسين على طاولة صغيرة في غرفة الاستجواب رقم ١ مع شقيقها الأكبر مايكل.

تولى كونكلين زمام المبادرة، وانتهزت أنا فرصة النظر إلى مايكل بإمعان.

كان دان في نحو الثلاثين من عمره، وهو شاب متوسط الطول والبنية، ذو شعر داكن اللون، لديه لحية خفيفة، وعينان عسليتا اللون مثل أمه. كان يرتدي زي العمل المكتبي؛ وهو عبارة عن معطف أنيق رمادي داكن، وقميص أزرق اللون بأزرار كاملة، وربطة عنق مخططة تقليدية، وسروال رمادي، وأبرز هذه الأشياء هو خاتم زواج. تعجبت من ذلك؛ حيث قالت صوفي دان إن أخاها كان مطلقًا.

كان كونكلين يخبر دان بمكان وقوع إطلاق النار، ونتائج التشريح. نظرت إلى وجه ابن ميلي بحثًا عن علامات الحزن أو الصدمة على ملامحه، لكن مايكل لم يظهر سوى القليل من العاطفة.

قال: "هي التي عرضت نفسها للخطر، ولكن لماذا قد يقوم أحد بقتلها؟ لقد كانت إنسانة مسالمة وغير تصادمية".

فسألته: "متى كانت آخر مرة تحدثت فيها إلى والدتك؟".

فأجاب قائلًا: "قبل ثلاث سنوات ربما؟ لا أتذكر بالضبط؛ فهي لا تحمل هاتفًا، أو ربما لم تعطني الرقم. لقد ذهبت إلى المنزل عدة مرات، لكنني لم أجدها قط".

هز رأسه.

ثم أردف قائلًا: "لقد اختل توازنها النفسي بعد وفاة أبي؛ حيث تركت المدرسة، وعادت إلى البيت، لكنها انفصلت عني، وعن صوفي، وعن المنزل. بالنسبة إليها كان أهم شيء هو العيش مع المشردين".

فقلت له: "لا بد أن هذا خلَّف لديك شعورًا سيئًا للغاية".

هز كتفيه في أسى، ثم قال: "لا أفهم كيف يمكنني مساعدتك".

فقمت بتغيير مسار الاستجواب قائلة: "ماذا عن خاتم زفافك؟ لقد قالت صوفي إنك مطلَّق".

أخيرًا لاحت على وجهه لمحة عابرة من حزن.

قال: "كانت طليقتي تطلق عليها اسم "ميلي غريبة الأطوار"، على أية حال، ليس هناك سبب يدعوني إلى أن أخلع الخاتم، فأنا أحبه، ولا يروق لي التغيير".

ومع ذلك فقد بدا أن حياته اضطربت بسبب وفاة والده، وغياب والدته، ثم الطلاق الذي لم يقبله مايكل باعتباره أمرًا نهائيًّا.

شعرت ببعض الشفقة تجاه مايكل، وصدقت رأي صوفي بأنه منطو، ولكن كان من الغريب أنه لم يكن لديه فضول بشأن كيفية وفاة والدته، لكن في المرات القليلة التي التقت فيها عيناه بأعيننا، رأيت أنه كان يحاول أن ينظر *إليَّ*.

قلت: "السيد دان، إن الأمر مُلتبس علينا تمامًا، ومن ثم فإن أي شيء يمكنك إضافته، حتى لو كان تخمينًا، سيكون موضع تقدير. لقد كنت أحب أمك، وأريد حقًّا القبض على قاتلها".

لف دان الخاتم حول إصبعه البنصر، فلفت انتباهي إليه مرة أخرى. كان جميلًا ومصنوعًا من الذهب الأبيض، وحوافه من الذهب الأصفر.

قال لي: "كما أخبرتك، إنني لا أعرف صديقاتها، أو عاداتها، أو أي شيء عما حدث لها، ولا أستطيع حتى التخمين"، ثم أشاح بناظريه بعيدًا.

قلت له: "يجب أن أسألك يا سيد دان، أين كنت في الليلة التي قُتلت فيها والدتك؟".

فقال مايكل، وهو في حالة من الضجر: "أنا؟ أية ليلة كانت تلك الليلة؟ لا، لا يهم ذلك، فأنا أقوم بالروتين ذاته كل يوم وليلة. أذهب إلى العمل في التاسعة، وأقوم بإجراء الأبحاث القانونية من أجل المحامين الثلاثة في إدارة بيفي وسميث المالية. أتناول غدائي على مكتبي. وأغادر العمل في السادسة،

وأذهب إلى المنزل، أسخن العشاء، وأشاهد التلفاز، ثم أذهب إلى الفراش بعد مشاهـدة الأخبار. تلك هي حياتي التـي تتكرر أحداثها يوميًّا على النحو نفسه. هذا هو ما أريده. لا ضغوط، بل الهدوء، وأن يكون كل شيء قابلًا للتنبؤ".

وكانت لديه حجة يمكن التنبؤ بها أيضًا. لم يعجبني ذلك. كان هناك شيء ما يحدث مع مايكل دان لم يخبرنا به. لا يهم ما قاله، بل المهم ما يعرفه.

نظـر إلى ساعته، وقال: "انظـرا. لديَّ كومة من المستنـدات، ورئيسي في انتظارهـا. آمـل أن تقبضـا على قاتل أمـي. إنها كانت مجنونـة، لكنها لم تكن تستحق أن تُقتل".

ونهض من مقعده، وارتدى سترته الثقيلة.

ثم قال: "إذا ألقيتما القبض على القاتل، فأخبراني. اتفقنا؟".

قـال كونكلين: "بالطبع"، ثم رافق مايـكل دان إلى المصعد. جلستُ لحظة محدقة إلى الحائط.

فكرت في نظرات مايكل السريعة، كأنه يريد فحصي، ويتجنب التقاء عينيه بعينيَّ في الوقت نفسه.

لكنني نظرت إليه، والآن يراودني شعور بأنني رأيته من قبل.

سوف يُجنُّ جنوني حتى أعرف متى رأيته وأين.

الفصل
84

بعدما عدنا إلى مكتبنا، قلت لكونكلين: "هل يبدو مايكل دان مألوفًا لديك؟".

فقال كونكلين: "ربما يذكّرني قليلًا بالممثل جيمي فالون".

فسألته: "هل تعتقد ذلك؟".

الشعور الذي كان يراودني هو أنني قد رأيت دان قبل أن تحتدم الأمور على هذا النحو. ظللت أقارنه في ذهني بأخته وأمه، ولكن على الرغم من أن لهم جميعًا العيون عسلية اللون ذاتها، فإنني أشعر بأن هذا كل ما في الأمر.

ثم خطر لي شيء ما.

فتحت، على جهاز الحاسوب الخاص بي، الملف الذي وضعت فيه اللقطات التي التقطتها للحشد الذي كان يقف وراء الشريط في تلك الليلة الممطرة في شارع جيري، ثم دققت فيهم جميعهم، قبل أن أضع إصبعي على وجه رجل يشبه مايكل دان بشدة، لقد بدا الذهول على ميلي عندما عرضتُ هذه الصور عليها، فهل رأت ابنها في هذا الحشد؟

فقلت: "تعالَ إلى هنا يا ريتشي".

فقال: "أجل أيتها الرئيس".

جاء، ونظر إلى حيث كنت أشير.

فسألته: "هل هذا مايكل؟".

كان الرجل الواقف في نهاية صف المارة يرتدي قبعة منسوجة، وسترة تزلج لونها رمادي داكن، ويده اليمنى في جيبه، وكان يمسك ذراع مظلة بيده اليسرى العارية.

كانت المياه تقطر من حواف المظلة.

قال ريتشي: "يمكن أن يكون هو يا بوكسر. الصورة غير نقية تمامًا، ومن الصعب رؤية وجهه من خلال هذه القبعة التي تنزل على حاجبيه، لكنني أفكر فيما ترمين إليه".

قمت بتكبير اليد التي تمسك ذراع المظلة، وركزت على خاتم الزواج الذي يرتديه الرجل.

قلت لريتشي: "لقد لاحظت خاتمه. أليس كذلك؟".

فقال: "فضي، وذو حواف ذهبية".

فقلت: "صحيح، هل هذا هو الخاتم ذاته؟".

فأجاب شريكي قائلًا: "ربما، ولكن كيف أتأكد في مثل هذه الإضاءة؟ وتلك الظلال، ومصابيح السيارات، إنها مشتتات كثيرة بالنسبة إلى صورة التُقِطَت بالهاتف. أريد أن أنظر إلى وجهه مرة أخرى".

ضبطت الصورة على الشاشة، وقلت: "حسنًا؟".

قال ريتشي: "فلنذهب إلى شريط الفيديو".

انتقل إلى مكتبه، وأمسك هاتفه، ونقر بأصابعه على بضعة أرقام، وهو يقول: "ربما نستطيع اللحاق ببيني".

بيني هو تقني معالجة الفيديو في غرفة الاستجواب، ويقوم بذلك من بين أدوار أخرى يضطلع بها.

قال كونكلين عبر الهاتف: "بيني، هناك أمر عاجل. أحتاج إلى لقطة ثابتة من الفيديو الذي يظهر فيه الشخص الذي قابلناه أنا والرقيب بوكسر في غرفة الاستجواب رقم ١، اعثر على أفضل لقطة أمامية، وصورة جانبية لوجهه إذا كانت لديك واحدة. هل يمكنك ذلك؟ سأنتظرك".

قطع الاتصال، ثم راح ينقر بأصابعه على المكتب.

كنت أعلم أن كلًّا منا لديه الفكرة ذاتها. يمكن للمختبر أن يقوم ببعض الخدع السحرية البسيطة للتعرف على الوجه في الصورتين، ثم المقارنة بين

مايكل دان الذي أجرينا مقابلة معه، والرجل المجهول الواقف تحت مظلة في شارع جيري.

بينما كنا ننتظر بيني، أجريت بحثًا في قاعدة البيانات عن كل ما يتعلق بمايكل دان. لم أجد الكثير عنه. لم يكن لديه أي سجل جنائي، أو أية بصمات في الملف، أو مخالفة مرورية كذلك.

ثم توصلت إلى نتيجة.

قلت: "يا إلهي!"، وقمت بإدارة شاشتي حتى يتسنى لريتشي قراءة سطر في قاعدة البيانات، يقول: كان مايكل دان الذي يقطن في يونيون ستريت في سان فرانسيسكو يملك مسدسًا مسجلًا من طراز كيمبر عيار ٩ مم".

قال ريتشي: "ملاحظة جيدة".

فقلت له: "شكرًا يا صديقي".

كانت ملاحظة جيدة. كان مايكل دان قد اشترى مسدسًا من النوع نفسه الذي استُخدم في قتل العديد من الأشخاص المشردين، بمن فيهم ميلي كوشينج والدته.

لقد احتفظ المختبر بالرصاص الذي استُخرج من جثث جيمي دولان، ولورا راسل، ولو دِو، وميلي كوشينج، وقد قيَّد خبراء المقذوفات تلك القضايا ضد مجهول. لقد أُطلقت تلك الطلقات جميعًا من المسدس نفسه، وهو مسدس لم يستخدم في أية جريمة، أو في أي شيء آخر مسجل في قاعدة بياناتنا.

لم يكن الأمر واضحًا بشكل تام بعد، ولكن إذا كان الرجل الغامض في شارع جيري هو مايكل دان، وكان لديه سلاح يتناسب مع النوع الذي قتل والدته، فإن هذا سيكون سببًا كافيًا لإلقاء القبض عليه للاشتباه في ارتكابه جريمة قتل.

هل جاءت تلك الرصاصات من مسدس مايكل دان؟

ينبغي لنا حقًّا الوصول إلى مسدسه.

الفصل
85

كانت الساعة الثامنة والنصف من صباح اليوم التالي لمقابلتنا مايكل دان.

جلست أنا وكونكلين معًا في سيارة دورية متوقفة بالقرب من تقاطع ليدسدورف وشارع كوميرشال في الحي المالي. كان مبنى ترانس أمريكا خلفنا مباشرة، وكنا على مسافة قريبة من مبنى المكاتب المكون من ثلاثة طوابق باللونين الأحمر والأبيض، الذي كان دان يعمل فيه مساعدًا قانونيًّا.

تلقينا تأكيدًا من المختبر أن الرجل الذي التقينا به في غرفة المقابلة هو الشخص نفسه الذي التقطت صورته، وهو يقف على الجانب الآخر من الشارع الذي وجد فيه جسد تلك المرأة الميتة المسكينة في شارع جيري.

لم يذكر لنا مايكل دان أي شيء عن الجريمة التي وقعت في شارع جيري. لماذا لم يذكر أنه رأى جثة تلك المرأة التي لقيت مصرعها على النحو نفسه الذي عرفه الآن عن موت أمه؟

يمكننا استدعاؤه واحتجازه باعتباره شاهدًا أساسيًّا لمدة ثمانٍ وأربعين ساعة؛ إلى أن نحصل من مساعد المدعي العام على مذكرة تفتيش شقته.

لكنني لا أستطيع أنا أو ريتشي تحمل الجلوس في مكتبينا في انتظار مساعد المدعي العام ليجد قاضيًا يوقع إذن التفتيش؛ وبخاصة أن هذا المشتبه فيه مايكل دان لا يزال يتجول بمسدسه.

كانت خطتنا بسيطة ومشروعة تمامًا؛ وهي أن نصطحب دان ونعيده إلى المقر لاستجوابه عن إطلاق النار على لو دو في شارع جيري.

وهذا من شأنه توفير بعض الوقت، وربما يقدم دان إلينا معلومات يمكن أن نستفيد منها لاعتقاله بتهمة القتل.

أخبرنا دان بأنه شخص لا يتخلى عن عاداته، وأنه في كل يوم يصل إلى مكتبه في التاسعة صباحًا، وأنه يمضي يومه في إجراء أبحاث قانونية، وعند انتهاء عمله يذهب إلى المنزل. هذا ما كان يطلق عليه حياة "تتكرر أحداثها يوميًّا على النحو نفسه".

آمل أن يكون اليوم يومًا آخر من أيام مايكل دان التي تتكرر أحداثها على النحو نفسه.

خفَّضت صوت جهاز اللاسلكي، حتى أصبح هامسًا، وشاهدت حركة المرور في الصباح الباكر في ليدسدورف؛ وهو شارع ساحر على بُعد بضعة مبانٍ سكنية من ميدان سيدني جي. والتون، وعلى مسافة ثمانية أو تسعة مبانٍ من كل من البناية رقم ٧٧ بشارع جيري، والمكان الذي قتلت فيه ميلي كوشينج في شارع ميشين منذ أسبوع.

كان الصخب عاليًا جدًّا في أرجاء شارع ميشن بعد وفاة ميلي. تذكرت كل دقيقة من تلك الليلة بدرجة كبيرة من الوضوح، فقد كنت أقف هناك في الضباب، محاطة بالأضواء الحمراء والزرقاء اللامعة، بالإضافة إلى صراخ صافرات سيارات فرق إنفاذ القانون التي تهرع في اتجاه مسرح الجريمة من جميع الجهات.

إذا كان مايكل يتجول في المنطقة في ذلك الوقت، فإنه استطاع أن يرى ما حدث، وربما كان اتصل بنفسه بغرفة العمليات للإبلاغ عن الحادث.

الفصل
86

شعرت بالأدرينالين يتدفق في جسدي، قبل أن يربط عقلي بين الأمور.

كان مايكل دان يسير نحو مبنى مكتبه في الوقت المناسب.

قلت لريتشي: "ها هو ذا. أتراه؟".

كان الرجل الذي يشبه جيمي فالون بشكل أو بآخر، يمر بالتقاطع في شارع كوميرشال، متجهًا نحونا في شارع ليدسدورف في اتجاه المبنى المكون من ثلاثة طوابق، ويعمل فيه منذ الساعة التاسعة إلى السادسة، خمسة أيام أسبوعيًّا.

كان يرتدي قبعة منسوجة على جبينه، ويدس كلتا يديه في جيبي معطفه الثقيل. نظر إلى الأمام مباشرةً، واجتاز فريق الدعم الخاص بنا دون أن يلاحظه.

أمسكت باللاسلكي، وقلت لناردون: "بوب. إن المشتبه به يسير على قدميه شمالًا في ليدسدورف. لقد مر بك من فوره، وهو يرتدي سترة سوداء، وقبعة سوداء منسوجة".

قال ناردون: "تلقيت ذلك".

"ابقَ في سيارتك حتى أحتاج إليك".

خرجت أنا وكونكلين من سيارة الدورية، وسرنا نحو دان، وأوقفناه على الرصيف.

قلت: "سيد دان، من الطيب أننا وصلنا إليك. إننا في حاجة إلى طرح المزيد من الأسئلة عليك".

قال: "لديَّ اجتماع في التاسعة والربع. هل بإمكاني العودة إليك بعد الانتهاء من الاجتماع؟".

بدأ يجتازنا، لكن كونكلين وضع يده لعرقلة مروره.

قال كونكلين: "أنا آسف سيد دان. إنه أمر في غاية الأهمية. لدينا بعض الصور نود عرضها عليك، ونحن في حاجة إلى أن تساعدنا على إيضاح بعض المسائل، ولا بد أن يتم ذلك الآن، ولا يمكن إرجاؤه".

فقال مايكل: "هل أنا قيد الاعتقال؟".

فسألته: "لماذا تطرح هذا السؤال؟".

فأجاب قائلًا: "لأنكِ آتية إليَّ كما لو كنت مشتبهًا فيه".

فقلت له: "سيد مايكل دان. إننا في حاجة إلى مساعدتك، فكلما طالت مدة البحث عمن أطلق النار على والدتك، زاد احتمال أن تقيد القضية ضد مجهول، أو أن تسقط ضحية أخرى".

ثبت دان قدميه، ومما بدا على وجهه من حنق، ظننت أنه سيلكمني، أو سيركض.

قال: "ابتعدي عن طريقي. اغربي عن وجهي وإلا قتلتكِ".

صرت لا أدري ما الذي جرى عندما انطلقت ذراعه، ووصلت إلى كتفي. أفقدتني الصدمة توازني. ترنحت بعض الشيء، ولكنني تمكنت من الحفاظ على ثبات قدميَّ.

حررت أصفادي من حزامي، وصحت قائلةً: "ضع يديك خلف ظهرك يا مايكل دان. إنك رهن الاعتقال لاعتدائك على ضابط شرطة".

حول دان عينيه إلى الأصفاد، وبدأ يتلعثم متلفظًا بكلام لا معنى له. لم أكن أعرف ما كان يفكر فيه، أو يقوله، ولكنني عرفت شيئًا واحدًا؛ المسدس الذي أريده بشدة.

كان في يده، وموجهًا إليَّ.

ركضت مسرعة، وأنا أصيح: "مسدس!".

الفصل
87

أسرعت السيارات خلف مايكل، وسمع صوتها، لكن رؤيته كانت تتقطع إلى أجزاء صغيرة كفيلم قديم في جهاز عرض الأفلام.

في لحظة كانت الشرطية التي تدعى بوكسر آتية نحوه. إنه يكرهها؛ حيث كانت مثل والدته. يجب أن تنال عقابها، حتى لا يتكبد أي شخص ما تكبده.

لكن الشرطي الآخر كان يعترض طريقه.

ابتعدي عني. ابتعدي.

دفعها، وهو يعانق مؤخرة مسدسه العزيز.

أصبح كل شيء ضبابيًّا في ذهنه. *أمي. لماذا؟ لماذا لا تحبينني؟*

كانت ترتد نحوه، لذلك صوب مسدسه نحوها.

صاحت: "مسدس!"، فضغط على الزناد. شعر بارتداد المسدس يسري من يده حتى كتفه، وتسارع خفقان قلبه.

ضحك مايكل، وأطلق النار مرة أخرى. صار هناك دويٌّ أصوات مختلطة؛ صوت صرير مكابح سيارة على الأرض، صوت الطلقة بفعل ارتطامها بمعدن. كانت أفكاره عبارة عن صور عابرة؛ جميعها عن أمه.

لماذا لا تحبينني؟ لماذا لم تحبيني؟

سقط على ظهره؛ داس أحدهم على يده، وأُبعد المسدس عنه. وتدحرج ومد يده إليه حتى يمسك به، لكنه لم يستطع.

"أمي. أين أنتِ الآن؟" .

كان هنـاك صوت صياح موجه إليــه. لم يفهم. كانت وجوههم ضخمة أمام عينيــه، وكانت وجنته على الرصيف. صاح أحدهــم باسمه، وسدد أحدهم إليه ركلــة على جانــب رأسه، وأخرى فــي أمعائه. وتم تثبيــت معصميه خلف ظهره بإحكام، وتم جره حتى وقف على قدميه. ثم رأى شخصًا يعرفه.

إنه روجر دونكان، رئيسه في العمل.

سمع دونكان يقول: "ماذا يجري هنا؟".

صاح مايكل قائلًا: "لقد فعلتها يا روجر. لقد قتلت والدتي، ولست في حاجة إلى محام".

كانــتْ شخصيته الحقيقية تتجلى. إنه لم يشعر قـط بهذه الحرية والشعور بالحيــاة. كانت هناك يد علــى رأسه تدفعه إلى أسفل. *أيتها الحقيرة. لقد كنتِ دومًا حقيرة*. كان يقول ذلك لها - *لأمــه*.

أغلق باب السيارة بقوة.

قــرع دونكان علــى النافذة، وكان وجهــه كبيرًا في حجم القمــر، كان يقول بصوت مكتوم: "سألتقي بك في غرفة الاعتقال. لا تتفوه بكلمة لأحد".

كان يعيش في اللحظة الحالية بكل تفاصيلها الحقيقية. رأى مايكل كل ذلك بوضوح الآن. قال: "لا بأس يا دونكان. لقد قتلت والدتي. لقد قتلتهم جميعًا".

تم دفع مايكل إلى المقعد، فلم يعترض. ثم بدأ يدندن أغنية عن جرو سعيد يهز ذيله.

شعر بالحرية أخيرًا، وبأن الحياة رائعة.

الجزء الثالث

الفصل
88

كنت على مكتبي في غرفة الفريق عندما فتحت حقيبة تسوق صغيرة، وأخرجت ورقة ملاحظة، وحزمة ملفوفة بالألومنيوم.

كان كونكلين يرتدي معطفه الثقيل، ثم قال لي: "سأذهب سريعًا أنا وكابي لتناول طعام الغداء. تعالي معنا".

فقلت: "في وقت لاحق".

فقال لي: "يمكنك تناول لحم الأضلاع المميز، وستدفعين سبعة دولارات فقط".

قشرت رقائق الألومنيوم، وألقيت نظرة على شرائح الخبز، وشطيرة اللحم، وورقة ملاحظة مكتوب عليها "تناولي الطعام. أحبك؛ جو".

كان هذا لا يقدر بثمن.

عندما عدت إلى المنزل الليلة الماضية، نظر جو نظرة واحدة إليَّ، وعانقني، وخلع عني قميصي ومسدسي، وأجلسني، ثم خلع عني حذائي، وصبَّ لي مشروبًا.

قال: "تحدثي معي".

بمجرد أن بدأت الحديث، لم أستطع التوقف. استمع جو إلى كل كلمة عن ملاحقة مايكل دان في ذلك الصباح: هذيانه المليء بالسباب عندما واجهته. الطلقات الوحشية التي أطلقها، وأدت إحداها إلى خلق مفرق شعر جديد في

فـروة رأس الرقيب نـاردون. واعترافه بكل شيء، فيما عدا اغتيال كينيدي، في أثناء احتجازه في سيارة الدورية.

ثم أوجـزت قائلة: "إن دان في زنزانة انفراديـة الآن تحت حراسة مشددة فـي انتظار محاكمته، ومن ثـم يمكن للناس في الشـوارع تنفس الصعداء هذه الليلة، وأنا أيضًا".

قدم لي جو شريحة اللحم، والإضافات الأخرى. وبينما كنت أتناول الطعام، أخبرنـي عن يومه في رعاية المنزل، فحدثني عـن البط في الحديقة، والكلمة الجديـدة التي نطقتها جولي، وهـي *باندا*، وعن اللعب مع مارثـا، وقَصّة شعره التـي أثارت إعجابي. نهضت عـن الطاولة لأحرك أصابعي خلال شعره الكثيف الذي نما مؤخرًا، وكان يخفي الندبة العميقة في مؤخرة رأسه.

أثنيت عليه قائلة: "قَصة شعر لطيفة".

قال: "إنها من أجل مقابلة العمل".

حتـى عندما كان جو نفسه متحمسًا لاحتمال عودته إلى العمل، كنت أعرف أن جـزءًا منه كان يريدني أن أتولى العمـل المكتبي، وأن أنجب طفلًا آخر، وأن أتوقف عن العبث مع أولئك المختلين بمسدساتهم.

حاولت تخيل الأمر، لكنني لم أستطع تشكيل الصورة.

في تلك الليلـة تناولت العشاء وكأسين من العصير الإيطالي الرائع. وبفعل الإرهـاق، نمـت دون حراك طوال الليل، مثل صخرة، أو جـذع شجرة، أو شمعة احترقت عن آخرها.

والآن وأنـا أجلس إلى مكتبي، وأنظر إلـى شريحة اللحم التي أعدها لي جو بيديه الحنونتين، شعرت بأن كل شيء على ما يرام.

قلت لشريكي: "أميل الآن إلى تناول وجبة سريعة، شكرًا على كل حال".

ولـدى خروج كونكلين، التقى يوكـي وهي آتية من الباب. ورغم أنني اعتدت رؤيتهـا في حالة تماسـك وتركيز تام، فإنها كانت تبـدو منهكة. سحبت كرسي مكتب كونكلين الذي أصبح فارغًا الآن، وارتمت فوقه.

أخبرتها قائلة: "إن برادي في اجتماع في الطابق العلوي".

قالت يوكي: "أعلم ذلك. لقد جئت لرؤيتك".

الفصل
89

قلت ليوكي: "توقيت ممتاز، إنني أتناول الغداء على مكتبي. فما الذي يجري؟".

مررت يوكي يديها خلال شعرها، وقبلت نصف شطيرتي بسرور.

ثم قالت: "الأمور تخرج من نطاق السيطرة في قضيتي يا ليندسي، بدأت أظن أن شاهدي الرئيسي كاذب كبير. إذا كان ذلك صحيحًا، فقد تكون القضية برمتها المرفوعة ضد بريانا هيل عبارة عن كذبة، وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد لي من الحيلولة دون ذلك، في الحال".

قلت لها: "لنعد إلى الوراء قليلاً، ما الأكاذيب التي تتحدثين عنها؟".

استندت يوكي إلى مكتب كونكلين، وألقت ما في جوفها من المخاوف التي تتمثل في إضافة مارك تفاصيل ملفقة إلى قضيته الأصلية عن الاعتداء، في حين أنه كان تحت القسم.

قالت يوكي: "لكن الأمر ازداد سوءًا؛ حيث عرض جيمس جيفتوس بعض رسائل الهاتف القديمة من مارك إلى بريانا، بدت كأنه كان يقوم *بابتزازها*".

فسألتها في اندهاش: "*حقًا*؟ هل أنتِ جادة في ذلك؟".

استطردت يوكي قائلة: "ليندسي، هل تتذكرين ما أخبرتك به عن بول بيتس؟".

فقلت لها: "إنه الشخص الذي التقى بريانا هيل في غرفة النوم، وادعى أنها قد هددته بمسدس".

قالت يوكي: "صحيح. لم يكن هناك ما يؤكد ذلك، ولكن شهادة ييتس بمحاولة الاغتصاب تحت تهديد المسدس أضفت مصداقية على قصة مارك، أما الآن، فإن الشكوك تساورني في قضية ييتس أيضًا. أود التحدث إليه مرة أخرى، وفحص خفايا قصته بشكل أكثر عمقًا، ومن ثم إما أن أدحضها، وأبين مدى زيفها، أو أن أهدئ من ضجيج الأسئلة التي تملأ عقلي".

فقالت: "يبدو ذلك عين الصواب".

قالت يوكي: "لقد اتصلت ببول في منزله وعمله، وتركت له الرسائل، وكتبت له رسائل نصية، لكنه لم يعاود الاتصال بي. فما المانع إذن؟ ولذلك قبل أن أثير ضجة عن شيء لا وجود له، فهل بإمكانك معرفة بعض المعلومات عن مارك كريستوفر وبول ييتس من خلال مركز معلومات الجريمة الوطني؟ عن كليهما؟".

فسألتها: "هل اسمه ياتس مثل الشاعر؟".

فقالت: "ي-ي-ت-س. بول جي".

دخلتُ إلى مركز معلومات الجريمة الوطني؛ التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالي، وكتبت *مارك كريستوفر*. لم يستغرق الأمر سوى دقائق معدودة لأتأكد بنفسي أن مارك كريستوفر لم يكن موجودًا فيها. إن سجله نظيف.

أخبرت يوكي: "لم أجد شيئًا عن مارك".

قالت: "حسنًا. جيد"، ثم قضمت قطعة من شريحة اللحم مع الخبز.

كتبتُ *بول جي. ييتس*، وتركت البرنامج يبحث عنه، كنت على وشك أن أقول: "لا توجد معلومات عنه أيضًا"، وذلك حينما ظهر اسم بول جنتري ييتس في ملف الإفراج المشروط. كان قد قُبض عليه قبل عشر سنوات عندما كان فتى جامعيًا في التاسعة عشرة من عمره.

فقلت لها: "يوكي. لقد وجدتُ شيئًا ستودين رؤيته".

ضغطت على بعض الأزرار، وأخرجت الطابعة أمر الاعتقال، فأدرت مقعدي، وأخذت التقرير من درج الطابعة، وسلمته إلى يوكي.

قرأته، ثم رفعت بصرها إليَّ، والصدمة تعتلي ملامحها، ثم قالت: "عليَّ أن أبلغ ريد دوج بذلك على الفور".

الفصل 90

دفعت يوكي بكرسيها بعيدًا حتى أعادته إلى مكتب كونكلين، وركضت، وقالت، وهي تلتفت إلى ليندسي: "يجب أن أعود إلى المحكمة في غضون ثلاثين دقيقة".

صاحت ليندسي: "أتمنى لكِ حظًّا موفقًا"، وكانت يوكي تخرج من مخرج الطوارئ، وتركض على السلالم إلى الطابق الثالث.

كانت تسير باندفاع على طول الممر المؤدي إلى مكتب باريزي.

كان المدعي العام في اجتماع مغلق، ولكن يوكي لم تستطع الانتظار، ولم يكن لين ليرغب في أن تنتظر أيضًا. قالت لسكرتيره توني، وهي تمر به دون أن تنتظر ردًّا منه: "إنه أمر عاجل". واقتحمت مكتب رئيسها، ثم قالت: "لا بد أن أتحدث إليك الآن".

طلب باريزي من الرجلين الموجودين في مكتبه الانتظار بضع دقائق، ثم خرج إلى الممر، وسأل يوكي ما الأمر.

قالت: "حاول بول بيتس ابتزاز أحد الأساتذة عندما كان في الكلية".

سأل باريزي قائلًا: "وماذا بعد؟ ما مآل ذلك".

قالت يوكي: "حسنًا. قبل عشر سنوات، عندما كان بيتس في جامعة كاليفورنيا، هدد أستاذ علم الاجتماع الذي كان يدرس له بأنه سيقاضيه بتهمة استخدام لغة غير لائقة، إن لم يمنحه درجة النجاح. تعامل الأستاذ بشكل

مباشر مـع ذلك، ونقله إلى العميد الذي اتصل بدوره بالشرطة، فأُلْقي القبض على بيتس. أعطاه القاضي سنة يظل خلالها تحت المراقبة، ثم طُرد بيتس من الجامعة".

بـدأ مدخل الممر خارج مكتـب لين يمتلئ بالمارة، فـأدارت يوكي ظهرها، وواصلت كلامها.

قالـت: "لين، لم أكن لأصدق أن بول بيتس كان قادرًا على الابتزاز، فهو ... جبان".

قال لين: "هذه إشارة تحذير تدعو إلى التفكير، وأتفق معك في ذلك، ولكن هذا لا يعني أنه حنث بقسمه ضد هيل".

قالـت يوكي: "أقوم بربط الأمور بعضهـا مع بعض بالأسلوب التالي: إن بول يعرف مـارك، وقد أخبره بعمله الطائش في جامعـة كاليفورنيا. شهدت بريانا بأنها بدأت فقدان مشاعرها تجاه مارك، ففهم الرسالة. إنه يشعر بالاضطهاد والجشع أيضًا. كما أن ابتزاز بول قد أوحى إليه بفكرة؛ وهي نصب فخ لبريانا، ومحاولة ابتزازها، فطلبت منه هيل أن يتوقف عن إزعاجها".

قال باريزي: "إذن، مارك قد جُنَّ جنونه آنذاك".

فقالـت: "هذا صحيح. لقد حذرها وهي لم تذعـن لتحذيره؛ لذلك رأى أن الوقـت قد حـان لإرغامها على دفع مبلـغ من المال إليه، وعندمـا لم تستجب، أخذ مارك شريط الفيديو إلى رجال الشرطة. كان منفعلًا، وكان على معصميه وكاحليـه علامـات تقييد باهتـة، كما أنـه كان يمتلك هـذا الفيديـو، وبالطبع صدقوه، وكذلك نحن؛ فاتهمنا بريانا".

فقال: "هذه مجرد نظرية".

قالـت لـه: "ليـن، إن نظريتي بأن مـارك وبول قـد تواطآ معًـا، هي مجرد تكهنـات. وقد بزغت هذه الفكرة لي عندما قال مارك قصته الجديدة المعدلة فـوق المنصة. هـل استعاد الذكريات القديمة فحسـب أم أنه كان يكذب؟ وإذا كان يكذب، يجب أن أتساءل: هل قصته كلها محض افتراء؟".

بدا لين منزعجًا، لكنه كان يتحلى بالصبر معها.

قالت يوكي: "باختصار، لدينا شاهد له تاريخ من الابتزاز. لا يمكنني إثبات أن مـارك كان كاذبًـا، لكنني أتسـاءل عن مدى صحة روايته. أمـا بالنسبة إلى المدعى عليها، فقد كانت شهادتها محطمة للقلوب".

فقال: "بمعنى أنها ممثلة بارعة؟ أم أن التهمة ملفقة لها بالفعل؟".

حركت يوكي كتفيها، وقالت: "أنا مترددة. أريد بعض الأدلة قبل أن نبدأ التصرف".

سيكون على النيابة العامة التزام قانوني بسحب التهم، إذا كانت الدعوة المرفوعة ضد بريانا هيل خاطئة. وإذا خاضت يوكي تلك القضية دون ثقة بذنب المدعى عليها، فقد تشطب من جدول المحامين.

قالت: "أنا في حاجة إلى التحدث مع بيتس مرة أخرى. فإذا غيَّر قصته، وقال إنه اختلق الحديث الذي دار بينه وبين بريانا، فسأعود إلى مارك، وسأضغط عليه حتى يأتيني بما عنده".

ثم أضافت: "هل يمكنك أن تطلب من راثبيرن تأجيل الجلسة؟".

قال لين: "سأحاول".

استخدم باريزي هاتف مكتبه، واتصل بالقاضي راثبيرن، وشرح له في خمس وعشرين كلمة أو أقل مستجدات الموقف، فوافق على التأجيل حتى صباح اليوم التالي.

قال باريزي ليوكي: "إنها منحة. فاستغليها إلى أقصى حد".

الفصل 91

بينما توجهت يوكي إلى مكتبها، اتصلت بآرثر، وتركت له رسالة تطلعه على آخر المستجدات بما في ذلك إرجاء المحكمة حتى صباح الغد.

كانت قد عادت من فورها إلى مكتبها، عندما رن هاتفها.

قالت في السماعة: "آرثر؟".

فجاءها الرد: "أنا سيندي".

لم تكن يوكي على استعداد للتحدث مع أي أحد في خضم هذه الأحداث سوى عدد قليل جدًّا من الناس، لكن سيندي كانت من بين هؤلاء.

قالت يوكي: "أنا في عجلة من أمري".

قالت سيندي: "أنا أيضًا. هل سمعتِ ما حدث؟".

قالت يوكي: "ربما لا. أخبريني".

فقالت سيندي: "إنه تحذير من صديقة لصديقة. لقد حصلت عليه من ماسح الشرطة، وقمت بإجراء مكالمتين للمتابعة. إنه بشأن بول بيتس. إنه شاهدك، أليس كذلك؟".

فقالت يوكي: "أجل! ما أمره؟".

فقالت: "لقد انتحر هذا الصباح. شنق نفسه".

تهاوت يوكي بقوة على الكرسي خلف مكتبها.

ثم قالت: "لا، لا يمكن أن يكون ذلك صحيحًا".

أكدت لها سيندي أن مصادرها موثوق بها.

قالـت سيندي: "سأنشر عدة ملامح عن هـذه القصة على مدونة الجريمة الخاصـة بـي في غضـون عشر دقائـق. إن كلير لديهـا جثة بيتسـ الآن؛ لذلك تحدثي إليها".

جلست يوكي لحظة لتحاول وضع هذا الخبر العاجل في سياق اجتماعها مع باريـزي، واجتماعاتها السابقة مع بيتسـ، والنظر إلى تأثير وفاته في قضيتها، التي تتداعى بسرعة عالية، وتتناثر في الأرجاء.

قالت سيندي: "يوكي؟ يوكي؟".

قالـت يوكي: "أنا هنا. إنني مذهولة فحسب، هذا كل ما في الأمر. شكرًا يا سيندي".

أغلقـت يوكي الخط مـع سيندي، واتصلت بمكتب كليـر، وأُخبرت بأن كلير غيـر موجـودة؛ فطلبت التحدث إلى مساعد معمل كليـر باني إيليس، وبعد عدة دقائـق من سماع صوت موسيقـى الانتظار التي أزعجتهـا، كان باني معها على الخط.

فقالـت يوكي: "باني، معك كاستيلانو مساعـد المدعي العام. هل جثة بول بيتس بحوزتكم؟".

فأجاب: "إن كلير معه الآن".

كان علـى يوكي أن تعرف، علـى وجه اليقين، هل كان موت بول جريمة قتل، أم انتحارًا، أم حادثًا، أم أن ذلك لم يتحدد بعد؟ فقالت لبوني: "كان شاهدًا في قضيتي. كم سيستغرق الأمر من وقت قبل أن تتحدد طريقة الوفاة وأسبابها؟".

قال باني: "سأجعل كلير تتصل بك. اتفقنا؟".

قالـت يوكي: "*انتظر* يا بانـي، هل لديك اسم الضابـط، أو الضباط الذين أُبلغوا بذلك؟".

بمجرد أن عرفت يوكي أسماء الضباط الذين كانوا أول من وصل إلى موقع الحادث، هاتفت ليندسي، وطلبت منها البحث عن التقرير.

قالـت ليندسي: "حسنًا. لقد حصلت على الملف، ويفيد بأن بول بيتس عُثر عليـه ميتًا فـي شقته هذا الصباح من خلال صديقته التـي قلقت بشأنه عندما لم يُجب اتصالها. وقد استخدم حبل غسيل وربطه في مقبض باب غرفة نومه، ومدَّه إلى أعلى الباب، وعقده حول عنقه. وسُجِّل ذلك بوصفه انتحارًا واضحًا".

أرسلـت يوكي إلى باريزي رسالـة نصية، ثم اتصلت بآرثر مجددًا، وبعد أن أوجزت له ما حدث، سألها قائلًا: "ماذا سنفعل الآن؟".

فقالت له: "أود التحدث إلى مارك كريستوفر".

فقال آرثر: "كيف يمكنني مساعدتك؟".

فقالـت يوكي: "اذهـب إلى مكتب الطبيـب الشرعي، وانتظـر شهادة وفاة بيتس. سأبلغهم بأنك هناك".

الفصل
92

حدث لي شيء لم أفهمه.

كنت أسبح في الظلام، تحيط بي أصوات لا أفهمها. كنت فاقدة الحس، وأشعر بالبرد في الوقت ذاته، وكان رأسي يتألم.

هل هذا حلم سيئ حقًّا؟

نقرت يد على وجهي، ثم صفعني شخص ما. أردت أن أغوص مرة أخرى في دوامة المياه، ولكن الوعي قد عاد إليَّ عنوة. أيًّا كان ما حدث، فقد كان حقيقيًّا بالدرجة التي لا تجعله حلمًا.

فتحت عيني.

وقع نظري على جزء من الأرض، ورأيت أرضية السيراميك. امتلأ محيط رؤيتي بصف من أنصاف الأبواب، ثم رأيت أحذية باهتة الألوان بنعال إسفنجية، وأحذية مسطحة حمراء. عرفت حينها أنني كنت في مرحاض السيدات الموجود في نهاية الممر من غرفة الفريق. كنت مستلقية أسفل الحوض، لكنني لم أتذكر المجيء إلى هنا.

صاحت بريندا، مساعدتنا الطبية، في وجهي. أخافني تعبير وجهها.

صاحت قائلة: "ليندسي. هل تسمعينني؟ ماذا حدث لكِ؟".

كانت مرعوبة. هل تم إطلاق النار عليَّ، إذن؟

قلت: "لا أعرف". هذه كانت الحقيقة كاملة، ولا شيء غير ذلك.

لم أكن مستعدة للتحرك، لكنني رفعت رأسي، وحاولت فهم معنى الصخب الدائـر حولي. كان المسعفون مكتظين في المرحاض الصغير، وكانوا يحاولون رفعي على نقالة. قاومت مرة أخرى. ماذا حدث لي؟

انحنى رجل. كان اسمه مطرزًا فوق جيب سترته: إيه. ميرفي.

قال لي: "أنا آندي. هل تتذكرين ما حدث لك؟"، وكانت لديه أسئلة أخرى، وحاولت الإجابة عنها.

"فـي مرحاض السيدات ... ليندسـي بوكسر ... إصبعـان ... الأربعاء ... جورج واشنطن ... أنا بخير".

"سأقرر أنا ذلك يا ليندسي. الآن أخبريني بآخر شيء تتذكرينه".

كانت هذه هي المرة الثانية التي أقول فيها هذا، وما زالت هي الحقيقة التي لا أملك سواها. "لا أعلم ماذا حدث".

وخـز مسعف آخر إصبعي، ثم وضع شخص مـا سماعة على صدري. سلط آندي الضوء على إحدى عيني، ثم على الأخرى.

قال: "هذا جيد يا ليندسي".

ضغطت أصابـع على معصمي، بينما سألني آنـدي المزيد من الأسئلة عن حالتي الصحية؛ من تاريخ أمراض القلب، والمرات السابقة التي تعرضت فيها لفقـدان الوعـي، واسم طبيبي الممارسـ العام، وآخر مرة قمـت فيها بفحص طبي عام. عانيت لأعتدل جالسةً. كان لديَّ ألم في كتفي وجبهتي.

ثم قلت: "أتذكر الآن. جئت إلى هنا لغسل يدي قبل تناول الغداء. لا بد أنني فقدت وعيي".

قـال آندي: "هذا يبدو صحيحًـا. كانت حالة إغماء. مستـوى جلوكوز الدم لديـك طبيعـي، وضغـط دمـك في نطـاق المعـدل الطبيعـي"، ثم طلـب مني مساعدتـه بالنوم على النقالـة. لم تكن أمامهم فرصـة لإخراجي من المدخل الضيق على هذا الشيء.

كانت قوتي تعود، وكذلك وعيي. ولكنني كنت أزداد غضبًا.

قلـت: "أنا بخير يا آندي، من فضلك دعنـي. لقد أغمى عليَّ مرة أو مرتين مـن قبل، عندما لـم أتناول الطعام، وأنـا لم أتناول طعامي اليـوم؛ حيث كنت مشغولة. هل يمكن لأحد أن يساعدني؟".

تحركت يد أسفل إبطي، وتم إيقافي على قدمي. شعرت بدوار، ولكن بدعم من الأيادي القوية، واستنادي إلى الأحواض، وقفت صامدة كالصخرة.

قلت: "أنا بخير. هل ترى ذلك؟".

قال آندي ميرفي: "هناك علامة كبيرة جدًّا تظهر على جبهتك. يجب أن يفحصك أطباء الطوارئ في مستشفى مترو، وأن يتم فحصك بالأشعة المقطعية. إذا كنتِ أختي، فسأصر على ذلك. هذا هو الشيء الصحيح الذي ينبغي لك فعله يا ليندسي".

فقلت له: "أشكرك. سأتصل بزوجي ليوصلني إلى المنزل".

قال المسعف، وهو يقدم إليَّ وثيقة خروج: "لا يمكننا إجبارك على المجيء معنا، ولكن يتعين عليك التوقيع على هذا". وقَّعت على ذلك بسرور، وشكرت الجميع. رافقتني بريندا إلى مكتبي، واتصلت بجو. كنت خائفة، ولكنني حاولت ألا أجعله يسمع الرعشة في صوتي.

ما زلت لم أحدد موعدًا لزيارة الدكتور جلين أربينو، لكن كان عليَّ أن أفعل ذلك. لا يمكنني تبرير تأجيل تلك الزيارة فترةً أطول من ذلك. كانت المشكلة هي أنني أصبحت على يقين الآن بحالتي.

كانت فكرة مرعبة، ولم أستطع تحملها؛ لذلك أرجأت التفكير فيها.

سوف أتعامل معها غدًا.

الفصل
93

راقبت يوكي مارك كريستوفر، وهو يتلوى على أحد الكراسي ذات الإطار المعدني، على الجانب الآخر من مكتبها.

كان قد أسند عكازه إلى الكرسي الثاني. فنقلت مصباح المكتب بضع بوصات، ووضعت هاتفها بحيث يستطيع مارك رؤيته، وضغطت على المسجل.

قالت يوكي: "إنني أقوم بتسجيل اجتماعنا".

سألها مارك: "لماذا؟".

فسألته يوكي: "ألديك مشكلة في تسجيل المحادثة يا مارك؟".

فأجاب مارك قائلًا: "لا أعتقد ذلك، ولكن لماذا تودين ذلك؟".

قالت يوكي: "أود طرح بعض الأسئلة عن بول بيتس. لقد رأيت شهادة وفاته بشكل رسمي، وقد انتحر شنقًا. هل لديك أية فكرة عن سبب إقدامه على ذلك؟".

اختفت ملامح التحدي من وجه مارك، وبدت الدموع على وشك الخروج من عينيه، لكن يوكي أصبحت لا تهتم بذلك حقًّا.

تنحنح مارك مرتين، ثم قال: "لقد سمعت ذلك من فوري. إن الأمر فظيع. لم أتحدث إلى بول منذ .... لا أتذكر.... ربما أسبوع. لا أعرف ماذا أقول".

سألته يوكي مرة أخرى: "مارك، هل لديك أية أفكار عن سبب شنقه نفسه؟".

قال مارك: "إنك تسألين كأن الأمر يتعلق بما حدث في أثناء المحاكمة؟".

لم ترد يوكي على مارك، بل أبقت عينيها عليه.

قال مارك: "ربما أنت على حق. مسكين هو بول، إنه شخص يتسم بالحساسية؛ كان يتسم بالحساسية الشديدة. لم يكن ينبغي لي أن أخبرك عنه. لم يكن أحد ليسمع عنه لو لم أكن أنا موجودًا. يا إلهي! لا أعرف ماذا أفعل أو أقول. أريد لكل هذا أن يتوقف".

سألته يوكي: "هل تعلم أنه عندما كان بول في الكلية، ألقي القبض عليه بسبب محاولته ابتزاز أحد الأساتذة؟".

نظر مارك إليها، كأنها تصوب مسدسًا إليه.

قال: "لا، بالطبع لا".

طرقت يوكي على مكتبها، وصاحت قائلةً: "كف عن *الكذب* عليَّ".

ارتد إلى الوراء، ثم قال: "حسنًا، حسنًا، بول أخبرني بما فعله في الكلية. لا أرى علاقة ذلك بأي شيء. كان شيئًا غير ضار. يوكي! أود منك إسقاط التهم الموجهة إلى بريانا. لقد خرج الأمر عن سيطرتنا. هل بمقدورنا إنهاء هذا الأمر بكامله؟".

قالت يوكي: "إسقاط التهم؟ ما الذي تود مني أن أبلغ به القاضي يا مارك؟ أن الادعاء العام غيَّر رأيه؟".

فسألها: "هل يمكنك فعل ذلك؟".

قالت: "قل لي ما حدث معك ومع بول وبريانا؟".

سألها: "ماذا هناك أكثر من ذلك لأقوله؟".

قالت: "الكثير. سأترك الأمر لمخيلتك".

أخذت يوكي ورقة من مجلد على مكتبها، وأرت مارك إياها.

وقالت له: "هذه رسالة انتحار بول".

قال مارك: "لا. رجاء لا تقرئيها عليَّ".

قالت يوكي: "سأوجزها لك. إن بول قال إنه آسف، وإنه لم يقصد الافتراء على بريانا، وإنه يتمنى لو لم يلتقِ بك يا مارك، ويتمنى لو أنه كان قد استهدف الجزء الأعلى من جسدك عندما أطلق عليك النار بناءً على طلبك".

كان مـارك يقول: "يـا إلهي! يا إلهي!"، وأخذ يبكـي الآن، واضعًا يديه على عينيـه، ولكن مقارنةً بالدموع التـي أراقها على منصة الشهود، كان هذا تمثيلًا سيئًا للغاية.

استطـردت يوكي قائلة: "وإليك عبارةً مما قاله، تقول: "رجاء، أخبر بريانا بأننـي أعرف أن ما فعلته كان خطأ، وأن شعوري بالندم على إيذائها لن يمكنها معرفتـه، أو تخيـل مداه. آمـل في يوم من الأيام أن تغفر لـي". هذا كل شيء يا مارك. وكتب اعتذارًا لصديقته، ووالديه عن إنهاء حياته".

جلسـت يوكي في مقابل المجرم الـكاذب، تنظر إلى عينيه مباشرة، وقالت لـه: "مارك، هل هـذا الاتهام الذي وجهته إلى بريانا هيـل بأنها قد اغتصبتك محض افتراء؟".

أومأ برأسه.

قالت يوكي: "ارفع صوتك يا مارك. هل هذا صحيح؟".

فقال: "أجل. كان الأمر مثلما وصفته بريانا؛ لعبة".

قالـت يوكي: "أنت وبول من دبرتما ذلك معًـا؟ لفقتما لها تهمة الاغتصاب وابتززتماها؟".

قال مارك وصوته يُسمع بصعوبة: "كانت فكرتي، وقد ساعدني بول".

سألت يوكي: "ساعدك على التخطيط؟".

أجاب: "أجل".

فسألته يوكي: "وهو من أطلق النار عليك؟".

قال مارك: "طلبت منه فعل ذلك".

سألتـه يوكـي: "هل كنـت ستعطيه حصة مـن المال الذي كنـت ستحصل عليه؟".

قال مارك ليوكي: "أجل، كل ذلك صحيح". بدا محطمًا، وشعرت يوكي بأنه يقول الحقيقة أخيرًا.

سألته يوكي: "لماذا يا مارك؟ لماذا فعلت ذلك؟".

أمسك ذراعي الكرسي، واندفع نحوها، وهو يصرخ: "ألا يمكنك رؤية مدى قسوتها وعنادها؟".

كان هـذا هو الأمر؛ غضبه وحنقه؛ جانبـه المظلم الذي استخدمه للإيقاع ببريانا هيل، وبدوره الآن سيجعل حظه تعيسًا تمامًا.

تراجعت يوكي، وقالت: "يا إلهي!".

تراخى مارك في الكرسي. كان صوته يتداعى عندما سأل: "ماذا سيحدث معي؟".

قالت يوكي: "سأعلمك بذلك. ابقَ هنا".

قال مارك: "أشعر بأنني سأتقيأ".

قالت يوكي: "وأنا لديَّ الشعور نفسه".

مدت يوكي يدها تحت مكتبها، وسحبت سلة المهملات، وسارت إلى المكان الـذي انزلق فيه مارك على ركبتيـه. وسلمت إليه سلة المهملات، وقالت: "أنت شخص حقير".

التقطت هاتفها من فوق المكتب، وغادرت الغرفة، ونزلت إلى المقر؛ لتصل إلى مكتب ريد دوج.

وكان ينتظرها.

الفصل 94

أوقفت يوكي سيارتها في شارع كلايتون، أمام مبنى سكني جميل، ذي سقف خشبي، تعيش فيه بريانا هيل.

أخذت مفاتيح سيارتها، وخرجت إلى البناية السكنية المظللة بالأشجار، وسارت على الأرض الحجرية أسفل تعريشة من الأزهار. توقفت لحظةً، لتهدِّئ من شعورها بالتوتر، ثم رنت جرس الباب.

سمعت وقع خطوات، وصوت فتح الباب، تلاه صوت طقطقة القفل. كانت بريانا ترتدي منامة وردية اللون، ذات خطوط زرقاء تفوح منها رائحة الكحول في الساعة الثالثة بعد الظهر.

سألتها بريانا: "ماذا تفعلين هنا؟".

فقالت يوكي: "مرحبًا بريانا. هل يمكنني الدخول؟".

قالت بريانا: "لا أستطيع التحدث إليك دون وجود محامٍ، وأنتِ تعلمين ذلك".

أخبرتها يوكي: "السيد جيفتوس مع المدعي العام باريزي".

ثم أضافت: "إنه يعلم أنني هنا، ويعرف السبب، ولا يمانع في ذلك، ولكن بالطبع يمكنك الاتصال به إذا شئت".

تراجعت بريانا، وسمحت ليوكي بالدخول.

كان المكان فوضويًّا؛ ملابس ملقاة على الأثاث، وأكواب القهوة، وأطباق من الحبوب التي لم تكمل تناولها فوق الطاولات والمناضد، وبعض الزروع الجافة الموضوعة في أصص. كانت هناك زجاجة من الكحول مفتوحة وموضوعة في منتصف طاولة القهوة.

ألقت بريانا بنفسها على كرسي مصنوع من القش، بينما جلست يوكي على حافة كرسي مواجه لها.

قالت بريانا: "لماذا أنتِ هنا إذن؟".

قالت يوكي: "لديَّ أخبارَ جيدة، وأخبار سيئة".

فقالت بريانا: "بحق الله. ماذا بعد؟ أهناك خدعة أخرى؟".

لم يكن بوسع يوكي فعل أي شيء سوى مواصلة ما جاءت من أجله.

فقالت: "لقد انتحر بول بيتس يا بريانا، وعُثر على جثته هذا الصباح".

كانت ملامح بريانا تنم عن ذهولها، وعدم تصديقها، فصرخت قائلة: "مستحيل. هل مات بول؟ لماذا قتل هذا البغيض نفسه؟".

فأوضحت يوكي قائلة: "وفقًا لما قاله في رسالة انتحاره، فإنه قد اقترف هذا بسبب ندمه على ما فعله بك".

نهضت بريانا، وجالت في جميع أرجاء الغرفة، وعندما أنهت جولتها، عادت إلى يوكي، وقالت لها: "لقد قلت إن هناك أخبارًا سيئة وأخبارًا مفرحة، فما هي إذن؟".

قالت يوكي: "لقد أسقط المدعي العام الدعوى المرفوعة ضدك، وانتهى الأمر".

قالت بريانا في ذهول: "هل أنتِ *جادة*؟".

قالت يوكي: "بكل تأكيد".

قالت بريانا: "أتقصدين أنكم *أسقطتم* القضية؟ وأنني حرة؟".

قالت يوكي: "هذا صحيح".

قالت بريانا: "يا إلهي! يا إلهي! قد أصاب بنوبة قلبية".

رن هاتف بريانا من أسفل بطانية ملقاة على الأريكة. وجدته، ونظرت إلى هوية المتصل، وقالت: "أمي؟ لا أستطيع التحدث، فالمدعي العام هنا ... أجل. في شقتي اللعينة".

أغلقت بريانا المكالمة، وقالت ليوكي: "سوف أعود".

ذهبت إلى الممر، ودخلت إلى غرفة أخرى تبعد عن مرأى يوكي، ولكن يوكي سمعت صوت إغلاق الباب بقوة.

سمعت يوكي بعد ذلك بريانا تصرخ بصوت عالٍ، لم يكن ما تقوله واضحًا، ثم جاء صوتها وهي تسب وتشتم، ثم المزيد من الصراخ.

ثم سمعت صوت ماء جارٍ.

وبعد لحظة عادت بريانا إلى غرفة المعيشة، وهي تلف منشفة حول رقبتها، وشعرها يقطر ماءً، كأنها وضعت رأسها أسفل الصنبور.

أسقطت نفسها مجددًا في الكرسي القش، ثم قالت: "حسنًا يا يوكي. أخبريني بكل شيء؛ الجيد والسيئ والقبيح، وأي شيء آخر لعين لديك".

الفصل
95

واصلت يوكي كلامها على الرغم من شعورها الكبير بالاستياء من الصدمة الواضحة على وجه بريانا.

وضعت يديها على ركبتيها، وأخبرت بريانا بمواجهة مارك برسالة بول بيتس الانتحارية، وباعتراف مارك الذي تلا ذلك منذ ساعتين.

أخبرتها يوكي قائلة: "لقد اقترف جرائم ضدك، وتلاعب بنظام العدالة، ونحن نعمل على توجيه اتهامات ضده الآن؛ الابتزاز، والحنث باليمين، والتشهير الجنائي، وربما بعض الأشياء الأخرى التي يمكن أن نلقيها عليه بمجرد حصولنا على اعتراف موقَّع منه".

انتفضت بريانا عن كرسيها، وراحت تجوب أرجاء الغرفة مرة أخرى، ثم وقفت أمام يوكي، وصاحت قائلة: "وجِّهوا إليه جميع التهم. لا تبخلوا عليه بشيء. هل تعرفين ما فعله هذا المهووس بي؟ لقد دمر حياتي المهنية وسمعتي، حتى أصدقائي فقدوا ثقتهم بي. لا تتسنى لي مغادرة المنزل دون أن يلتقط الناس لي صورًا، وهم يشيرون إليَّ قائلين: "ها هي ذي من اغتصبت ذلك الشاب اللطيف. إنها تمتلك مسدسًا"".

ثم أضافت: "لقد دُمِّرت خصوصيتي، وضاعت كرامتي، وأمي المسكينة؛ تلك المرأة الأبيَّة، أصبحت الآن موضع شفقة".

استلقت بريانا منهكة القوى على كرسيها، وهي عابسة الوجه، وتكورت على نفسها، واحتضنت ركبتيها، وعلت وجهها ملامح الألم والغضب ثم رفعت رأسها، وألقت على يوكي نظرة ساخطة.

ثم قالت: "هل تفهمين؟ لقد أخذ مارك كل شيء مني. أريد أن أرسل إليه برسالة كراهية في السجن".

قالت يوكي: "بريانا. أتفهم. أشعر بإحساس فظيع. من فضلك اسمعيني. لقد جئت لأخبرك بأنني آسفة على مشاركتي فيما مررتِ به".

فقالت بريانا: "أوه. أنتِ *آسفة*. أشكرك".

قالت يوكي: "لقد صدقت مارك، وصدقته الشرطة. كانت قصته مقنعة، وإذا كان قد تعرض للاغتصاب كما اعتقد مكتب الادعاء، فإنه قد كان محتاجًا إلى إقامة العدالة. فكرت في أن ضحايا ذكورًا آخرين للاغتصاب ستتم حمايتهم بمجرد الكشف عن هذه الجريمة".

فقالت بريانا: "تقصدين أنه كان يجب أن يُفضح أمري".

قالت يوكي: "ليس بالضبط. أنا من الادعاء العام، ونيتي كانت مقاضاة المذنب بالاغتصاب. بريانا، لم يساورني الشك في مارك إلا عندما أدلى بشهادته. وإلى ذلك الحين، اعتقدت أنه كان يختلق بعض الأمور ليحسِّن موقفه، لكن لم أكن أعلم أن القصة كلها لم تكن إلا تلفيقًا كاملا".

قالت بريانا: "هل فهمت هذا بشكل صحيح؟ هل *تآمر* مارك وبول في هذه المكيدة المثيرة للاشمئزاز؟".

قالت يوكي: "نعم، اعترف مارك بأنها كانت فكرته، وأن بول قد ساعده. اعتذر لك بول في رسالة انتحاره".

سخرت بريانا، وهزت رأسها، ثم قالت: "مرضى. كلاهما مريض. لا أجد ما أقوله".

وضعت قدميها على الأرض، وأحضرت زجاجة شراب من فوق الطاولة، ورفعت فم الزجاجة إلى شفتيها، ثم أنزلتها، وعرضت الزجاجة على يوكي.

قالت يوكي: "لا أستطيع؛ لأنني أقود السيارة".

قالت بريانا: "حسنًا"، وارتشفت عدة رشفات من الشراب، وتنهدت تنهيدة حارة".

وعندما عادت إلى يوكي، كانت ملامح وجهها قد لانت بعض الشيء.

قالت: "لستِ مضطرة إلى تبرير موقفك يا يوكي، لقد كنتِ تقومين بعملك. إنني أحترم هذا. لم أشعر قط بأنك كنتِ تهاجمينني شخصيًّا. لم أكن أعتقد أنك كنت تقصدين ذلك. إذا كنتِ تريدين مغفرتي، فإنني منحتك إياها".

قالت يوكي: "أريدها حقًّا، وأشكرك شكرًا جزيلا".

سألت بريانا يوكي: "إذا لم يكن بول قد انتحر، فهل تظنين أنك كنتِ ستفوزين؟".

حركت يوكي كتفيها، وقالت: "لا يمكن أبدًا التنبؤ بمسار القضية في ظل وجود هيئة المحلفين".

قالت بريانا: "هذا الفيديو الفظيع. يا لها من تحفة فنية"، ثم حملت الزجاجة إلى يوكي، وسألتها: "هل أنتِ متأكدة أنك لا تريدين؟".

أخذت يوكي الزجاجة، ورفعتها إلى فمها، وارتشفت رشفتين، ثم أعادتها وهي تقول: "هذا هو حدي الأقصى".

ابتسمت بريانا ثم قالت: "إذن، ماذا سيحدث بعد ذلك؟".

"سيتصل بك جيمس في أية لحظة الآن. ستكون لديه خطة".

قالت بريانا: "هذا جيد، يا إلهي! ما زلت لا أستطيع تصديق هذا؛ فقد انقلبت حياتي رأسًا على عقب، ثم استقامت مرة أخرى. يجب أن أتحدث إلى أمي".

وقفت المرأتان وسارتا إلى الباب الأمامي. قالت بريانا: "شكرًا على حضورك، حقًّا".

فقالت يوكي: "شكرًا *لكِ* بريانا".

تعانقتا بشكل عفوي، عند الباب.

غادرت يوكي الشقة، وخرجت إلى سيارتها. وعندما جلست خلف عجلة القيادة، اتصلت بباريزي.

سألها: "كيف سارت الأمور؟".

قالت يوكي: "قلت لبريانا إنني آسفة، وقد غفرت لي. كل منا يعرف أنها لن تتغلب على هذا؛ وهذا أمر محزن".

كانت يوكي تعرف أن لين لم يكن يؤمن بهذه القضية، لكنه آمن بها هي. وكانت قد أخطأت تمامًا في الحكم على مارك كريستوفر. *إنها* لن تتجاوز *ذلك* أبدًا.

قال لين: "أتعرفين ما قاله اللاعب الرائع سيتشل بيج ذات مرة؟".

قالت: "أخبرني. كلي آذان صاغية".

قال: ""قد يفوز المرء ببعض المباريات، وقد يخسر بعضها، وقد يؤجل البعض الآخر بسبب سوء الأحوال الجوية، ولكن على المرء إعداد العدة لجميع الظروف". هذا ما تفعلينه، وما فعلته دومًا. كل ما عليك هو التأهب دومًا للمعارك".

قالت يوكي: "شكرًا لك يا لين. وأقدر ذلك".

فقال لها: "أراكِ في الصباح يا يوكي".

الفصل 96

كانت الشقة فارغة عندما دخلت يوكي من الباب.

لا عجب في ذلك، فقد كان الوقت مبكرًا نوعًا ما، فكرت في الاتصال ببرادي، لكنها لا تريد أن تسمع منه ردًّا يحبطها. *إنني مقيد هنا. هل يمكنني معاودة الاتصال بك؟*

خلعت حذاءها العالي، وألقت بنفسها على كرسيها الأثير. اتصلت بآرثر، وسيندي، وليندسي، وكلير، ثم هيأت هاتفها على وضع الصامت.

لم تكن جائعة أو متعبة؛ لذا ذهبت إلى الحمام، فملأت حوض الاستحمام بالماء الساخن، وأضافت إليه الصابون ذا الرائحة العطرة، واغتسلت حتى فرغت.

جففت نفسها بأنعم منشفة لديها، وسحبت ثوب نوم من القطن الأبيض، له أزرار عند العنق، ومزين بشرائط من الدانتيل عند الحافة، ثم خلدت إلى السرير. كانت الساعة تدنو من السابعة.

استيقظت نتيجة شعورها بوجود جسد إلى جانب السرير. كان برادي يضع يده على كتفها، ويقول: "حبيبتي. هل أنتِ مريضة؟".

سألته: "إنني في شدة الإنهاك. يوم لَا يُصدق. كم الساعة الآن؟".

فأجابها قائلًا: "الحادية عشرة والربع؛ شيء من هذا القبيل".

قالت يوكي: "يا إلهي! كنت أنوي الحصول على غفوة فحسب".

سألها: "هل تريدين أي شيء؟ نقانق؟ آيس كريم؟".

ابتسمت له في الظلام، وقالت: "لا، إنني بخير".

سمعت برادي، وهو يخلـع حزامه، ويلقي بملابسه على أحد الكراسي. كان ذاهبًـا "ليزيل عن نفسـه قذارة اليـوم". وعندما عاد كان جسـده رطبًا، قال: "أفسحي المكان قليلا"، وتدثر إلى جانبها واحتضنها بين ذراعيه.

قال لها: "رائحتك طيبة".

فقالـت: "لقد استلقيت مدة ساعة فـي حوض الاستحمام في رغوة أعشاب الليمون والحمضيات".

قـال برادي: "سمعـت شائعة بأن قضيتـك انهارت. أخبرتنـي ليندسي. لا تغضبي منها".

فقالـت لـه: "لا بأس. كنـت سأتصل بـك، ولكن توقعـت أن تكـون مشغولًا بشيء ما".

قال: "صحيح، لكنك تعرفين كيف تجري الأمور".

قالت: "لا أعرف حقًّا يا برادي".

ابتعـدت عنه، وجعلت المسافة بينهما ما يقرب مـن قدم، ثم قالت حانقة: "لا أعرف. لماذا لا تخبرني؟".

قـال: "سأخبـرك، ولكـن أخبرينـي أنـتِ أولًا بقضيتك. مـاذا حدث؟ هل تشعرين بأنك ستتقبلين الأمر؟".

قالت: "ليس هناك مفر من ذلك. لا توجد أية فرصة. لقد استنفدت صبري إلـى أقصى حد يا برادي. أخبرني ما الذي يحـدث معك، أو الزم الأريكة حتى إشعار آخر".

استـوى علـى ظهره، ثـم رتب الوسائـد لمستـوى يريحه، وقـال: "آسف يا يوكـي، إنني لم أستطع إخبارك بأي شيء. كنت مكلفًا من المحافظ نفسه بمنع تبادل المعلومات. كانت السياسة تلعب دورًا في هذا، كما أن المستقبل القريب لوظيفتـي واتجاه قسم الشرطة بسـان فرانسيسكو كانا موضع تدقيق، وقد كان الأمر كذلك خلال الأشهر الثلاثة الماضية".

التفت لمواجهتها، وقال لها: "هل تفهمين معنى ذلك؟".

قالت: "على الإطلاق. لقد فقدت خاتم فك الشفرات الخاص بي".

قال: "آيس كريم. إذا كنت سأحنث بأغلظ أيماني لكبار الضباط، فسأفعل ذلك في أثناء تناول آيس كريم زبدة جوز الهند".

الفصل 97

نهض برادي من فراشه، وقد تغيرت حالة يوكي المزاجية بشكل كبير؛ فقد تحولت من الخوف من انهيار زواجها إلى القلق بشأن زوجها.

ما الذي يمكن أن يؤثر في وظيفته، وكذلك في قسم الشرطة كله؟

هــل بــرادي في ورطة؟ هل تورط في فضيحة ما؟ هــل يحاكم من قبل قسم الشئون الداخلية؟ لم تتمكن من تخيل أي شيء غير ذلك.

عــاد برادي إلى غرفة نومهما، ومعه وعاء مــن الآيس كريم، وسلمها إحدى الملعقتين، ونزل تحت الأغطية.

أمسكت ذراعه بيدها الخالية، وسألته: "ماذا يجري؟".

تنهَّد وقال: "حسنًا. إليكِ الأمر الفظيع كاملًا. أتتذكرين في العام الماضي عندما قام ستة ضباط بتلك السرقة المشينة التي ألحقت العار بالقسم؟".

قالــت يوكي: "بالتأكيد، كانت عصابة منهم تسرق مراكز صرف الشيكات، ومنافذ ويسترن يونيون".

قال بــرادي: "هذا صحيح. قُتــل مجموعة من المواطنيــن. وبالإضافة إلى سرقــة هؤلاء الأوغــاد مخازن النقدية، فقد سرقوا أيضًــا مستودعًا رئيسيًّا من مستودعات أحد كبار تجار المخدرات".

قالــت يوكي: "أجــل، كينــج فيشــر. أتذكــر كل ذلك، ولكن مــا علاقة ذلك بوظيفتك؟".

قال برادي: "إن له علاقة بعمل جاكوبي".

فقال يوكي في اندهاش: "*جاكوبي*؟".

"كانت تلك السرقة بمنزلة فضيحة. عاقب القدر معظمهم، لكن هذا لم يكن كافيًا. لا بد من إلقاء اللوم على شخص ما في التسلسل الهرمي في قسم الشرطة بسان فرانسيسكو على وجود رجال شرطة فاسدين. حُبس رئيس هذه العصابة المسئولة عن السرقة مدى الحياة، أما العقل المدبر لتلك السرقة فقد أطلق سراحه، ولكن لم يكن هذا كافيًا حقًّا".

قالت يوكي: "إذن، فإنك تقول إن هذا سيقع على عاتق رئيس القسم؟".

قال برادي: "لن يتم إلقاء اللوم عليه *بشكل رسمي*، ولكن سيتعين عليه التقاعد، وسيعرف الجميع في القسم السبب وراء ذلك".

حرك الآيس كريم بملعقته، ثم قال: "كان عليَّ أن أشهد على الجميع في ذلك الجزء القذر من المدينة. لقد أصبت بالغثيان من اضطراري للتحدث عن هذا الأمر، وشهادتي في هذه القضية ضد جاكوبي. إنني أحب هذا الرجل حقًّا".

سألته يوكي: "ماذا يعرف؟".

قال لها برادي: "إنه يعرف كل شيء. في كل يوم بعد تسجيل وقت خروج المناوبة النهارية، أصعد إلى مكتبه. إننا نتحدث عن كل قضية بين أفراد جميع الفرق، ونلتقي بالموظفين، ونناقش الخطط عن كيفية المضي بالأمر قدمًا. إنه يريدني أن أقوم بعمله".

سألته يوكي: "أيريد منك أن تتولى منصب رئيس الشرطة؟".

قال برادي: "إنه لا يحق له اتخاذ ذلك القرار، ولكن ربما يمكنه تقديم توصية".

شعرت يوكي بأنها أقرب إلى زوجها أكثر مما كانت عليه منذ أشهر، حتى إنها أدركت مدى الشعور السيئ الذي كان يشعر به، ومدى إرهاقه، والعبء الذي كان يحمله على عاتقه، فكم منعها ألمها وغضبها من رؤية ذلك من قبل. وفهمت أخيرًا أن ابتعاد برادي عنها ليست له علاقة بها أو بهما، ولماذا اضطر إلى الاحتفاظ بذلك لنفسه.

كانت ذراعا كل منهما تحتضنان الآخر؛ تلاشت المسافة بينهما الآن.

سألته: "كيف يتعامل مع هذا الأمر؟".

فقال: "يقول إنه يرغب في التقاعد، لكنني متأكد أنه لا يريد ذلك بهذه الطريقة".

سألته يوكي: "برادي، إذا قاموا بترشيحك لهذا المنصب، فهل ستقبله؟".

قال برادي: "لا أعلم يا حبيبتي. إنني أحب وظيفتي، ولكن من سيأتي في منصب الرئيس؟ ليفانت؟ أم بعض نقباء الشرطة الجدد الذين وفدوا إلى المدينة؟ سيكون ذلك نقطة تحول. إنني سأحل محل جاكوبي مؤقتًا".

سألته يوكي: "متى سيبدأ هذا الأمر؟".

قال برادي: "في أية لحظة، أو الأسبوع المقبل على أبعد تقدير. عزيزتي؟".

قالت يوكي: "ماذا؟".

قال: "أنا آسف. لقد كنت بعيدًا عنك، كنت أقوم بوظيفتين؛ فقد كنت مكتئبًا إلى حد يفوق الخيال. كنت أشتاق إلى الحديث معكِ".

قالت: "لا بأس يا حبيبي. إنني أفهم الآن. أشعر بالضيق مما مررت به".

بعد أن وضع برادي وعاء الآيس كريم على الأرض، رفعت يوكي ذراعيها ووضعتهما حول رقبة زوجها.

أدناها منه، ثم اقترب منها حتى أصبح يشعر بأنفاسها تلفح وجهه.

كان صوت أنفاس برادي عاليًا في أذنيها، واتقدت حرارة جسدها عندما قال: "هل ستخبرينني بيومك؟".

قالت يوكي: "لا، ولا يمكنك إرغامي على ذلك".

ابتسم ابتسامة عريضة في وجهها، وهو يحتضنها، وقال: "يمكنني أن ألتهمك".

"قل رجاءً".

ضحك، وقال: "رجاءً، رجاءً يا حبيبتي، من فضلك"، ثم أخبرها بمدى افتقاده إياها وحبه لها.

كانت همساتهما شجية، وكان لقاؤهما دافئًا، ما خلَّص يوكي من الشعور بالغضب والخوف والحزن وهي المشاعر التي كانت تحسها مؤخرًا بسبب الرجل الوحيد الذي أحبته بالفعل. شعرت، وهي بين ذراعيه كما اعتادت، بأنه يعشقها ويحميها. بعثها تواصلها مع برادي إلى مكان ليست في حاجة فيه إلى السيطرة على نفسها. كان بوسعها الاستسلام للأمر.

كانت تتمنى أن يشعر هو بما شعرت به؛ بالحب والتفاهم والأمان. وأدهشها بكاء برادي وهما مستلقيان معًا.

الفصل
98

كان ذلك بعد اليوم الذي حدثت فيه إغماءتي المأساوية والمحرجة في مرحاض السيدات، كنت أشعر بأنني بحالة جيدة؛ لذلك دعوت إلى اجتماع نادي الجريمة النسائي.

سررت للغاية بأن جميعهن كن غير مشغولات؛ لأنني كنت في حاجة حقًّا إلى قضاء أمسية بالخارج مع أفضل رفيقاتي.

إن كافيتريا سوزي عبارة عن مكان جنوني في عطلة نهاية الأسبوع؛ حيث يكون مكتظًّا بالزبائن الدائمين، والسياح، والمارة، حيث تجتذبهم رائحة الكاري المنبعثة من النوافذ، وإيقاع الطبول، والجدران ذات الألوان اللامعة، والمرح الصاخب الذي نراه عبر النوافذ.

لكن في هذه الليلة، وهي ليلة يوم الخميس، لم يكن هناك في كافيتريا سوزي سوى نصف العدد المعتاد. كان هناك ما يقرب من ستة من السكان المحليين في الكافيتريا ذات الكراسي الطويلة، فكانت مقاعد الكافيتريا الشاغرة أشبه بأسنان مفقودة داخل فم يبتسم ابتسامة عريضة، وكان هناك عدد قليل من الرواد في الغرفة الرئيسية. ولا توجد طبول.

لوحتُ إلى لورين، وعبرتُ مسافة قصيرة، في الممر عبر نافذة الخروج، إلى الغرفة الخلفية. كنت آخر من وصل إلى طاولتنا.

وقفت سيندي لتدخلني إلى مكاني، وهي تثبت يدها حول ذراعي عند دخولي، وسألتني إن كنت بخير.

قلت: "أنا في حاجة إلى مشروب".

أشارت كلير بيدها في الهواء، ثم قالت: "من فضلك"، فجاءت لورين بكوب لي، وزجاجة شراب.

سألت الفتيات: "ما الذي فاتني؟".

قالت كلير: "كنت أتحدث عن صغيرتي فحسب".

قلت: "واصلي حديثك". روبي روز، ابنتها ذات الأعوام الأربعة؛ طفلة صاحبة شخصية قوية.

قالت كلير: "كنا في متجر تارجت، وكنت أبحث عن حذاء جديد ذي نعل ناعم، وروزي إلى جواري، وفجأة لم أجدها بجانبي، فبدأت الصراخ: "روزي، روزي، روزي!"، كنت أتخيل أنني أعرض ملصقات بصورتها على أعمدة الهاتف، كنت في طريقي إلى الدخول في حالة من الهلع الشديد.

ثم وقعت عيناي عليها، رأيتها في أحد الممرات؛ فقد رأت فستانًا أعجبها، فخلعت عنها كل ملابسها وسط المتجر، فيما عدا سروالها الداخلي، الذي كان مكتوبًا عليه "فتاة أمها"".

قلت وأنا أشعر بما أقوله: "يا لها من راحة كبيرة". إن جولي أصغر من روزي، لكنها أثبتت قدرتها على القيام بمثل ما قامت به روزي من أفعال تتسبب في الشعور بالرعب.

واصلت كلير كلامها.

"فقلت لها: "لا يا روزي. لا يمكنك التعري على الملأ".

فقالت لي: "إن الناس يحبون الأطفال"، فقلت لها: "رجاءً يا روزي. ارتدي ملابسك. من فضلك".

فأخذت تصيح بصوت *أعلى* لدرجة أن كل من في المتجر سمعها: "أمي، كم مرة يجب أن أخبرك بأنني *أكرهك عندما تتوسلين*"".

دوت ضحكة يوكي في الأرجاء، وانخرطنا جميعًا في الضحك، إلى أن جاءت لورين، وقالت: "آسفة على المقاطعة، لكن الجمبري على وشك النفاد".

وعندما كانت طلباتنا في الطريق إلى المطبخ، قلت ليوكي: "قولي ما لديك يا صديقتي. إن آخر ما سمعته هو أن المدعي العام قد أسقط التهم الموجهة إلى بريانا هيل".

قالـت: "هذا صحيح. أمـا ألطف ما في الأمر فإن وكالة الإعلانات آد شوب قد أعادت إلى بريانا وظيفتها القديمة".

عـلا صوت الجميع حول الطاولـة فرحًا ومباركة، وقالـت يوكي: "سأشرب احتفالًا بذلك".

شربنا جميعًا احتفالًا بذلك، ثم التفتت كلير إليَّ، وسألتني: "كيف حالك يا ليندسي؟ ماذا قال لكِ الطبيب؟".

قلت لها: "لا شيء حتى الآن. أعطاني د. أربينو الكثير من التحاليل هذا الصباح، وقـد سحب قدرًا كبيرًا من الدماء، ونحن الآن في انتظار نتائج الاختبار. أنا خائفة يا فتيات. عليَّ الاعتراف بذلك. أخشى أن يكون لديَّ فقر الدم اللاتنسجي".

قالت سيندي: "لكنك قد شفيت منه. أليس كذلك؟".

كنت أعانـي فقر الدم اللاتنسجي قبل أن أتزوج جو، وقبل سنوات من ولادة جولي. وفي ذلك الوقت، عندما تم تشخيصي بهذا المرض البائس والمميت في أغلب الأحيان، كنت قد فكرت بالفعل في الانتحار، فقمت بالفعل بوضع مسدسي في فمي قبل أن تثنيني الفطرة السليمة وغريزة البقاء عن هذه الفعلة الشنعاء. لديَّ الكثير لأعيش من أجله الآن.

قلـت: "حتى لو اختفـت الأعراض، فإنهـا يمكن أن تعود. لـم أخبر جو بما يخيفنـي. إنه يظن أنني أبذل مجهودًا في العمـل فحسب. لا أريد إخافته ما لم أكن على يقين؛ حيث إنني لا أريد أن أحطم قلبه".

أمسكت يوكي بمنديل ورقي، وأخذت تبكي.

قالت وهي تنتحب: "آسفة. خذوا الشراب بعيدًا عني".

طوقت سيندي يوكي بذراعها، وتجرعت كأسها إلى آخر قطرة.

قالت لي: "لست خائفة وحدك يا ليندسي، جميعنا معك".

أضافت كلير: "اتصلي بنا فور سماعك نتيجة التحاليل".

وعدتهن بذلك.

قالت يوكـي: "أخبري جو. يجب أن تخبريه. من الضروري أن يخوض ذلك معك، وأنت في حاجة إليه أيضًا".

قلت: "عناق جماعي".

وقفنا جميعًا بصعوبة في مكاننا وتعانقنا عبر الطاولة. آمل أن يمنحني هذا الحب والصداقة الثبات والقوة إلى أن أرى الدكتور أربينو مرة أخرى.

الفصل

99

في الصباح الباكر من اليوم التالي، كنت أقود سيارتي من شارع ليك، إلى المنطقة الثانية عشرة، ولكن بدلًا من التوجه إلى المقر، أخذت اتجاه اليمين إلى المنطقة العاشرة، وعُدت مجددًا إلى شارع كاليفورنيا، وواصلت السير.

كانت عيادة الدكتور أربينو في مجمع سكني جميل، يتألف من مجموعة من المنازل في شارع بروديريك، الذي تزايد فيه عدد عيادات الأطباء. لم يكن عليَّ التحقق من أرقام المنازل، فقد كنت أعرف المكان؛ كان مبنى على الطراز الفيكتوري، رمادي اللون، ذا نتوءات وحواف بيضاء اللون، وبجواره صندوق بريد مزدان بالزهور.

أوقفت السيارة عند الرصيف، وجلست هناك، ومحرك السيارة لا يزال يعمل. فكرت في الحالة التي كنت فيها عندما عدت إلى المنزل في الليلة الماضية؛ حيث كان جو يطير فرحًا بينما يقص عليَّ الأخبار السارة.

فقد قال: "لقد حصلت على الوظيفة أيتها الشقراء".

سألته: "هل تلك هي الوظيفة التي ترغب فيها؟".

قال جو: "اتضح لي أنني أنا والأحمق بنجامين رولنز لدينا بعض الأصدقاء المشتركين".

فقلت له: "هذا رائع. لا تمزح يا جو، هذا أمر مذهل".

احتضنتـه، وأعتقد أن هذه الوظيفة الجديـدة قد أتت في الوقت المناسب؛ لأنـه إذا حدث الأسوأ، مـا يراودني في كوابيسي، فإن عائلـة مولينارى سيكون لديها دخل واحد فحسب في جميع الأحوال، وربما يكون دخلًا جيدًا.

كان مـن المفترض أن أكـون فـي عيادة الطبيـب أربينو فـي غضون عشر دقائـق، وهو عـادة ما يحضر فـي الموعد المحـدد. قمت بـإدارة الراديو على محطـة جاز ٩١، واستمعت إلى بعض مقطوعات العازف الراحل العظيم مايلز ديفيس. وبينمـا أطربت مقطوعـة *Blue in Green* أذنـيَّ، أخرجت هاتفي، وتفقدت بريدي الوارد.

لم يكن هناك سوى البريد المزعج الذي شتت انتباهي. فتحت مجلد البريد غير المرغـوب فيه، فوجدت عددًا من الرسائل المزعجـة التي تعدني إحداها بالتخلص مـن الشخيـر نهائيًّا، بل احتـوت رسالة أخرى على طلـب للحصول علـى المال من أجل إعادة صديـق بأمان من أوروبا، وأخرى عن رحلة إلى جزر البهاما مقابل ٧٧ دولارًا فقط في الليلة، شاملة جميع النفقات.

جزر البهاما. ليت ذلك يحدث.

أعدت هاتفي إلى حقيبتي، ورأيت حافلة مدرسية تتوقف على الجانب الآخر مـن الشـارع؛ لتقل طفلًا صغيـرًا، انطلق في عدة خطوات حتـى صعد إلى متن الحافلـة الصفراء الكبيرة، ثـم تحركت الحافلة، وعندما مـرت أمامي، أدرت سيارتي، وقدت عبر الشارع إلى التقاطع في شارع يونيون.

تباطـأت عندما ظهـرت إشارة التوقف إلـى أن توقفت بشـكل كامل. رأيت رجلًا مسنًّا يقلم الأشجار عند مدخل منزله، وقطًّا من نوع كاليكو يعبر الشارع، وعندما وصل إلى منزله آمنًا، ضغطت على دواسة الوقود.

كنـت أحاول الهرب. لم يكن هذا هو أسلوبي المعتاد في التعامل مع الأمور. كنـت أعرف أنني أتصرف بجنون؛ حيث كان لزامًا عليَّ أن أذهب إلى الطبيب. نقرت بأصابعي على عجلة القيادة.

لن أذهب. سأذهب. لن أذهب.

أطلقـت سيارة ورائي صوت بوقها، فوضعت قدمي على دواسة الوقود. أدارت يدي عجلة القيادة في اتجاه اليمين، واتجهت إلى شارع يونيون، ثم انعطفت يمينًا

إلـى شارع ديفيساديرو. انعطفـت مرتين يمينًا في هذا الحـي الجميل الذي بدا كأنـه جزء من إحـدى القصص الرائعـة التي تنتهي بعبارة "ثـم عاشوا بسعادة إلى الأبد".

بعـد التفافـي حول مبنـى الطبيـب أربينو، توقفت مـرة أخـرى إلى جانب صندوق البريد المطلي باللون البنفسجي.

تنهدت، وسحبت نفسي خارج سيارتي، ووضعت إحدى قدميَّ أمام الأخرى، حتى وصلت إلى السلالم الأمامية لعيادة الطبيب.

قرعت الجرس، وفتحت الباب.

الفصل
100

كانت عيادة الطبيب تبتعد في مرآة سيارتي الخلفية، بينما قدت السيارة واتجهت إلى المقر، وقد كنت شاردة الذهن.

أوقفت سيارتي في شارع هارييت، أسفل الطريق السريع رقم ٨٠ الصاخب، وفي غضون دقائق عبر برادي الزقاق، وجلس في المقعد المجاور لي. نظر إليَّ، ثم حدق، وقال: "إنك تخيفينني يا بوكسر".

أومأت برأسي كأنني أعرف ما سأقوله أو أفعله.

كان أحد الخيارات هو أخذ حقن فيتامين ب ١٢ الأسبوعية، ثم الذهاب إلى العمل في الوقت نفسه كالمعتاد، والعيش على أمل أن أكون في حال أفضل. كان هذا يعني عدم وجود أية مراقبة تستمر طوال الليل، أو تبادل إطلاق النار، أو قتال بالأيدي مع مسلحين مختلين. بعبارة أخرى، لن أتمكن من أداء ما أطلق عليه عملي بأمان.

أو يمكنني أخذ الحقنة الأسبوعية، وأخذ إجازة مرضية حسب توجيه طبيبي. خلال ذلك الوقت، سيحصل كونكلين على شريك جديد، وسأفقد مكاني في قسم التحقيقات الجنائية. لقد كرهت هذه الفكرة. إن قسوة ذلك الأمر تضاهي إغلاق عينيَّ، والقفز في بالوعة.

قلت: "برادي. إن حالتي هي ... كيف يمكنني قول ذلك؟ الأمر خطير. إنني مصابة بمرض يسمى فقر الدم الخبيث".

فقال برادي: "إنك تقولين إنك تعانين فقر الدم؟".

فقلت له موضحة: "إنه نوع من أنواع فقر الدم. الأسباب مختلفة وكذلك الأعراض، ولكن له علاقة بأن دمي غير قادر على امتصاص فيتامين ب ١٢، وإذا لم أعالج هذا الوضع على الفور، فقد يؤدي ذلك إلى تلف الأعضاء والأعصاب، أو قد يتحول الأمر إلى شيء أسوأ. لقد عانيت فقر الدم اللاتنسجي منذ عدة سنوات، وكان من الممكن أن يودي بحياتي بالفعل".

ثبت برادي عينيه عليَّ؛ ليحاول فهم ما أنا فيه.

ثم قال مستفسرًا: "هذا النوع الخبيث، ما حالتك فيه؟ أنتِ تقولين إنه قابل للعلاج، صحيح؟ يمكنك الشفاء منه تمامًا، أليس كذلك؟".

قلت: "لديَّ طبيب ماهر، وأحتاج إلى أخذ حقن أسبوعية فترة من الوقت. ويطلب مني الطبيب أخذ بعض الوقت للراحة".

قال برادي: "رجاء يا بوكسر، افعلي ما يفترض بكِ القيام به. خذي أي قدر من الوقت تحتاجين إليه".

فقلت له: "إنه يقول عدة أشهر؛ حيث أوضح أنني يتعين عليَّ إعادة ضبط عقلي وجسدي بالكامل. أحتاج إلى النوم كما تعلم، وكذلك سيكون للتأمل تأثير جيد، وأن أزوره في المواعيد المحددة، هذا هو ما سيحسّن حالتي".

ابتسم برادي قائلًا: "أنتِ! تستلقين في المنزل؟".

حاولت أن أبتسم، ثم هززت رأسي. وضع برادي يده على ذراعي.

ثم قال لي: "كوني فتاة جيدة. هل ستفعلين ذلك يا بوكسر؟".

قلت: "أجل، سأفعل. ليس لديَّ أي خيار".

قال برادي: "قد أخبرك أيضًا بشيء ستسمعين عنه قريبًا على أية حال من الأحوال".

قلت: "تفضل إذن".

تفقد برادي هاتفه، وأرسل ردًّا إلى أحدهم، ثم عاد إليَّ. علمت منه أن جاكوبي سيتقاعد إثر قضية عملت بها أنا وكونكلين منذ نحو عام تنطوي على مجموعة من رجال الشرطة الأوغاد. وعلى أثر تداعيات هذه الكارثة، كان إجمالي الجثث كما قيل تسع عشرة من الأشخاص المذنبين والبريئين أيضًا.

قلت لبرادي: "هل يحمِّل قسم الشئون الداخلية جاكوبي مسئولية الأمر؟".

قال: "إن المساءلة جزء لا يتجزأ من هذا العمل".

شعـرت بالدموع تتدفـق. لم أكن في حالة معنويـة متدنية فحسب، بل كنت آخذ هذه الأخبار التي تلقي باللوم على جاكوبي على محمل شخصي.

سألت: "من سيحل مكانه؟".

هز برادي كتفيه قائلًا: "لم يُبت في ذلك بعد".

ثم قـال: "اذهبي إلى البيت يا ليندسي. حاربي فقر الدم الخبيث هذا، إنه أمـر يمكنك التغلب عليه. وبخـلاف ذلك، لا تقلقي بشأن أي شيء، فسيكون كل شـيء على ما يـرام بطريقة أو بأخرى. سوف تتحسـن حالتك. وعند حصولك على تصريح من طبيبك، عودي إلى حياتك الطبيعية، ولكن ليس قبل ذلك".

انحنـى أمامي، وقبل وجنتي، ثم قال: "أحبك يـا ليندسي. اعتني بنفسك، سأكلمك قريبًا".

ثـم خرج من سيارتي، فجلست أشاهده وهو يعبر شارع هارييت، ثم اختفى وراء صف من السيارات المتوقفة، وهو في طريقه إلى غرفة الفريق.

لقد قال: "*لا تقلقي بشأن أي شيء*".

ماذا، هل أنا قلقة؟

لكنـه كان على حق. لقد نصحت نفسي بأن أتحكم في الشيء الوحيد الذي قـد أتمكن من استخدامه لإنقاذ نفسي. يتعيـن عليَّ البقاء في المنزل، وقضاء المزيـد من الوقت مع جولي وجو ومارثا، وسيكـون من المثير للاهتمام معرفة شخصيتي عندما أكون خارج نطاق العمل في قضية قتل.

ليسـ بوسعي تأجيل الأمـر أكثر من ذلك. يجب علـيَّ الذهاب إلى المنزل، وإبلاغ جو بالأخبار.

الفصل
101

لـم أرَ جاكوبـي منذ أن انهالت عليَّ تلك الأخبار السيئة، لكنني اتصلت به في اليوم التالي بعد خروجه من المقر للمرة الأخيرة لسؤاله عن حاله.

فقال لي: "إنك تعرفين الحال يا بوكسر، فالحياة لا تخلو من الشدائد".

شعرت بالأسى، ولأسباب مختلفة، وكل منا كان يمر بعدد من الشدائد.

كنـا على موعد لتناول الفطور هذا الصباح، لكن ليس في غرفة الاستراحة التـي نتناول فيها الكعكات التي تُمرر علينا، ولكن فـي مطعم حقيقي في ذلك الجزء من المدينة التابع لجاكوبي.

إنـه يعيش في هايز فالي؛ تلك المنطقة التي تم تطويرها منذ فترة وجيزة؛ حيث تـم التخلص من بعض المحال القديمة، وأصبحت الآن مليئة بالمطاعم، والمقاهـي الصغيـرة، والمحالّ؛ إنه مـكان جميل للزيارة. يقـع منزل جاكوبي فـي نهاية مجمع سكني في شارع آيفـي، وهو واحد من العديد من المنازل ذات الهيـكل الخشبـي، التي بُني بعضها على مقربة من بعضـ في مواجهة الأرصفة التي تصطف عليها الأشجار الحمراء المزهرة.

أوقفت سيارتي من طراز إكسبلورر خلف سيارة صديقي القديمة من طراز هيونداي، واتصلت به على هاتفي.

فقال: "ليندسي؟".

فسألته: "هل تنتظر شخصًا آخر؟".

قال ضاحكًا: "لست المرأة الوحيدة التي أعرفها، سأنزل على الفور".

نــزل بعد بضع دقائــق على السلالم الخشبية المتعرجــة من غرفة معيشته التــي تعلو مرآبه الواسع. بــدا كعادته دومًا؛ أشيب الشعــر، ذا عينين مرتخيتي الجفــون، يعرج قليــلاً في مشيته، يرتــدي سترة جلدية كالتي اعتــاد الطيارون ارتداءها، كان عمه الذي شارك في الحرب الكورية قد أعطاه إياها.

لكنــه بــدا مختلفًا بالنسبــة إليَّ الآن. لم يكــن التقدم في العمــر باديًا على ملامحه، وكان ذلك أمرًا ملحوظًا للغاية، ولم يكن يبدو مكتئبًا كذلك.

بدا أخف ظلًّا، كأنه رجل قد تقاعد قبل الاستعداد لهذه الخطوة، لكنه كان سعيــدًا؛ لأن الحمل قد أزيح عن عاتقه. كان يبتسم عندما عبر الشارع، وعبرت الشارع في اتجاهه.

فتح كل منا ذراعيه للآخر، وتصافحنا في منتصف شارع إيفي، وقد غمرنا شعور بالارتياح لذلك.

كان جاكوبي قد حل محل والدي سيئ الطباع من قبل، وهو يفعل ذلك الآن، وأنا من أتيت لمواساته. لعله شعر بغصتي.

فقــال لــي: "لا تفقدي أعصابك يا بوكسر. ربما أكــون بدينًا، ربما تجاوزت الستين، ولكن هأنذا".

قلــت لــه: "دعنا ننتــهِ من عبــور الطريق، حتــى لا تكون هــذه الكلمات هي كلماتك الأخيرة".

كان بلايا ديل أورو عبارة عن مطعم مكسيكي صغير يقع بين محل لإصلاح الأحذيــة ومعرض فني. طلبنا طبــق البيض على الطريقــة المكسيكية، وبعض الشاي، وتحدثنا عن كيفية قدومنا إلى هذا المكان غير المتوقع في حياتنا.

قال: "بوكسر، لستُ طرفًا بريئًا. لم أكن أعلم أن تيد سوانسون قد كوَّن فريقًا بغرضــ السرقة، لكن كان يتعين عليَّ أن أعرف ذلك. يجب أن أكون مسئولاً. لو كنــت مكان المحافظ لويز؛ يــا إلهي! لا بد أن يتحمل أحدهــم المسئولية. ومن الواضح أن المسئولية الكاملة ملقاة على عاتقي، فكانت نتيجتها الحصول على مبلغ مكافأة التقاعد كاملا".

قلت: "هذا الجزء رائع".

"وقريبًـا جدًّا سأحصل على التغطية الصحية الشاملة"؛ قالها، وهو يبتسم ابتسامــة عريضــة، فبدا أخف ظلًّا وأصغــر سنًّا، ثم قال: "ولكــن، كفى حديثًا عني. أخبريني كيف حالك، لا تغفلي شيئًا".

قلــت له: "أشعر بأنني في حالة جيدة، ولكــن كأنني ألعب لعبة الهوكي. من المفترض أن أكون في العمل، أليس كذلك؟ ولكن في هذه الحالة يتعين عليَّ أن أبقى في المنزل، وأشاهد الأفلام، ثم أتلقى راتبي".

قــال جاكوبي: "أعتقد أننا نتشارك الأمر ذاته، ولكــنَّ هناك جانبًا إيجابيًّا لــكل منا. مهمتــك هي الراحــة والشفاء، ومهمتي هــي إنقاص وزنــي. أخبرني طبيبــي بــأن أتخلص من كرة البولينج هــذه وإلا، وعندما قــال "وإلا"، لم أكن أريد سماع بقية كلامه بالتأكيد".

نظرت إلى طبق كعكة الشيكولاتة، وفي جانب منه كعكة مقلية، كانت النادلة قــد وضعته أمامنا، فضحك، وقال: "أعرف، أعــرف، لكن هذه مناسبة خاصة يا صديقتي العزيزة. سأقلل الكربوهيدرات، وأبدأ المشي، وربما أبتاع كلبًا".

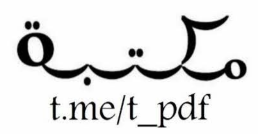
فقلت له: "ما رأيك في ذلك أيها الرئيس؟ لماذا لا نجتمع معًا لنقوم بتمشية كلبــي كل أسبــوع أو نحو ذلك؟ يمكن أن نذهب إلى متحف من حين إلى آخر، أو أن نشترك في إحدى ألعاب الكرة؛ ونقاوم الاحتجاز المنزلي القسري".

قال جاكوبي: "يروق لي ذلك يا بوكسر".

ابتسمنــا، ومــد كل منا يــده إلى الآخر عبــر الطاولة الصغيــرة المستديرة المحملة بالحلوى، وتصافحنا.

قلت: "كلانا مقاتل".

قال جاكوبي: "والمقاتلون يفوزون".



شكر وتقدير

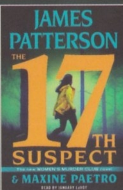
نوجِّه جزيل شكرنا إلى أولئك الذين شاركونا بوقتهم وخبراتهم من أجل إخراج هذا الكتاب إلى النور: القاضي كيفن راثبورن من بلدة ساوميكو في ولاية ويسكونسن، كلية التكنولوجيا في شمال شرق ويسكونسن، والمحامي ستيفن رابينوويتز من شركة بريور كاشمان للخدمات القانونية في مدينة نيويورك، مقابل استشاراته الحكيمة، والنقيب ريتشارد كونكلين، رئيس مكتب التحقيقات الجنائية الأساسية في قسم شرطة مدينة ستامفورد بولاية كونيكتيكت، كما نقدم كل الامتنان إلى الفريق المحلي في الساحل الغربي بالولايات المتحدة الأمريكية، والمكون من: ماري جوردان، وجون إيه. دوفي، وباحثنا العبقري إنجريد تايلر.

نبذة عن المؤلفين

حصل جيمس باترسون من مؤسسة الكتب الوطنية على الجائزة الأدبية للخدمة المتميزة المقدمة إلى المجتمع الأدبي الأمريكي. وهو حامل الرقم القياسي العالمي في موسوعة جينيس، لتصدره قائمة المؤلفين أصحاب الكتب الأكثر مبيعًا لجريدة *نيويورك تايمز*؛ فقد بيع من كتبه أكثر من ٣٦٥ مليون نسخة حول العالم. وتمكن البطل الدءوب من خلال قوة الكتب والقراءة من خلق بصمة جديدة في عالم كتب الأطفال. كانت مهمة جيمي باترسون بسيطة، وتتمثل فيما يلي، حسب قوله: "نريد من كل طفل ينهي كتابًا لجيمي أن يقول: "أعطني كتابًا آخر له من فضلك"". لقد تبرع بأكثر من مليون كتاب للطلاب والجنود، وقام بتمويل أكثر من أربعمائة منحة تعليمية للمعلمين في أربع وعشرين كلية وجامعة. كما تبرع بالملايين إلى المكتبات المستقلة ومكتبات المدارس. ويستثمر باترسون عائدات مبيعات كتبه في المبادرات المؤيدة للقراءة.

وقد تعاونت ماكسين بايترو مع جيمس باترسون في سلاسل الكتب الأكثر مبيعًا مثل *Women»s Murder Club* - وسلسلة *Private* وسلسلة - *Confessions* ، وهي تعيش مع زوجها في ولاية نيويورك.

رواية



قاتل يختار ضحاياه بشكل شخصي، ويقترب كثيرًا من المحققة ليندسي بوكسر

سلسلة من عمليات إطلاق النار تُعرِّض مدينة سان فرانسيسكو لخطر قاتل محترف لا يمكن التنبؤ بأفعاله، فيما قررت امرأة مترددة أن تضع ثقتها بالرقيب ليندسي بوكسر. والتي تقودها المعطيات إلى نتائج مزعجة، بعض منها متعلقة بقسم الشرطة نفسه.

يدفع البحث عن القاتل بالرقيب ليندسي خارج نطاق اختصاصها وسلطتها، ويتغلغل بداخل عقلها بطرق خطيرة. وحينما تعاني ليندسي أعراضًا طبية مزعجة، يحذرها أصدقاؤها والمقربون منها في النادي النسائي، من التأثر الشديد بهذه الجرائم .

مع وجود أرواح بريئة على المحك، لم تستطع المحققة إلا أن تتتبع القضية التي قادتها إلى ميدان أكثر خطورة. وحينما تعرضت نائبة المدعي العام يوكي كاستيلانو إلى اعتداء، انضمت إلى ليندسي في تجاوز الحدود المهنية.

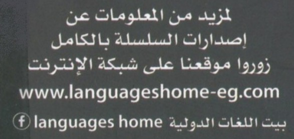
كضابطة بارزة، وزوجة محبة، وأم مخلصة، وصديقة وفية، لدى ليندسي نزاهة لا يرقى إليها شك، ولم تخذلها قط، ولكن كل يوم يعمل ذلك المشتبه به المراوغ على زعزعة أسس النادي النسائي وزرع بذور دماره.

حصل **جيمس باترسون** على الجائزة الأدبية للخدمة المتميزة للمجتمع الأدبي الأمريكي من مؤسسة الكتاب الوطني. وهو يحمل الرقم القياسي المسجل في موسوعة جينيس للأرقام القياسية للمؤلف الأكثر مبيعًا على قوائم صحيفة نيويورك تايمز على الإطلاق، وقد باعت كتبه أكثر من 375 مليون نسخة على مستوى العالم. وجيمس مناصر دائم لقوة تأثير الكتب والقراءة. وقد أسس باترسون سلسلة جديدة لكتب الأطفال باسم جيمي باترسون ورسالتها بسيطة: "نريد من كل طفل ينهي قراءة أحد كتب إصدارات سلسلة جيمي بوك أن يقول: رجاء أعطوني كتابًا آخر". وقد تبرع بأكثر من مليون كتاب للطلاب، والجنود، وموَّل أكثر من 400 منحة لإعداد المعلمين في أربع وعشرين كلية وجامعة. كما تبرع بملايين الدولارات لمتاجر الكتب المستقلة ومكتبات المدارس. ويستثمر باترسون عائدات مبيعات سلسلة إصدارات جيمي باترسون في أنشطة لدعم القراءة.

ماكسين بايترو مؤلفة ثلاث روايات وكتابين غير أدبيين؛ إضافة إلى ما يزيد على عشرين قصة تشويق من الأعلى مبيعًا بالاشتراك مع جيمس باترسون. وتتضمن هذه سلسلة النادي النسائي، والاعترافات، والسلسلة البوليسية الخاصة ورواية *Woman of God* . وهي تعيش في نيويورك مع زوجها.

لقراءة النبذات المختصرة والمعلومات عن المؤلف، زر الموقع الإلكتروني

JamesPatterson.com



لمزيد من المعلومات عن
إصدارات السلسلة بالكامل
زوروا موقعنا على شبكة الإنترنت
www.languageshome-eg.com
languages home بيت اللغات الدولية




ISBN 978-977-827-045-7